محمد جاد الزغبي

# ستون سؤالا بستين قضية

محمد جاد الزغبي
ستون سؤالا بستين قضية

**ستون سؤالا بستين قضية**

محمد جاد الزغبي

# ستون سؤالا بستين قضية

محمد جاد الزغبي
ستون سؤالا بستين قضية

* محمد جاد الزغبي

* ستون سؤالا بستين قضية

* حقوق الطبع محفوظة

* الطبعة الأولى ٢٠١١

* الناشر وكالة العز للدعاية والإعلان
المهندس / أحمد عبد الباقي عاشور

* الإشراف الفني وكالة العز للدعاية والإعلان

* رقم الإيداع ١٢١١ / ٢٠١١

للمراسلة:

alzoghbe@hotmail.com

al_3ez_magazine@hotmai.com

الموقع الشخصى : http://alzoghbe.free.fr/
المدونة : http://alzoghbe.maktoobblog.com/

# فهرس الكتاب


| | |
|---|---|
| السؤال الاول :قصة الفتنة الكبري .. | ٨ |
| السؤال الثانى : قصة ماء الحوأب | ٣٠ |
| السؤال الثالث : الفارق بين البدعة والعمل الحسن | ٣١ |
| السؤال الرابع : ما هى المصلحة المرسلة ؟ | ٣٧ |
| السؤال الخامس : مواقف أبي الحسن الأشعري | ٣٩ |
| السؤال السادس : هل استعان بن الجوزى بكتب الشيعة فى كتابة تلبيس إبليس ؟ | ٤٣ |
| السؤال السابع : ذنوب الصحابة | ٤٤ |
| السؤال الثامن : الفرقة الظاهرية | ٤٦ |
| السؤال التاسع : التقول على الله .. والشرك | ٤٨ |
| السؤال العاشر : التفسير الإشاري للقرآن | ٤٩ |
| السؤال الحادى عشر : صوت المرأة | ٥٣ |
| السؤال الثانى عشر : عن الحديث المتواتر والحديث الآحاد | ٥٥ |
| السؤال الثالث عشر : ثبوت الحديث | ٥٩ |
| السؤال الرابع عشر : عن ترجيح الأحاديث | ٦٠ |
| السؤال الخامس عشر : الأحاديث الضعيفة وشروط العمل بها | ٦٢ |
| السؤال السادس عشر :ما هو التمريض ؟ | ٦٤ |
| السؤال السابع عشر : مفهوم ومعنى الجامع المانع | ٦٥ |
| السؤال الثامن عشر : المجاز فى القرآن | ٦٨ |
| السؤال التاسع عشر: الحديث الضعيف وشروط الاخذ به | ٧١ |
| السؤال العشرون : عن المشاعر الإنسانية | ٧٥ |
| السؤال الحادى والعشرين : الزيادة فى الحديث وحكمها | ٧٦ |
| السؤال الثانى والعشرين : الحديث الصحيح لغيره | ٧٧ |
| السؤال الثالث والعشرين من أنواع الحديث المردود المراسيل | ٧٨ |
| السؤال الرابع والعشرين استدلالات الأصوليين والمحدثين | ٧٩ |
| السؤال الخامس والعشرين : الحديث المدرج | ٨٠ |
| السؤال السادس والعشرين :السند الظاهر والمتصل | ٨١ |
| السؤال السابع والعشرين : زلات العلماء وأخطائهم وحكمها .. | ٨٢ |
| السؤال الثامن والعشرين : سيدنا عثمان رضي الله عنه وجمع المصحف | ٩٠ |
| السؤال التاسع والعشرين : عصمة النبي عليه الصلاة والسلام | ٩١ |
| السؤال الثلاثون: الطائفة البريلوية | ٩٥ |
| السؤال الحادى الثلاثون :الصوفية ووحدة الوجود | ٩٨ |
| السؤال الثانى والثلاثين : الشوفينية والإنتماء والفارق بينهما | ١٠١ |
| السؤال الثالث والثلاثين : الوحدة العربية والخلافة الإسلامية | ١٠٥ |
| السؤال الرابع والثلاثين :موقف أهل الذمة | ١١٠ |
| السؤال الخامس والثلاثين : اعتراض وتعقيب على تفسير حديث الأئمة من قريش | ١١١ |
| السؤال السادس والثلاثين : الصورة والإطار | ١١٣ |
| السؤال السابع والثلاثين :عن حالة الطوارئ | ١١٧ |

| | |
|---|---|
| السؤال الثامن والثلاثين : عن السامية واستغلال اليهود لها | ١٢٠ |
| السؤال التاسع والثلاثين : عن بعض مواقف العلمانية | ١٢١ |
| السؤال الأربعون : نشأة الآداب والفنون | ١٢٤ |
| السؤال الحادى والأربعين : موقف الدكتور العوا من رواية أولاد حارتنا | ١٢٨ |
| السؤال الثانى والأربعين : الهجمات على اللغة العربية | ١٣٠ |
| السؤال الثالث والأربعين :دور الأتراك فى السياسة العالمية الحديثة | ١٣٣ |
| السؤال الثالث والأربعين : دور المعتزلة فى التاريخ الإسلامى | ١٣٦ |
| السؤال الرابع والأربعين : أسئلة منوعة | ١٣٨ |
| السؤال الخامس والأربعين :الإيمان والفن | ١٤١ |
| السؤال السادس والأربعين : دعوى واتهام السلفيين بتحجر العقل | ١٤٣ |
| السؤال السابع والأربعين .. طريقة اختيار الحاكم فى الإسلام | ١٤٦ |
| السؤال الثامن والأربعين رأيك بالديمقراطية كمنهج حكم ومدى اختلافها عن الشورى فى الإسلام | ١٥٠ |
| السؤال التاسع والأربعين : أساليب الدعوة فى الإسلام وأكثرها تأثيرا | ١٥٢ |
| السؤال الخمسون رواية الفاسق والمبتدع | ١٥٤ |
| السؤال الحادى والخمسين : مدى الفارق بين الأمل والوهم | ١٥٧ |
| السؤال الثانى والخمسين : اجتهاد النبي عليه الصلاة والسلام | ١٥٨ |
| السؤال الثالث والخمسين : هل يستوجب التشريع إستجابة الكافر أيضا ؟! | ١٥٩ |
| السؤال الرابع والخمسين : التقليد فى العقائد | ١٦٠ |
| السؤال الخامس والخمسين ..حول رأفت الهجان | ١٦١ |
| السؤال السادس والخمسين : كيفية إعداد الجواسيس | ١٧٩ |
| السؤال السابع والخمسين : مصر بعد ثورة ٢٥ يناير | ١٨٦ |
| السؤال الثامن والخمسين : أحداث ليبيا وثورتها ضد نظام القذافي | ١٨٧ |
| السؤال التاسع والخمسين : هل يتكرر مسلسل العراق فى ليبيا ؟ | ١٨٩ |
| السؤال الستون :مصر ومياه النيل بعد الثورة | ١٩٢ |

## السؤال الاول :قصة الفتنة الكبرى ..

*السؤال : تكاثرت الأقوال وترسخت حول الصحابة في قصة الفتنة الكبري ، وأشهر القصص المتداولة هي التي تتهم عمرو بن العاص ومعاوية رضي الله عنهما بالتواطؤ للحصول على الحكم ، كما ترسخت قصة التحكيم الشهيرة في أذهان الناس ، فما هي الحقيقة خلف تلك الروايات ؟!*

*الجواب :*

سنعالج هذا الموضوع على عدة محاور .. وهى

نظرة إلى قيمة الصحابة ،

من مصائب الأمة اليوم دون شك ، أنها استجابت نوعا ما لدعوة أهل الطعن فى الصحابة ونظرت إلى الروايات التاريخية المزيفة التى رواها رواة التاريخ غير العدول على أنها روايات صحيحة رغم أنها تحمل مطاعن فى أشرف جيل للإسلام وهو الجيل الذى حمل الرسالة وكان وسيلة إيصالها لأقطار الأرض وإيصالها للأجيال وراء الأجيال
والأمر لا يخلو من حماقة وغباء مطلق ،
ففي البداية مثل هذه المطاعن كيف يمكن قبولها ومن رواها هم الكذابون المعروفون بحقدهم ضد هذا الجيل مثل رواة الشيعة ، بالإضافة إلى ما هو أطم أننا غفلنا عن القرآن الكريم الذى يمثل الثبوت المطلق والدليل المنفرد بذاته على تزكية هذا الجيل كله ،
فأهملنا دليل القرآن فى تزكيتهم وقبلنا دليل الزنادقة ،

والطعن فى جيل الصحابة قديم وموجود فى كتب التاريخ التى نقلت لنا الروايات جميعها وأخضعها أهل التحقيق لتحقيقهم وبينوا زيفها غير أن الجهل العام فى عالمنا المعاصر دفع العلمانيين والشيعة ومن تابعهم فى حرب الإسلام إلى استغلال رواج تلك الروايات ليصلوا إلى أغراضهم فى التشكيك بهم والتشكيك بهم يعنى التشكيك فى الدين الذى نقلوه ، وهذا هو الهدف الوحيد لكل طاعن بالصحابة
لكن المشكلة أن بعض الكتاب والمفكرين ومعظم العوام ذهبوا إلى تلك المرويات فقبلوها وكتبوا عن تلك الاتهامات الموجهة للصحابة ونشروها وهم ليسوا من أهل الصنعة ولا الخبرة حتى يميزوا بين الروايات الصحيحة والروايات العرجاء
والأهم من ذلك أنهم غفلوا عن جلالة هذا الجيل وتعاملوا معهم كما كانوا من أرباب هذا العصر الذى نعانى منه ، بينما الصحابة عاشوا فى عهد النبوة حيث كان ولا زال جيلهم بشهادة الله عز

وجل ونبيه عليه السلام أفضل أهل الأرض بعد الأنبياء والرسل ،
فلا يوجد مثيلهم أبدا لا فى الزهد ولا فى الإيمان ولا فى التقوى وأمثالهم تهرب منهم الذنوب

وتتنافر مع طبيعتهم ، وهم وإن كانوا غير معصومين فهذا لا يعنى إطلاقا أن نتصور فى أحدهم إقدامه على ذنب عامدا متعمدا لأجل دنيا
فلما نظر هؤلاء المفكرون إلى الصحابة نظرتهم إلى أى جيل وعالجوا عصرهم كما كان عصرا عاديا من السهل أن تجد فيه أطماع الحكم وشهوات الدنيا ، تسربت بناء على ذلك إلى النفوس تلك النظرة الخاطئة عن هذا الجيل الفريد
فازداد تعلق العامة بهذه الروايات وأصبح من قبيل الثقافة العامة أن تجد تلك المطاعن منتشرة بينهم ، رغم أن فتن الحكم ومطالب الدنيا لم تكن تمثل فى عرف الصحابة شيئا يذكر ولا يوجد دليل أو شبهة دليل صحيح تقول بذلك
و إذا نظرنا للقرآن الكريم وتأملنا بالعقل وحده كيف انتشر فى ربوع آياته تزكية هؤلاء الأطهار لعلمنا أن الأخبار المنقولة بخلاف ذلك إنما هى من الإفك المبين ، وهذا ما ينبغي لكل عاقل أن يدركه لأننا نقارن هنا بين الدليل من القرآن والدليل من مروجى الأخبار فكيف ندع الأول ونأخذ الثانى !
يقول عز وجل ،
[لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ] {الحشر:٨}
والآية قطعية الوضوح والصراحة فى أن المهاجرين جميعا هم من نصر الله ورسوله عليه الصلاة والسلام وشهد لهم الله تعالى الذى يعلم سرائرهم أنهم هم الصادقون فهل من الممكن أن نقبل بعد هذا بتشكيك مشكك فى عدالتهم ؟!
ويقول أيضا :
[وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ] {التوبة:١٠٠}
وهذه الآية جمعت الجيل كله المهاجرون والأنصار ومن تلاهم من بعد الفتح فأسبغ عليهم الله تعالى الإحسان وشهد لهم بأنهم أصحاب الجنة والرضوان
ويقول أيضا :
[لَقَدْ تَابَ اللهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَحِيمٌ] {التوبة:١١٧}
وهذه الآية الكريمة تتحدث عن غزوة تبوك التى خرج فيها النبي عليه الصلاة والسلام بكل صحابته للقتال ، ولم يسمح لأحد بالتخلف ، فأنزل الله تعالى بحقهم هذه التوبة ومعنى هذا أنها شملت اثنى عشر ألف صحابي خرجوا مع النبي عليه الصلاة والسلام من المهاجرين والأنصار ومسلمة الفتح ولم يستثن القرآن الكريم أحدا منهم قط ، حتى الثلاثة من الصحابة الذين تخلفوا بلا

عذر ، أنزل الله توبته ومغفرته عليهم لينضموا إلى إخوانهم فقال جل شأنه
[وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ] {التوبة:١١٨}
ولم يقتصر القرآن الكريم على وصف هؤلاء الأطهار بل وصف حال من سيأتى بعدهم من أجيال وجعل الإيمان رهنا فقط بالذين اتبعوهم بإحسان فاستثنى بذلك الله عز وجل كل إنسان خاض لسانه فى هذا الجيل ، حيث يقول تعالى
[وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ] {الحشر:١٠}
أى أن وظيفتنا نحن الذين تبعناهم أن نقول ربنا اغفر لنا ولهم ولا نجعل فى قلوبنا غلا لأحد منهم قط ،
وهذا هو الأمر الطبيعى البدهى لأن إيماننا ما كان له أن يتحقق لو لم يصمد هؤلاء النفر مع النبي عليه الصلاة والسلام ويحملوا أمانة الرسالة ويبذلون الدم والنفس والأهل والمال فى سبيل إعلاء كلمة الحق ،
وفى ذلك يقول الإمام علىّ رضي الله عنه مخاطبا شيعته من على منبر الكوفة كما فى نهج البلاغة
( ولقد رأيت أصحاب رسول الله صلي الله عليه وسلم فما رأيت أحدا يشبههم منكم ولقد كانوا يصبحون شعثا غبرا ويقبضون على مثل الجمر من ذكر معادهم كأن بين أعينهم ركب المعزى ـ يعنى علامة السجود ـ )
فجاءت الأجيال بعد ذلك وتحت مختلف الأغراض تحمل هم الطعن والتشكيك فى هذا الجيل الفريد بل وفى حق أعلامهم كأبي بكر وعمر وعثمان وعلىّ رضي الله عنهم ، والعاقل لا يحتاج ردا على تلك الشبهات التى يثيرها المغرضون ، والذين ارتضوا لأنفسهم أن يقفوا فى خندق واحد مع العلمانيين والمستشرقين أعدى أعداء الإسلام لكى يمارسوا معهم نفس الفعل فى الطعن واللعن على أصحاب النبي عليه الصلاة والسلام
فالعاقل لابد له أن يقرن هذه الأقوال بآيات القرآن الكريم لكى يطرح عن نفسه أى حاجة لتفنيد أى شبهة بحق أى صحابي ، فليس بعد قول الله قول
بالإضافة لما هو أهم وهو أن النظر إلى هؤلاء الطاعنين ممن يدعون الإسلام يكفي وحده لاكتشاف هويتهم ، لأنهم ـ كما قلنا ـ وقفوا فى خندق واحد مع أعداء الإسلام ومجرد الاتحاد فى الغرض والفعل يكفي لرفض أى قول لهم بحق أى صحابي
وما أصدق قول الإمام أبي زرعة الذى قال
( إذا رأيت الرجل يطعن فى أصحاب النبي عليه الصلاة والسلام فاعلم أنه زنديق ، ذلك أن الدين عندنا حق وإنما أداه لنا هؤلاء الصحابة والذين يطعنون فيهم أرادوا أن يجرحوا شهودنا والجرح بهم أولى وهم زنادقة )

وكعادة جميع الأفاكين يأتون بشبهات عرجاء وبأحداث ملفقة ليتمكنوا من التشكيك فى الصحابة ، فيأتون لآيات القرآن الكريم التى نزلت فى المنافقين فيسقطونها على أصحاب النبي عليه الصلاة والسلام ؟! ومن ذلك

[وَمِمَّنْ حَوْلَكُمْ مِنَ الأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ المَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَى عَذَابٍ عَظِيمٍ] {التوبة:١٠١}
والسؤال المنطقي أين وجه الدلالة فى الآية لكى يطعنوا بها على الصحابة ، فنعم كان هناك منافقون بالمدينة يعلم النبي عليه السلام بعضهم والبعض الآخر لا يعلمهم
أما الذين علمهم فهم عبد الله بن سبأ وشيعته ، وأما الذين لم يعلمهم فهؤلاء هم جيل المرتدين الذى منعوا الزكاة فحاربهم أبو بكر رضي الله عنه ،
ونلفت النظر إلى أننا جئنا بآيات محكمات واضحات فى تزكية المهاجرين والأنصار وسائر الصحابة فلو كان بينهم استثناء لبينه الله أو بينه النبي عليه الصلاة والسلام
بينما نجد النبي عليه السلام شدد فى الوصية على مدح أصحابه سواء فرادى بأسمائهم أو بمجموعهم ومن ذلك قوله عليه السلام
( الله الله فى أصحابي ..... الحديث )
وقوله عليه السلام ( لعنة الله على من سب أصحابي )
وقوله عليه السلام ( لا يدخلن النار أحد بايع تحت الشجرة .... الحديث )
بخلاف الأحاديث المستفيضة فى مدح أعيان الصحابة مثل العشرة المبشرين زعماء الصحابة وأيضا بقيتهم مثل جليبيب وعمار والمقداد وأبو ذر وأبو هريرة وخالد بن الوليد وعمرو بن العاص ومعاوية وعشرات غيرهم

ومن الأدلة العقلية الصريحة أن الله عز وجل قال فى كتابه
[كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ المُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ المُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الفَاسِقُونَ] {آل عمران:١١٠}
فهذا المدح العظيم للأمة الإسلامية ورد أول ما ورد فى حق الصحابة وجيلهم الفريد ، وقد صح عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه مدح ثلاثة أجيال أولها جيل الصحابة وتابعيهم من بعدهم ومن بعدهم وهى القرون الثلاث الأولى خير القرون للأمة الإسلامية والتى صارت فيها كلمة الله هى العليا

فلو لم تكن هذه الزمرة هى خير أمة فمتى كنا خير أمة إذا ؟!
فإذا عجز الأفاكون أمام النصوص الصريحة الصحيحة ذهبوا سريعا إلى الروايات المكذوبة الموضوعة مستغلين جهل الناس بمصداقية الروايات وكيفية الكشف عنها وجهلهم بمنهج كتابة التاريخ الإسلامى فى المصادر الأصلية كما سنرى

## منهج كتابة التاريخ الإسلامى

الجريمة الكبري التى تمت بحق التاريخ الإسلامى أن بعض المؤرخين والمثقفين المعاصرين أخذوا عن تاريخ الطبري واعتبروا مجرد ورود الروايات فيه معناها أن الطبري يعتقد صحتها وهذا غير صحيح حيث نص الطبري فى مقدمة تاريخه على أنه جمع كل الروايات التى أتت إليه وبين إسنادها ومصادرها وترك للمحققين من بعده النظر فى صحتها وتلخيصها
وهذه جريمة تتابعت على مر الزمن لأن التاريخ مثله مثل الحديث النبوى خضع للتحقيق والتصحيح والتضعيف عن طريق تفنيد ونقد المصادر الأولى

ولو أخذنا تاريخ الطبري مثالا وهو المرجع الأم الأكبر فى مجاله فإن مرويات الكذابين من الشيعة الإخباريين أحصاها الدكتور خالد كبير علال فزادت عن ثلاثة آلاف رواية باطلة سندا ومتنا وأصحابها أربعة فقط من رواة الشيعة المطعون فيهم
والمشكلة الكبري أن تلك الروايات تعالج الفترة الأكثر حساسية فى التاريخ الإسلامى وهى الفترة من وفاة النبي عليه الصلاة والسلام إلى استشهاد الإمام الحسين رضي الله عنه "١"
وانتشرت تلك الروايات المغلوطة بين العامة وبين أقلام المثقفين المعاصرين باعتبارها من المسلمات التاريخية رغم أن العلماء قديما وحديثا بينوا مدى بطلانها

### وما حدث في الفتنة يمكن تلخيصه فى الآتى

أولا : أجمع المسلمون بعد وفاة النبي عليه الصلاة والسلام على تولية أبي بكر الصديق رضي الله عنه لسابقته وفضله وولايته أمر الصلاة فى حياة النبي عليه السلام عند مرضه حيث أصر النبي عليه السلام على أن يتولى أبا بكر الصلاة وقال فى ذلك حديثا شهيرا ورد بعدة طرق منها كما فى البخارى
( يأبي الله والمؤمنون إلا أبا بكر)
وقد روى البخارى حادثة السقيفة التى نجمت عنها مبايعة الصديق بالرواية الصحيحة حيث تم الاتفاق على البيعة بلا منغصات وقبلها جميع الصحابة فيما بعد بالشورى حيث أن النبي عليه الصلاة والسلام ترك الأمر فى الحكم والخلافة شورى بين المسلمين وانتهى بذلك عصر النبوة والعصمة
وعليه فالروايات المزيفة التى تروى عن رواة الشيعة كأبي مخنف لوط بن يحيي الأزدى أن هناك خلافا وصراعا دب على السلطة كلها عبارة عن ترهات دسها هؤلاء الإخباريون ولم تثبت قطعا بأى سند صحيح ، وقد لجأ المؤرخون لرواية الطبري ونقلها بعضهم وهى رواية منقولة عن الشيعي أبي مخنف لوط بن يحيي الذى أجمع المحدثون على أنه من أهل الكذب "٢"

والرواية الصحيحة الواردة فى البخارى تغنى كل طالب حق عما سواها
وفضائل أبي بكر الصديق رضي الله عنه أكبر من أن يسعها مقام الكلام ، فيكفيه أنه كان ثانى إثنين إذ هما فى الغار وخصاله وفضائله التى بينها النبي عليه الصلاة والسلام لا تكاد تحصي وقد نصر الله به الإسلام أولا وآخرا ، حيث شهد له النبي عليه الصلاة والسلام بأنه الوحيد الذى

لم يكن فى إيمانه تردد ولا تلعثم
ولقبوه الصديق يوم أن كان الذى بادر إلى تصديق النبي عليه الصلاة والسلام فى رحلة الإسراء والمعراج مع إنكار القوم لها ،
وهو الذى دعا أساطين الصحابة فيما بعد للإسلام كما نصر الله به المستضعفين حيث بذل ماله كله فى سبيل الله وفى ذلك يقول النبي عليه الصلاة والسلام
( ما نفعنى مال مثلما نفعنى مال أبي بكر )
وعندما تولى الخلافة وبدأت أحداث الردة وارتجفت الأرض نارا من حول المسلمين ما بين ردة القبائل داخل الجزيرة وبين طمع الروم فى حرب المسلمين أيضا
ولكن كان هناك أبو بكر ،
صاحب العزيمة التى لا تلين والثقة التى لا تنضب فحارب المرتدين فى نفس الوقت الذى نفذ فيه أمر النبي عليه الصلاة والسلام فى إنفاذ جيش أسامة بن زيد إلى حدود الروم وردعهم ، رغم ما يعنيه هذا من خطورة عندما تبقي المدينة بلا جيش فى مواجهة المتربصين ، وقال فى ذلك كلمة تكتب بماء الذهب
( والله لو لعبت الكلاب بأرجل أمهات المؤمنين فى المدينة ما تركت أمر رسول الله عليه الصلاة والسلام )
ثم شكل القيادات والسرايا والبعوث وأخمد نار الفتنة فى الجزيرة ولم يتوان بعدها أو يستريح بل شكل الجيوش الإسلامية لفتح فارس والشام ، فكانت البداية التى تواتر عقدها بعد ذلك فى عهد الفاروق
وتوفي رضي الله عنه ودفن إلى جوار النبي عليه الصلاة والسلام طاهرا مطهرا ، وقد لعبت الروايات الشيعية دورا فى محاولة تشويه صورته بأسلوب ساذج فأثاروا الشبهات حوله وتكفل العلماء بالرد عليها تفصيلا "٣"

ثانيا :
قبيل وفاة أبي بكر رضي الله عنه أوصي بعد استشارة أصحابه على تولية عمر بن الخطاب رضي الله عنه خليفة للمسلمين فناقشه فى ذلك بعض الصحابة لما يعرفون من شدة عمر فى الحق فأقنعهم أبو بكر بأنه يترك عليهم خير خلق الله فى زمانه كما هو فى رواية بن سعد فى الطبقات الكبرى "٤"
وخرج كتاب البيعة لعمر مع عثمان بن عفان رضي الله عنه وقرأه على الناس وهم جميعا

حاضرون فقبلوه وتولى الفاروق أمر الأمة فكانت أزهى عصور الخلافة
حيث سقطت فى عهده دولتى فارس والروم معا وكانت الجيوش الإسلامية تحارب على الجبهتين معا ، فسقطت فارس فى يد كبار مجاهدى الجبهة مثل المثنى بن حارثة وخالد بن الوليد قبل انتقاله لجبهة الشام وأيضا سعد بن أبي وقاص قائد جبهة الفرس فى موقعة القادسية ونهاوند

وسقطت الروم وافتتح بيت المقدس على يد مجموع الجيوش الإسلامية فى الشام بقيادة خالد بن الوليد وأبو عبيدة بن الجراح وعمرو بن العاص وزياد بن أبي سفيان ومعاوية شقيقه
أما فى العدل فحدث ولا حرج حيث لا زالت سيرة عمر بن الخطاب تمس الأفق فى عدله وورعه ، بل تجاوزت سمعته فى العدل والإنصاف حدود دولة الإسلام إلى الغرب حيث أنصفه الأوربيون فوضعوه ضمن أعظم مائة شخصية فى الإسلام "٥"
وفى التنظيم الإدارى قدم للخلافة الدواويين وأنشأ عدة أنظمة إدارية للعطاء والخراج فحقق فيه قول النبي عليه الصلاة والسلام فى الحديث الصحيح
( لم أر عبقريا يفري فريه )
وفضائله ومآثره كثيرة جدا وكلها تشي بفرط عدله وحياديته فى الحكم وتبجيله وتوقيره للصحابة رضي الله عنهم ،
ولا ننسي أن نشير إلى رواية غير صحيحة تداولتها كتب التاريخ قديما وحديثا وهى رواية لا تثبت ، وهى قصة إسلام عمر بن الخطاب حيث تقول القصة الشهيرة أنه أتى يريد قتل النبي عليه السلام فى دار بن الأرقم فسمع أن أخته فاطمة بنت الخطاب أسلمت وزوجها فحول وجهته إلى بيتها وضربها على وجهها فلما سال الدم رق لها وطلب منها أن يري صحيفة القرآن ، وعندما رآها وقرأ ما فيها دخل فى الإسلام
هذه الرواية لا تصح ولم تثبت سندا رغم شهرتها الواسعة لأن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أسلم فى بطحاء مكة عند الكعبة على يد النبي عليه الصلاة والسلام بعد حوار قصير بينهما ونلفت النظر هنا إلى نقطة هامة للغاية وهى أن الشيعة استغلت هذه الرواية الشهيرة عن ضرب عمر لفاطمة شقيقته لكى تسقط الرواية على فاطمة الزهراء رضي الله عنها فاخترعوا أسطورة أن عمر ضرب الباب على فاطمة رضي الله عنها وكسر ضلعها وذلك لإجبار على بن أبي طالب على البيعة لأبي بكر
وكأن عمر وأبا بكر وغيرهما من الصحابة أعضاء فى حكومة ثورية كالتى يشهدها عالمنا المعاصر !
ونحن لا نحتاج قطعا إلى أن نثبت زيف هذه الأسطورة التى تمثل عارا على جبين الرافضة إلى اليوم حيث أنها أظهرت علىّ رضي الله عنه بصورة العاجز عن الدفاع عن زوجته أمام اعتداء مباشر ، !
ومن الملاحظ أن عددا من مراجع الشيعة اليوم مثل محمد حسين فضل الله المرجع الشيعي اللبنانى شعروا بخزى هذه الرواية التى ينشرونها بين عوامهم لمجرد تشويه صورة عمر رضي

الله عنه بما لا يقبله العقل ولا يقره النقل فأنكروها إنكارا شديدا
وكما قلنا سابقا أن الحقد الشيعي على عمر متأجج بشكل فادح بسبب دوره فى إسقاط فارس ولهذا لعب الفرس الذين تستروا بالتشيع لعبتهم فى اختلاق هذه الروايات التى تناسب طبيعتهم ومجتمعهم ولكنها تتنافي حتى مع أخلاق العرب فى الجاهلية فضلا عن الإسلام

ثالثا :
بعد اغتيال عمر بن الخطاب واستشهاده رضي الله عنه بيد أبي لؤلؤة المجوسي الفارسي لعنه الله أوصي قبيل موته بأن يكون الأمر شورى فى الستة الباقين من العشرة المبشرين بالجنة ، يتداولوا الأمر ويرتضون الخليفة الثالث فيما بينهم
ومن فرط عدله رضي الله أبي أن يدخل فى الشورى صهره سعيد بن زيد رغم أنه من العشرة وذلك تلافيا للمجاملة التى قد تكون نظرا للقرابة بينه وبين عمر بن الخطاب رضي الله عنهما فتخيلوا أى حيادية وأى عدل كان يمثله الفاروق رضي الله عنه ، فرغم أن سعيد بن زيد من العشرة وفضله معروف ويحق له الدخول فى الشورى والاختيار إلا أن مجرد قرابته من عمر وشكه أن الناس قد تجامله لذلك قام باستبعاده على الفور
ومن الإشاعات المغرضة التى روجتها الروايات الباطلة أنه أمر بقتل أصحاب الشورى إذا لم يتفقوا وهذا مما يدل على الغباء فى التزوير قبل أن يدل على خبث الطوية ، فكيف يجرؤ عمر رضي الله عنه على هذا الأمر بحق كبراء الصحابة ، وما هو هدفه من ذلك وهو على فراش الموت
والرواية الصحيحة الثابتة أنه اختار أهل الشورى وأمرهم أن يجمعوا أمرهم بينهم على خليفة قبل مضي ثلاثة أيام درء للفتنة

وكان أصحاب الشورى ستة هم عثمان وعلى وطلحة والزبير وسعد وعبد الرحمن بن عوف ، وفى أول اجتماع تنازل عبد الرحمن بن عوف وفضل أن يكون حياديا دون تزكية أحد ، فارتضي به الخمسة حكما بينهم
وتنازل طلحة والزبير وسعد لصالح الصحابيين الجليلين عثمان وعلىّ وبقي الخيار بينهما ، فقام عبد الرحمن بن عوف بأوسع استفتاء شهدته الخلافة التى ما رأت من قبل انتخاب خليفة على مستوى القاعدة الشعبية بأكملها قبل ذلك ، لأن الخلافة كانت تتم بالتشاور بين أهل الحل والعقد فى المدينة ثم تطرح هذه الزمرة الفاضلة ـ التى كانت تشكل مجلسا أشبه بالمجلس التشريعي ـ اسم الخليفة وتعلنه بين العامة فى المدينة وباقي الأمصار فيتولى الخلافة
أما فى أمر أصحاب الشورى فقد جاب عبد الرحمن بن عوف بيوت أهل المدينة جميعا لثلاثة أيام يستفتى الناس ويري اختيارهم فاختاروا عثمان بن عفان رضي الله عنه إجماعا ، فكانت بيعته البيعة الأولى من نوعها فى شعبيتها وذلك لأنه ما من أحد اختلف على تقديمه لسابق فضله

وبايع الإمام علىّ مع المبايعين ولا إشكال وعمل كعادته وزيرا مع الخليفة الراشد عثمان كما كان من قبل وزيرا لأبي بكر وعمر وأصبح من المتعارف عليه بين الصحابة والمجتمع الإسلامى أن العشرة المبشرين هم أسياد الصحابة وأفضلهم الأربعة الأوائل بالترتيب ثم يتساوى الستة الباقون ثم يتبعهم فى الفضل أصحاب بدر ثم أصحاب أحد ثم بقية المشاهد ثم يتساوى الميزان مع سائر الصحابة ، وفى هذا المعنى قال عبد الله بن مسعود فى رواية السيوطى بتاريخ الخلفاء

(كنا نفضل الناس بأبي بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علىّ ثم سائر العشرة ثم أهل المشاهد ثم نترك الناس لا نفاضل بينهم)

وكانت سنوات خلافة عثمان امتدادا للعظمة الراشدة التى أقرها أبو بكر وعمر رضي الله عنهما فاستمرت الفتوحات شرقا وغربا واتسعت إلى مدى هائل شمل سائر إفريقية وبلغ خراسان وتوسعت المعيشة وازداد الرغد بسبب تدفق الغنائم ، ومضت السنوات على عهد النبي عليه الصلاة والسلام واتسعت دائرة المسلمين فشملت أقواما من العجم فيهم ما فيهم سواء من النفاق أو الصلاح

وافتعل عبد الله بن سبأ وبعض أقرانه من الفرس فتنة عمياء فى مصر والعراق تهتف ضد الخليفة الراشد وتدعو للثورة عليه وخلعه فى مفاهيم كانت جديدة على العالم الإسلامى الذى كان لا يزال يعيش مشكاة النبوة ،

ومارس رواة الشيعة دورهم المعتاد فألفوا عشرات الروايات عن مطاعن تمس عثمان رضي الله عنه وتروى الفتنة بوجهة نظر لم تكن واقعا ملموسا وأثبت المحدثون وعلماء الأخبار كذبها جميعا "٦"

ولم تكن الثورة على عثمان ثورة كما صورها هؤلاء المؤرخون بل كانت شغبا قادته شراذم تعد بالعشرات وتتبعها طبقات من الجهلاء والعوام اجتمعوا فى المدينة المنورة وتجمعوا حول دار الخليفة مطالبين بعزله

هنا ثار الصحابة إلى السلاح لتطهير المدينة من تلك العصابات والدفاع عن الخليفة لا سيما وأن شيئا مما عابه الثوار على عثمان لم يكن أثر واقع ، ثم تطورت الأمور بعد رحيلهم واستجابتهم لتهديد الصحابة ليعودوا مرة أخرى إلى المدينة زاعمين أن عثمان أرسل لعامله على مصر عبد الله بن سعد بأن يقتل هؤلاء الثوار وأبرزوا كتابا مفترى على عثمان لا أصل له

واتضحت أبعاد المؤامرة عندما سألهم الإمام على بن أبي طالب كيف اجتمعتم مرة أخرى وقد ذهب أهل العراق باتجاه العراق وذهب أهل مصر باتجاه مصر ، كيف عرف أهل العراق بحكاية الكتاب حتى يعودوا فى نفس التوقيت مع أهل مصر ؟!

وكان واضحا للجميع أن الأمر مدبرا بليل فلبس الإمام علىّ سلاحه وطلب من عثمان أن يمنحه الإذن بالقتال فأبي عثمان بإصرار شديد تورعا من تبعات الدماء وراجعه جميع الصحابة فأصر على الرفض

ثم طلب عثمان من أولاد الصحابة الذين يبيتون حوله يحرسونه أن يخرجوا إلى منازلهم وأقسم عليهم بطاعته ، فاستغل الثوار الفرصة ووثبت شرذمة منهم إلى دار الخليفة فقتلوه وهو يقرأ فى المصحف
وكانت حادثة الاغتيال غير متصورة فى عقول سائر أهل المدينة لكونهم لم يفكروا فى أن الأمر سيصل بهؤلاء إلى مثل تلك الجريمة لكن ما لم يحسبه الصحابة أن قادة الفتنة كانوا قد انتظموا وصارت لهم أتباع بالآلاف وكلهم من الغوغاء
واهتزت المدينة للحادث الجلل وكاد زمام الأمور يفلت لولا أن استجاب الإمام علىّ للبيعة فخرج للمسجد وبايعه الناس وأولهم الصحابة .،

أما الإفك المبين فكان متمثلا فى عدة روايات اختلقها الرواة الشيعة وكلها مطعون فيها بلا جدال ، ومنها على سبيل المثال

* أن الصحابة رضي الله عنهم من ثاروا على عثمان لإنكارهم عليه بعض تصرفاته ، وهذا من الكذب بلا جدال فلم يكن بين المشاغبين صحابي واحد ولا حتى عامى من أهل المدينة ، ومن أكبر الإفك أن من روجوا هذه الشائعة جعلوا سبب ثورة الصحابة أن عثمان رضي الله عنه ساوى بين الصحابة فى العطاء وكان عمر رضي الله عنه قد فرق فى العطاء بين الصحابة القدماء وبين الذين أسلموا بعد الفتح ،
وهذا المطعن يسقط بمجرد النظر إليه لأنه يتنافي وأخلاق الصحابة فى ذلك العهد وهوان شأن الدنيا عليهم إلى الحد الذى جعلهم يبذلون ما يأتى إليهم من أموال فى سبيل الله ولا يحتفظون لأنفسهم بشيئ ! فكيف يثور أمثال هؤلاء على المال ،
هذا بالإضافة لخلو كتب التاريخ الموثقة من أى ذكر صحيح لو برواية واحدة تشير إلى اشتراك الصحابة فى هذا الأمر بل الروايات تجزم بأن من وقف للفتنة دفاعا عن عثمان هم الصحابة أنفسهم وعلى رأسهم على وطلحة والزبير وبن عمر وغيرهما "٧"
والفتنة كانت سببها المؤامرات التى قادتها تلك الشراذم بعد أن انتشرت أموال الفتوحات وعاش الناس فى رغد ، فاستغل مروجوا الفتنة غوغاء العوام فى تأليبهم على الخليفة تطبيقا للنظرية الواقعية وهى أن انتشار المال يكون سببا فى البطر وعدم الرضا ، "٨"
وقد روى عن عروة بن الزبير قال :
( أدركت زمن عثمان وما من نفس مسلمة إلا ولها حق فى مال الله ) "٩"

* ومن المطاعن الساذجة أيضا أن عثمان بن عفان رضي الله عنه كان ضعيف الشخصية ، وهذا قول استغل المرجون له ما اشتهر عن حياء عثمان رضي الله عنه ولم يفرق هؤلاء بين خلق الحياء وبين الضعف ،

والثابت من قراءة تاريخ خلافة عثمان رضي الله عنه أنه كان لا يقل حزما وقدرة عن عمر بن الخطاب وأول مظاهر حزمه نجاحه فى الوقوف أمام انقلاب الروم والفرس على الولايات التى فتحها المسلمون ، فثارت بعض ولايات العراق وكذلك عاد الروم مرة أخرى لمصر بعد أن أخرجهم عمرو بن العاص وتعرضت الخلافة لهزة مشابهة لتلك التى حدثت فى عهد أبي بكر فقام عثمان رضي الله عنه بتجهيز الجيوش ووجهها لنقاط التمرد وقضي عليها جميعا وأحكم قبضة الخلافة على أراضيها ،
ولم يكتف بذلك بل قام بإنشاء أول أسطول بحري للمسلمين رغم أنهم كعرب كانوا منعدمى الخبر فى قتال البحر وعمر بن الخطاب رضي الله عنه بالرغم من قوة قلبه لم يتخذ قرار تكوين أسطول بحري للمسلمين وغزو الروم من الحر لخوفه من هلاك الجيوش أمام خبرة الروم فجاء عثمان وبشجاعة القائد كون الأسطول ووجهه إلى المعركة الشهيرة ( ذات الصوارى ) وكان انتصار المسلمين ساحقا بكل المقاييس
كما أنه كان حازما فى حسابه للولاة والعمال على عكس ما نشره الأفاكون فقد بلغه أن الوليد بن عقبة وهو أحد ولاته شرب الخمر وجاء للشهادة شاهدين فعزله عثمان على الفور وأقام عليه الحد بلا تردد رغم أنه من أقربائه إلا أنه لم يحابيه فى دين الله ،
بالرغم من أن تهمة شربه للخمر لم تثبت أصلا بشاهدين عدل لأن الشاهدين كانا من المطعون فيهما من أهل الكوفة كما بين ذلك القاضي أبو بكر بن العربي فى كتابه الهام ( العواصم من القواصم ) "١٠"

* ومن أشهر ما اشتهر عن عثمان رضي الله عنه هو موضوع توليته لأقاربه ، ورددته الألسنة بغير تحقيق للأمر ، فإذا نظرنا إلى أقارب عثمان رضي الله عنه فهم
معاوية وعبد الله بن سعد بن أبي سرح والوليد بن عقبة وسعيد بن زيد وعبد الله بن عامر
أما بقية ولاة عثمان فهم من باقي الصحابة وبلغ عددهم ١٧ واليا ، بينما أقاربه خمسة ،
فكيف يمكن أن نعمم الإتهام عليه رضي الله عنه ومن تولى من أقاربه خمسة فى مقابل ١٧ واليا من غيرهم وحتى هؤلاء الذين ولاهم عثمان رضي الله عنه لم يحابيهم لأنه ببساطة وضعهم فى نفس الأماكن التى وضع فيها النبي عليه الصلاة والسلام وعمر وأبو بكر رضي الله عنهما أمثالهم من بنى أمية لأنهم أهل عزة وكرم وشرف وسؤدد ولم يتول منهم أحد الإمارة إلا أدى حقها فلم يبتدع شيئا جديدا وهؤلاء كانوا أكفاء للولاية وسبقه إلى ذلك من سبقه للحكم
هذا فضلا على أن هؤلاء الخمسة لم يولهم عثمان فى وقت واحد بل ولاهم على مراحل وعزل منهم الوليد بن عقبة كما تقدم وعندما توفي عثمان لم يتبق من أقاربه أحد فى سدة الإمارة إلا ثلاثة فقط وهم معاوية وعبد الله بن سعد وعبد الله بن عامر والثلاثة قاموا بواجب الإمارة على أحق ما يكون ، فمعاوية رضي الله استقر له أمر الشام رغم مجاورته للروم وعبد الله بن سعد هو الذى فتح إفريقية

بالإضافة لما هو أهم وهو أن على بن أبي طالب ولى أقاربه أيضا لأنهم استحقوا التولية ، ولم يكن بين ولاة على رضي الله عنه من هو أفضل من ولاة عثمان إلا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما
وكما سبق أن بينا أن هذا الجيل لم تكن فيهم المحاباة والدليل على ذلك ما فعله عثمان مع الوليد بن عقبة رغم أنه من أقاربه
أما فضل عثمان بن عفان ففيه من السيرة العطرة ما يشرف أى أمة تنتسب إليها مثل الشخصية الفريدة ، فيكفيه شرفا قول النبي عليه الصلاة والسلام أن عثمان تستحي منه الملائكة كما ثبت فى الصحيح ، ويكفيه أنه كان زوج ابنتى النبي عليه الصلاة والسلام رقية وأم كلثوم وهذا نقطة تشير إلى مكانته الفريدة حتى يرتضيه النبي عليه السلام زوجا لبنتين من بناته
وأعز الله به الإسلام سواء فى بداية الدعوة أو فى المدينة أو بعد خلافته ، ففي خلافته أشرقت البلاد بالرغد وانتشر الإسلام إلى مزيد من أقطار الأرض ، وقبل الخلافة كان مناصرا للنبي عليه السلام بنفسه وماله وكان هو الذى اشتري للمسلمين بئر رؤمة التى كانت ملكا ليهودى بالمدينة استخدمها للضغط على المسلمين وابتزازهم فاشتري عثمان منه نصف البئر ثم اشتراه كاملة بعد ذلك ووهبها للمسلمين بلا أجر
وفى أحد أعوام المجاعة بالمدينة أقبلت إحدى قوافله التجارية للمدينة تسد البصر ، فهرع إليه التجار من كل ناحية يرغبون فى شراء بضائعه فأبي بيعها ووزعها كاملة فى سبيل الله وأعلن أنه لا يتاجر فى القوت والناس على جوع وفاقة ،
وفى غزوة العسرة تلك الغزوة الشريفة التى قال الله عنها فى كتابه
[لَقَدْ تَابَ اللهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ العُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَحِيمٌ] {التوبة:١١٧}
لما حفلت به تلك الغزوة من مشقة فى التجهيز ، فجاء عثمان رضي الله عنه فجهز جيش العسرة كله من خالص ماله وانبهر به النبي عليه الصلاة والسلام فقال
( ما ضر عثمان ما فعل بعد اليوم )
كما شهد له النبي عليه الصلاة والسلام بالجنة وبشره بها على بلوى تصيبه وهى الفتنة ، وبسبب هذه البشارة وهذا العهد امتنع عثمان رضي الله عنه من فض الثوار والغوغاء بالقوة وأمر أصحابه بترك السلاح وفدى الأمة بنفسه رضي الله عنه ولم يقبل أن يقتل بسببه صحابي واحد فى الدفاع عنه

رابعا :
تولى الإمام علىّ فى ظل ظروف الفتنة القائمة وكان أهم ما يشغله أن يطهر المدينة من الشراذم التى شاركت فى القتل ثم يبدأ فى البحث والتحقيق عن قتلته للقصاص ، لا سيما أن الفاعلين كانوا مجهولين بأعيانهم وكل ما عرفه الإمام علىّ أنهم شراذم من البصرة والكوفة ولكن الرأس المدبر لم يكن واضحا

وأرسل الإمام علىّ بولاته للأمصار راجيا أن تستتب الأمور أولا قبل الشروع فى تحقيق القصاص
ولكن طلحة والزبير طالباه بسرعة القصاص خوفا من أن يتكرر انفلات الأمور ويفلت الجناة بفعلهم أو يحتموا بقبائلهم كما حدث فعلا بعد ذلك .
فرفض الإمام علىّ التعجل لا سيما وأنه كان يفتقد القوة العسكرية اللازمة لتطهير المدينة ، فاستأذن طلحة والزبير رضي الله عنهما للخروج إلى مكة وخرجا فعلا وهما ينويان تشكيل جيش يأخذون به القصاص من الذين فروا بفعلتهم إلى الكوفة والبصرة وهناك التقوا مع أم المؤمنين عائشة التى وافقتهم الرأى على ضرورة الأخذ بثأر الخليفة الشهيد بعد أن تزلزل كيانهم من الفعل الشنيع ، وبعد أن زج المنافقون بأسماء الصحابة فى مؤامرة تشويه الخليفة الراشد فزوروا خطابات بأسماء على وطلحة والزبير وعائشة تدعو الناس إلى قتال عثمان ، وهذا مما زاد من غضب الصحابة رضي الله عنهم
وخرج جيش طلحة والزبير والسيدة عائشة إلى العراق بهدف إدراك حق عثمان من الذين فروا ولم ينتبهوا إلى أن رءوس الفتنة لا زالوا مندسين بالمدينة وفى قلب الجيش الذى شرع الإمام علىّ فى تشكيله
ووردت أنباء جيش طلحة والزبير للإمام علىّ فشد الرحال إلى العراق ليري الأمر وأدركهم هناك بعد أن خاضوا جولة أو جولتين وتفهم الطرفان الموقف واتفقا على اتحاد الجيشين والعمل تحت قيادة واحدة
ومن أعظم الإفك ما رددته الروايات المألوفة من أصحاب الفتن من أن جيش أم المؤمنين خرج بنية الخروج على الإمام علىّ ونقض بيعته ، وكيف يكون ذلك وقد خرج الجيش إلى العراق أساسا ، بينما الإمام على فى المدينة !
وبالإضافة لتلك الروايات زاد الرواة إشاعة شهيرة وهى أن طلحة والزبير شهدا شهادة زور أمام أم المؤمنين عند ماء الحوأب وهذا من الإفك المبين الذى لا أصل له فى نقل ولا عقل " "
ونعود للقصة الحقيقية حيث التقت أطراف التفاوض لتسوية الأمر وهو ما تم فعلا
وكما يقول بن كثير (بات المؤمنون بخير ليلة وبات المنافقون بشر ليلة ) "١١"
فعندما بلغت أنباء التفاهم بين الطرفين آذان عبد الله بن سبأ وزمرته أدركوا على الفور أن هذا التصالح سيمنح الفرصة للإمام علىّ فى كشف الأمر واستخراج القتلة من جيشه بسهولة بعد استقرار الأمور
فما ضيعوا وقتا ، وعملت كتيبة منهم على اقتحام جيش طلحة والزبير ليلا وهم نيام وأعملوا فيهم طعنا وقتلا ونادوا بأن جيش علىّ غدر بهم وفى جيش الإمام علىّ فى نفس التوقيت فعلت كتيبة أخرى المثل واشتعلت المعركة على حين غرة

وهذه كل الروايات المثبتة فى شأن وقعة الجمل من كتب التاريخ المحققة

* يقول الباقلاني ( التمهيد فى الرد على الملحدة ـ ٢٢٣)

وقال جلة من أهل العلم إن الوقعة بالبصرة بينهم كانت على غير عزيمة على الحرب بل فجأة، وعلى سبيل دفع كل واحد من الفريقين عن أنفسهم لظنه أن الفريق الآخر قد غدر به، لأن الأمر كان قد انتظم بينهم وتم الصلح والتفرق على الرضا، فخاف قتلة عثمان من التمكن منهم والإحاطة بهم ، فاجتمعوا وتشاوروا واختلفوا، ثم اتفقت أراؤهم على أن يفترقوا ويبدؤوا بالحرب سحرة في العسكرين ،
ويختلطوا ويصيح الفريق الذي في عسكر علي: غدر طلحة والزبير، ويصيح الفريق الآخر الذي في عسكر طلحة والزبير: غدر علي، فتم لهم ذلك على ما دبروه، ونشبت الحرب، فكان كل فريق منهم مدافعاً لمكروه عن نفسه، ومانعاً من الإشاطة بدمه، وهذا صواب من الفريقين وطاعة لله تعالى إذا وقع، والامتناع منهم على هذا السبيل، فهذا هو الصحيح المشهور، وإليه نميل وبه نقول

* يقول ابن العربي فى ( العواصم من القواصم ص١٥٩ )

وقدم علي البصرة وتدانوا ليتراؤوا، فلم يتركهم أصحاب الأهواء، وبادروا بإراقة الدماء، واشتجر بينهم الحرب، وكثرت الغوغاء على البغواء، كل ذلك حتى لايقع برهان، ولا تقف الحال على بيان، ويخفى قتلة عثمان، وإن واحداً في الجيش يفسد تدبيره فكيف بألف

* يقول ابن حزم (الفصل في الملل والأهواء والنحل ٤/٢٣٨-٢٣٩ )
وأما أم المؤمنين والزبير وطلحة - رضي الله عنهم - ومن كان معهم فما أبطلوا قط إمامة علي ولا طعنوا فيها... فقد صح صحة ضرورية لا إشكال فيها أنهم لم يمضوا إلى البصرة لحرب علي ولا خلافاً عليه ولا نقضاً لبيعته ... وبرهان ذلك أنهم اجتمعوا ولم يقتتلوا ولا تحاربوا، فلما كان الليل عرف قتلة عثمان أن الإراغة والتدبير عليهم، فبيتوا عسكر طلحة والزبير، وبذلوا السيف فيهم فدفع القوم عن أنفسهم فرُدِعُوا حتى خالطوا عسكر علي، فدفع أهله عن أنفسهم، وكل طائفة تظن ولا تشك أن الأخرى بدأتها بالقتال، فاختلط الأمر اختلاطاً لم يقدر أحد على أكثر من الدفاع عن نفسه، والفسقة من قتلة عثمان، لعنهم الله لا يفترون من شب الحرب وإضرامها

*: ويقول ابن كثير (البداية والنهاية ٧/٥.)
واصفاً الليلة التي اصطلح فيها الفريقان من الصحابة: وبات الناس بخير ليلة، وبات قتلة عثمان بشر ليلة، وباتوا يتشاورون، وأجمعوا على أن يثيروا الحرب من الغلس

*: ويقول ابن أبي العز الحنفي ـ شرح العقيدة الطحاوية( ص٧٢٣)
فجرت فتنة الجمل على غير اختيار من علي ولا من طلحة والزبير، وإنما أثارها المفسدون بغير اختيار السابقين
أما القول في أنها خرجت من بيتها،وقد أمرها الله بالاستقرار فيه في قوله تعالى: {وقرن في بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولـى }
فالرد عليه:
أن عائشة -رضي الله عنها- إنما خرجت للصلح بين المسلمين، ولجمع كلمتهم، ولما كانت ترجو من أن يرفع الله بها الخلاف بين المسلمين لمكانتها عندهم، ولم يكن هذا رأيها وحدها ،بل كان رأي بعض من كان حولها من الصحابة الذين أشاروا عليها بذلـك
يقول ابن العربي :
( وأما خروجها إلى حرب الجمل فما خرجت لحرب، ولكن تعلق الناس بها وشكوا إليها ما صاروا إليه من عظيم الفتنة وتهارج الناس، ورجوا بركتها في الإصلاح وطمعوا في الاستحياء منها إذا وقفت للخلق، وظنت هي ذلك، فخرجت مقتدية بالله في قوله:
( لاخير في كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس)
وبقوله تعالى
( وإن طائفتان من المؤمنين أقتتلوا فأصلحوا بينهما )
هذا والآية نفسها ترد على من اتهم أحد الطرفين بالخروج عن الإسلام أو الفسق حيث أن نص الآية يقول
( وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ المُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللهَ يُحِبُّ المُقْسِطِينَ)
[الحجرات:٩]
أى أن القتال بين طوائف المسلمين لا ينفي عنهما الإيمان فضلا عن الإسلام وهذا أمر منطقي فى حالة اقتتال طائفتين تحسب كل منهما باجتهاد المخلص أنها على الحق

وقد صرحت عائشة نفسها بأن هذا هو سبب خروجها، كما ثبت ذلك عنها في أكثر من مناسبة وفي غير ما رواية.

فروى الطبري أن عثمان بن حنيف - رضي الله عنه -
( وهو والي البصرة من قبل علي بن أبي طالب أرسل إلى عائشة -رضي الله عنها- عند قدومها البصرة من يسألها عن سبب قدومها، فقالت: والله ما مثلي يسير بالأمر المكتوم، ولا يغطّي لبنيه الخبر، إن الغوغاء من أهل الأمصار، ونزاع القبائل، غزوا حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأحدثوا فيه الأحداث، وآووا فيه المحدثين، واستوجبوا فيه لعنة الله ولعنة رسوله مع ما نالوا من قتل إمام المسلمين بلا ترة ولا عذر، فاستحلوا الدم الحرام فسفكوه، وانتهبوا المال الحرام، وأحلوا البلد الحرام، والشهر الحرام، ومزقوا الأعراض والجلود، وأقاموا في دار قوم كانوا كارهين لمقامهم، ضارين مضرين غير نافعين ولا متقين، ولا يقدرون على امتناع ولا يأمنون، فخرجت في المسلمين أعلمهم ما أتى هؤلاء القوم وما فيه الناس وراءنا، وما ينبغي لهم أن يأتوا في إصلاح هذا، وقرأت:
{لا خير في كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس}
فنهض في الإصلاح ممن أمر الله عز وجل ، وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم الصغير والكبير والذكر والأنثى، فهذا شأننا إلى معروف نأمركم به ونحضكم عليه، ومنكر ننهاكم عنه ونحثكم على تغيـــيره ) ـ انتهت الرواية ـ

وهكذا ومن خلال اتفاق أهل التحقيق نفهم أن القتال شجر على غير إرادة الطرفين فيه
وعبثا حاول علىّ وطلحة والزبير تدارك الأمور فلم يفلحوا حتى انتهت المعركة بسقوط عشرات القتلى بين الفريقين وسيطر الإمام علىّ على الأمور بصعوبة وقام بتأمين أم المؤمنين عائشة وردها سالمة إلى المدينة المنورة ثم التفت إلى جيشه واتخذ الكوفة عاصمة له فى أكبر خطأ ارتكبه الإمام وندم عليه فيما بعد

لم يكن جيشه يحوى من الصحابة الكثير بل كانت الغالبية العظمى منه من أهل الكوفة وفيهم من شارك بنفسه فى قتل عثمان رضي الله عنه وهؤلاء مثلوا صداعا فى رأس الإمام علىّ لكونهم أهل نفاق فضلا على أن رءوس الفتنة بينهم تقوم بواجبها على أكمل وجه فعاش الإمام علىّ بينهم أسوأ سنوات عمره
وقد تشوهت وقائع معركة الجمل وحملت اتهامات عديدة لأم المؤمنين وطلحة والزبير ولها من روايات الشيعة الباطلة
وثبتت أقوال الإمام على بحق الكوفة وأهلها وسبه لهم لعصيانهم له وخذلانهم لأمره وهم يزعمون أنهم شيعته وأحبابه

فى تلك الفترة بالذات بدأت جذور فكرة التشيع الفارسي العقدى حيث أعلن بن سبأ أن الإمام علىّ كانت له الخلافة حصرا بعد النبي عليه الصلاة والسلام وأنه وصيه كما كان يوشع بن نون وصي موسي عليه السلام

كما كان بن سبأ أول من أظهر السب والطعن بحق أبي بكر وعمر ونشره بين أهل الكوفة
فبلغ هذا الكلام مسامع الإمام علىّ فصعد المنبر وهو يقبض على لحيته ودموعه تسيل على خديه وتبللها وقال خطبته الشهيرة التى بدايتها
( ما بال أقوام تتناول حبيبا رسول الله عليه وسلم وصاحباه ورجلى الإسلام )
كما ثبت عنه من ثمانين وجها أنه قال على المنبر
( من يفضلنى على الشيخين جلدته حد المفترى )

وهم بقتل عبد الله بن سبأ لولا أن أقنعه بعض أصحابه أنه من قال ذلك عن طيش فتركه ، فذهب هذا الملعون ينشر أول أقوال عقيدة التشيع وهى عقيدة الإمامة والوصاية بالوراثة على الدين وأن الأئمة محددين نصا وأنهم معصومون إلى غير ذلك من الأفكار التى وجدت فى البيئة الفارسية مرتعا كبيرا
ثم دخل الإمام علىّ فى أمر معاوية رضي الله عنهما ، وهى المسألة التى حظيت بأكبر قدر من التشويه على مدى التاريخ الإسلامى حيث حفلت بالأكاذيب التى حققها المحدثون وبينوها
وأصل الخلاف بينهم لم يكن على الخلافة من قريب أو بعيد ولم يجرؤ معاوية طيلة حياة الإمام علىّ أن يطلب لنفسه الخلافة بل وضع شرط القصاص أمام قبوله بيعة الإمام علىّ
ورفض الإمام على هذا الشرط وأصر على أن يبايعه أولا ثم يطلب القصاص باعتباره ولى دم عثمان ، وكانت وجهة نظر واجتهاد الإمام على هى الصواب وكان معاوية أيضا مجتهدا فيما ذهب إليه وإن لم يكن الحق معه كما كان مع علىّ
والقتال بينهما احتوته الآية الكريمة
{ وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ {الحجرات:٩}
فليس معنى وقوع القتال بين جبهتين أن أحدهما فاسق أو كافر بل جعل اله الوصف للفرقتين هو وصف المؤمنين والبغي المذكور فى الآية لا يعنى التكفير من قريب أو بعيد
يدل على ذلك أيضا ما ورد عن النبي عليه الصلاة والسلام عن الإمام الحسن الذى صالح معاوية فيما بعد فبشر النبي عليه السلام بذلك وقال :
( إن ابنى هذا سيد ولعل الله يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين)
وقال النبي عليه الصلاة والسلام عن الفئتين أيضا
( تمرق مارقة على حين فرقة من المسلمين تقتلهم أدنى الطائفتين إلى الحق )

والفرقة المارقة المقصودة هى الخوارج الذين خرجوا على الإمام علىّ فى حرب صفين فقاتلهم علىّ فى معركة النهراون وهزمهم والنبي عليه الصلاة قال أن الذى يقتلهم أدنى الطائفتين إلى الحق

معنى هذا أن كلا الطائفتين على ومعاوية كان يجتهدان لبلوغ الحق لا الحكم والدنيا وأن اجتهادهما مأجور والأقرب للصواب هو جانب الإمام علىّ

فأول التزوير والتلفيق

كان فى اتهام معاوية أنه سعي للحكم وهو ما يثبت من أى وجه وفى أى رواية أنه سمى نفسه أميرا فى مواجهة على بن أبي طالب بل ثبت العكس وهو إقراره بفضله ولكنه طلب دماء عثمان أولا

وثانى أوجه التزوير

تمثل فى أن رواة الشيعة أوضحوا أن الطرفين كانا يلعنان بعضهما وهو كذب وزور مفضوح حيث رفض الإمام علىّ سب الخوارج أنفسهم رغم ظهور فسقهم فكيف بأهل الشام ، وكان يراهم متأولين وينهى أصحابه وجيشه عن سبهم وكان يقول(قولوا اللهم أصلح ذات بيننا وبينه )

وثالثة الأسافي فى التزوير

هى انتشار قصة التحكيم المكذوبة الشهيرة التى تداولتها الألسن وهى من رواية لوط بن يحيي الكذاب المشهور وتحمل طعنا فى معاوية وأبي موسي الأشعري وعمرو بن العاص وما جرى منها فى الواقع شيئا

فقد نادى معاوية فريق علىّ بالاحتكام لكتاب الله فقبل علىّ على الفور ولم يجادل كما صورته كتب الشيعة وأرسل لهم أبا موسي ومعه عبد الله بن عباس وتقابل عن جبهة الشام معهم عمرو بن العاص ولم يستغرق النقاش طويلا حتى اتفق الطرفان عمرو وأبو موسي على أن يكون أمر قتلة عثمان ـ لا أمر الخلافة ـ فى يد جبهة مستقلة من الصحابة الذين لم يشاركوا فى القتال وهذه هى الرواية الصحيحة التى رواها الدارقطنى ونقلها عنه القاضي أبو بكر بن العربي فى (العواصم من القواصم ) وبين مدى الافتراء فى الرواية الباطلة للتحكيم والتى قالوا فيها أن عمرو خدع أبا موسي وأنه كان مغفلا وأنهما كان يناقشان أمر الخلافة إلى غير ذلك من الأكاذيب المشتهرة "١٣"

وقبل عمرو بن العاص بقرار أبي موسي ، ولكن الطرفان على ومعاوية لم يقبلا بالحكم وتجدد الخلاف بينهما

ولكن الخلاف لم تنشأ عنه معركة أخرى حيث استشهد الإمام علىّ بيد عبد الرحمن بن ملجم الخارجى وتولى بعده الإمام الحسن الذى كان حاضرا مع أبيه تلك المشاهد ولقي من أهل الكوفة الإيذاء بما فيه الكفاية فرفض القتال وأرسل لمعاوية للصلح ، ولما علم الشيعة من حوله بذلك طعنوه فى فخذه وأهانوه وسموه مذل المؤمنين فصمم على البيعة لمعاوية وهو ما تم بالفعل بعد ذلك لتجتمع الأمة فى عام

الجماعة على البيعة لمعاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهم جميعا

وقد راجت عدة أكاذيب حول موقعة صفين وبحق الصحابيين الجليلين عمرو بن العاص ومعاوية بن أبي سفيان منها

* أن عمرو بن العاص تحالف مع معاوية ف طلب الخلافة مقابل ولاية مصر ، وهذا من الكذب

الغير سائغ لأن أصل مطالبة معاوية بالخلافة ما ثبت من أى وجه فكيف يتفق معاوية مع عمرو على شيئ لم يتحقق أصلا ولا كان معاوية طالبا إياه فى حياة الإمام على أبدا
وعن أبي مسلم الخولانى أنه دخل على معاوية فقال له
( أنت تنازع عليا أأنت مثله )
فقال معاوية
( لا والله إنى لأعلم أن عليا أحق وأفضل بالأمر ولكن ألستم تعلمون أن عثمان قتل مظلوما وأنا بن عمه وأنا أطلب بدمه فاتوا عليا فقولوا له أن يدفع لى قتلة عثمان وأسلم إليه الأمور )
وتكمل الرواية ( فأتوا عليا فكلموه فأبي عليهم ـ أى رفض عرض معاوية ـ ولم يدفع القتلة )
"١٤"
هذا مع ملحوظة أن معاوية لم يبدأ بقتال أبدا ولم يخرج على الإمام علىّ بسيفه ولكن رهن البيعة بتنفيذ مطلب القصاص وهو حق مشروع كفله الله تعالى لولى الدم فى قوله تعالى
[وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلَّا بِالحَقِّ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا فَلَا يُسْرِفْ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا] {الإسراء:٣٣}
أى أن لولى الدم سلطان فى مطالبته بحق القتيل ، وهذا ثابت بحق معاوية ولم يجادل به أحد أما إن قيل أن معاوية ليس هو ولى دم عثمان على اعتبار أن أبان بن عثمان على قيد الحياة وهو أحق بدم أبيه فيرد عليه بأن التشريع الإسلامى فى القصاص جعل ولاية الدم رهنا بالقدرة لا بقرب القرابة ، وبالتعبير الدارج أن ولى الدم هو كبير العائلة التى ينتمى إليها القتيل وهذا باتفاق الفقهاء كما نقل بن قدامه وغيره

أما بشأن عمرو بن العاص رضي الله عنه فهو أحد المهاجرين وأسلم طوعا وينسحب عليه من الفضائل ما ينسحب على سائر المهاجرين ، وقد مدحه النبي عليه الصلاة والسلام فى قوله ( نعم المال الصالح للعبد الصالح )
وقال فيه وفي أخيه سعيد بن العاص ( ابنا العاص مؤمنان )
فهذا شهادة المعصوم عليه الصلاة والسلام بالإيمان والصحبة والفضل لعمرو بن العاص فاتح الشام ومصر ، وتلك الشهادة لا تنقضها روايات الكذابين التى ادعت أنه باع دينه بدنياه
ومن المختلقات والكذب أيضا أن على بن أبي طالب طلب من معاوية المبارزة فأيهما قتل صاحبه صارت الخلافة إليه ،
وهذا طعن فى على رضي الله عنه أنه ينازع بالقتال على الخلافة ، فواضعوا هذه الروايات من

الزنادقة لم ينتبهوا أنهم يسيئون إلى على بأكثر مما يسيئون لمعاوية حيث جعلوه فى معرض المنافسة الدنيوية على الخلافة ،
وتكمل الرواية المختلقة أن عمرو بن العاص هو الذى برز للإمام على وقاتله الإمام وهزمه فلما أحس عمرو بالهزيمة كشف عن عورته أمام على ليتركه ،
وهذا كله كذب صراح
وتلك الروايات تناسب أخلاق الأعاجم الذين وضعوا أمثال تلك الأساطير دون أن يدركوا طبيعة المجتمع العربي والذى كان فى الجاهلية فضلا على الإسلام يموت دون كرامته ولا يفقدها
فلما جاء الإسلام تمم تلك الأخلاق والمكارم ، ولو جاز لنا أن نتصور حدوث مثل هذا الفعل من محارب عتيد مثل عمرو بن العاص لكنا بذلك نطعن فى شهادة النبي عليه الصلاة والسلام فيه ، بالإضافة إلى أن هذا الفعل ما كان ليفعله عبد رقيق وليس رجل بمروءة عمرو بن العاص وكرامته واعتزازه
هذا فضلا على أن الإمام على لم يطلب مثل هذه المبارزة من الأساس وهى من مختلقات أبي مخنف

* من المختلقات أيضا أن معاوية بن أبي سفيان أمر بسب علىّ بن أبي طالب على المنابر وزادوا فى الرواية أن بنى أمية ظلوا مدة خلافتهم يسبون عليا رضي الله عنه سبعين عاما حتى جاء عمر بن عبد العزيز فأبدل ذلك الأمر
وهذا من ناحية السند ساقط لا أصل له وأورده الشيعي المعروف أبو الفرج الأصفهانى فى كتابه الأغانى ، وهو كتاب مسامرات لا كتاب تاريخ يعتد به فضلا على خلوه من الأسانيد المتصلة أو الصحيحة بالإضافة لشيعية صاحبه
أما من ناحية المتن ،
فمشكلة تلك الروايات أنها تتفق جميعا فى ضحالة فكر من ألفها ، فالذى ينظر إلى صحاح السنة يجد فضائل على بن أبي طالب رضي الله عنه ملئ السمع والبصر وهى مكتوبة ومروية فى العهد الأموى فكيف يسبونه على المنابر ويشجعون العلماء على إبراز تلك المرويات
هذا فضلا على أن الطاعنين بتلك الروايات يتجاهلون أن الإمام الحسن بايع معاوية بالخلافة راضيا وعهد إليه معاوية بولاية العهد فكيف جاز للحسن أن يسلم أمر المسلمين لرجل غير صالح فضلا على أنه يسب أباه ؟!
وثبت حتى من كتب الشيعة أنفسهم أن الحسن والحسين رضي الله عنهما كانا يفدان على معاوية كل عام فيستقبلهما بالإعزاز والإكرام ، فكيف يستقيم هذا مع أمره بسب أبيهما ، "١٥"
ثم أين بنو هاشم وأين الصحابة من هذا الفعل وهم الجيل الذين امتدحهم الله تعالى لأنهم يأمرون بالمعروف وينكرون المنكر !
إنما الثابت الصحيح أن السب كان من جهة الخوارج ومن جهة النواصب الذين تخلفت عنهم الفتنة

أما ما يستشهد به الشيعة اليوم من رواية صحيح مسلم أن معاوية أمر سعد بن أبي وقاص بسب علىّ
فهذا كذب والرواية فى صحيح مسلم لا تحمل أمرا من معاوية بالسب بل تحمل استفسارا حيث يقول معاوية لسعد
( ما منعك أن تسب أبا تراب )

فأجابه سعد بترديد فضائل على بن أبي طالب وانتهى الحوار إلى هذا الحد فالأمر كان استفهاما من معاوية عن إنكار سعد لسب السبابين فجاء جوابه بالسبب ، تماما كما نسأل نحن فى عصرنا الحالى أى داخل جديد فى الإسلام ( ما الذى دفعك للإسلام ؟ )
فالغرض معرفة السبب وإلا كان هذا السؤال بناء على مقاييس الرافضة يحمل أمرا للمهتدى بالردة عن الإسلام !

* ومعاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه صحابي ثابت الصحبة ويثبت بحقه من الفضائل ما يثبت لسائر لصحابة فضلا على أنه كان من كتبة الوحى بين يدى النبي عليه الصلاة والسلام وصح عنه أنه قال عن معاوية ( اللهم اجعله هاديا واهد به ) "١٦"
وقد حكم بلاد المسلمين عشرين عاما تمر كالبلسم فى تاريخ الإسلام ازدادت فيه الفتوحات واستقر أمر الدولة ،
وقد قيل لعبد الله بن المبارك ( من أفضل معاوية أم عمر بن العزيز )
فقال بن المبارك ( تراب فى منخرى معاوية مع رسول الله عليه الصلاة والسلام خير من عمر بن عبد العزيز ) وهذا لما فى فضل الصحبة من مكرمة جعلها الله سبحانه وتعالى حقا لهذا الجيل الفريد
أما أخطاؤه ، فكان منها أن أخذ البيعة ليزيد من بعده وكان يظنه صالحا وكفؤا للأمر ، ولكنه ما أجبر مخلوقا على البيعة لولده ، بل عرض البيعة له فقبلها من قبلها ورفضها من رفضها وكان الرافضون أقل فانعقدت ليزيد ،
ويزيد كان فى حياة أبيه يختلف عن فترة حكمه كما ثبت من شهادة محمد بن على بن أبي طالب المعروف بابن الحنفية ، حيث كان يظهر التقوى والصلاح وله سداد رأى ، بيد أنه بعد توليه الخلافة ظهر منه نزوعه للدنيا ، وهو من ولاة الأمر الفاسدين فى الخلافة
بعكس أبيه الذى ثبت فضله من أكثر من وجه ،
فهذه هى قصة الفتنة من وقائع مصادرها المحققة ، بعيدا عن روايات التزييف المعهودة ،
وموقف أهل السنة والجماعة من خلاف على ومعاوية رضي الله عنهما هو الموقف الواضح أن ما جرى بينهما قتال بين طائفتين من المؤمنين ، كان الحق فيه لعلى بن أبي طالب ومعاوية كان مخطئا فى اجتهاده ،

وأصل عقيدة السنة أيضا هو السكوت عما شجر بين الصحابة ، ووضع ما بدر منهم فى الفتنة من أخطاء موضعها الصحيح ، فنحن لا ندعى فيهم العصمة لكن بالمقابل نرفض تلويث هذا الجيل بروايات مختلقة تخالف الواقع وتخالف صريح القرآن
وولايته ضمن الفترة التى امتحدها النبي عليه الصلاة والسلام فى حكم المسلمين حيث كان معاوية أول ملوك الإسلام ... فالحديث الصحيح يقول :
( تكون الخلافة بعدى ثلاثون عاما ثم تكون ملكا ثم تكون حكما وجبرية )
فالممدوح هنا كان الخلافة الراشدة والملك والذم ألحق فقط بالحكم التالى على ذلك

## هوامش البحث


١ ـ روايات الكذابين فى التاريخ الإسلامى ـ بحث للدكتور خالد كبير علال
٢ ـ مرويات أبي مخنف فى تاريخ الطبري ـ رسالة دكتوراة للدكتور يحيي ابراهيم ـ جامعة الامام بالسعودية
٣ ـ يراجع رد تلك الشبهات فى كتاب ( حقبة من التاريخ ـ عثمان الخميس )
٤ ـ الطبقات الكبري لابن سعد ـ ترجمة عمر بن الخطاب رضي الله عنه
٥ ـ العظماء مائة أعظمهم محمد ـ مايكل هارت ـ ترجمة أنيس منصور
٦ ـ تحقيق موقف الصحابة من الفتنة ـ د. محمد أمحزون
٧ ـ المرجع السابق ـ خلافة عثمان رضي الله عنه
٨ ـ عصر الخلافة الراشدة ـ د. أكرم ضياء العمرى
٩ ـ مصنف بن أبي شيبة ـ الجزء الثالث
١٠ ـ العواصم من القواصم ـ القاضي أبو بكر بن العربي
١١ ـ المصدر السابق
١٢ ـ البداية والنهاية لابن كثير
١٣ ـ مرويات أبي مخنف فى تاريخ الطبري ـ مصدر سابق
١٤ ـ رواها الذهبي فى تاريخ الإسلام باسناد صحيح
١٥ ـ الشيعة وآل البيت ـ إحسان إلهى ظهير
١٦ ـ فضائل معاوية ـ للشيخ محمد أمين الشنقيطى

## السؤال الثانى : قصة ماء الحوأب

*مر بى أن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها لما خرجت إلى الكوفة مرت على منطقة سمعت فيها نباح كلاب فسألت عنها فقيل لها إنها الحوأب ، فتذكرت حينئذ قول النبي عليه الصلاة والسلام : " أيكن ستنبح عليها كلاب الحوأب "*
*فقفلت عائدة ، فهل الخبر صحيح إذ كيف يتفق هذا مع خروجها ووسعيها في الأمر*

## الجواب

أما الحديث فصحيح وله شواهد تعضده
وأما الخبر فخطأ ،
وأصل القصة أن النبي عليه الصلاة والسلام أخبر بما علمه الله من الغيب بإحدى زوجاته ستمر بماء يقال له الحوأب والحديث ليس فيه أى مطعن أو عتاب بل هو مجرد إخبار بالغيب
وقد أسقط الحديث عدد من العلماء مثل القاضي أبو بكر بن العربي غير أن الألبانى صححه وعاب على بن العربي فى تضعيفه
والحديث يوازى ما أخبر به النبي عليه الصلاة والسلام عليا فقال له
( إنه سيكون بينك وبين عائشة أمر فإذا حدث فارددها إلى مأمنها )
وخرجت السيدة عائشة إلى ماء الحوأب بالفعل وعرفت به فأرادت الرجوع لكن طلحة والزبير رضي الله عنهما رغباها بالإستمرار لأن الحديث لم يحمل فى معناه تحذيرا أو انذارا وقالا لها امضي لعل الله يصلح بين المسلمين بك

أما التزوير فهو الزيادات التى زادها الإخباريون على الحديث وعلى الخبر حيث افتروا أن بالحديث تحذيرا وطعنا لمن تنبحها كلاب الحوأب وليس فى الرواية شيئ من ذلك
كما افتروا على طلحة والزبير رضي الله عنهما أنهما شهدا زورا بأن هذا الماء ليس بماء الحوأب
وهذا كله كذب واختلاق
بل ويدل على الحماقة لأن خروج عائشة وطلحة والزبير لم تكن فيه أصلا منفعة دنيوية حتى يهدفان إلى تحقيق ذلك بشهادة زور ، وهذا إن تصورنا طبعا أنه من الممكن أن تصدر منهما وهذا مستحيل فطلحة والزبير من العشرة المبشرين وعائشة رضي الله عنها المبرأة بالقرآن وزوجة النبي عليه الصلاة والسلام فى الدنيا والآخرة

رضي الله عنهم جميعا وجزاهم عن الإسلام خيرا

## السؤال الثالث : الفارق بين البدعة والعمل الحسن

*يقول ابن الجوزي في كتابه : " متى أسند المُحدَثُ إلى أصل مشروع لم يذم " تعقيبا على قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه : نعمت البدعة هذه " لمن صلى جماعة في صلاة التراويح في رمضان . فهل كان اجتهادا حمدت به البدعة ؟*

*والاجتهاد يكون بناء على عودة للأصل ، كيف نفرق بين مقام ضرورته والتخوف من البدعة وتشريع ما لم يشرعه النبي عليه السلام بمثال أن زيد بن ثابت قال لأبي بكر وعمر رضي الله عنهما حين قالا له : اجمع القرآن : " كيف تفعلان شيئا لم يفعله رسول الله عليه الصلاة والسلام ؟"*

*- قال الإمام في كتابه أن أصول الفرق هي ستة : الحرورية ، والقدرية ، والجهمية والمرجئة ،والرافضة،والجبرية؛ وأن كل فرقة منهم انقسمت إلى اثنتي عشرة فرقة وما قالوه واعتقدوا به فما هو المذهب الأصلي لكل أصل منهم ؟*

## الجواب :

بالنسبة لموضوع البدعة ، فالأصل فى كل قضية حتى يتم حلها على نحو صحيح ، هو أن نردها للتعريف ،

فالتعريف الشامل الموجز مكتمل العناصر يوفر علينا التفرع ويمنحنا دليلا وهاديا لمعرفة أبعاد كل مصطلح

وتعريف البدعة : هو أمر حادث فى الدين لم ينزل به القرآن أو تقول به السنة أو يؤثر عن سلف

فى ضوء هذا التعريف نستطيع ببساطة أن نعرف حدود وصف البدعة ومتى نسقطها على الأفعال

البدعة لابد أولا أن تكون فى الدين ، ومعنى أنها فى الدين أى أنها فى أمر متعلق بالعبادات أو الأوامر أو النواهى بحيث يتم إقحام رأى جديد ليس له أدنى أصل فى القرآن والسنة وفعل الصحابة ،

وهكذا ببساطة نستطيع أن نستبعد باطمئنان كل أمر حادث لا يأتى بشيئ جديد فى دين الله من حيث الضوابط الحاكمة لكل طاعة ،

وأيضا نستبعد أى أمر ولو كان حادثا طالما أن له أصل فى كتاب أو سنة أو إجماع

وكمثال للتوضيح ،

العبادات المفروضة سواء كانت من الفرض أو السنة توقيفية فليس لأحد أن يزيد فيها أو ينقص أو يضيف من عنده شيئا لم تلحقه

كأن يزيد فى عدد الركعات أو أيام الصيام أو يشرع الصيام فى يوم معين أو ما شاكل ذلك

وهنا تظهر إشكالية ،

كيف نفصل بين البدعة وبين النوافل التى هى من الطاعات المستحبة

الفارق الرئيسي هو أن النوافل شخصية الفعل ، بمعنى أن المسلم يزيد على الفرض بعد أدائه ما شاء من العبادة وتكون البدعة فى حالة واحدة فقط إذا شرع لغيره هذه النوافل ودعا الناس

لاتباعها بنظام معين يحدده هو كما لو كان مشرعا
ويخرج من ذلك الإطار مسألة أن يقوم شخص ما بتقليد شخص آخر فى نوافله وطاعاته ومعيار التفرقة كما قلنا هو أن يشرع المتعبد نظاما محددا بعدد ركعات أو صيام بأيام محددة ويدعو غيره إليه
كما يخرج من إطار البدعة المخترعات الحديثة والأساليب الحياتية التى تتطور يوما بعد يوم فتلك أمور من أمور الدنيا وما دخل منها فى خدمة الدين لا يعتبر بدعة لأنها عبارة عن تيسير للأساليب وليس إبتكارا فى الدين
مثل استخدام الإنترنت أو المخترعات الجديدة فى تيسير طلب العلم مثلا

ونأتى لأهم نقطة ،
وهو أن البدعة محصورة فى نطاق العبادات فقط والفروض والتنظيم التشريعي لها ، وبالتالى يخرج منها نهائيا أمور العلم الفقهى ،
ولو جاز لها أن تدخل لتوقف الناس عن طلب العلم كله ، ولاعتبرنا المذاهب الفقهية بدعة لأنها لم تكن على عهد النبي عليه الصلاة والسلام ولاعتبرنا التفكر فى آيات الله وعلوم التفسير والقراءات وما شاكل ذلك بدعة أيضا ،
وعليه ،
فعلوم الفقه والتشريع وطلب العلم ليست من الأمور الوقفية فى العبادات ،
ولهذا فإن سؤالك عن مسألة جمع القرآن الكريم سؤال فى غير مكانه لأن هذا الجمع أمر اجتهادى لا علاقة له بمجال البدعة المحرمة ،
وأما قول زيد بن ثابت كيف نفعل شيئا لم يفعله رسول الله عليه الصلاة والسلام ، فلم يكن سؤاله استنكارا لأنه برأيه بدعة ، بل لأن أمر تنظيمى فى مجال القرآن الكريم لم يرد فيه إذن عن النبي عليه الصلاة والسلام
نأتى الآن لتقسيم البدعة الذى اختلف فيه العلماء والسؤال الذى يتردد بكثرة وهو هل هناك بدعة سيئة وبدعة حسنة أم أن البدعة سيئة بطبيعتها أيا كانت
ذهب الشافعى رضي الله عنه إلى تقسيم البدعة إلى نوعين حسنة وسيئة ،
وذهب الجمهور إلى أن البدعة تحمل وصف السوء فى أصلها ولا يوجد شيئ اسمه بدعة حسنة ومعنى أنها تحمل وصف السوء فى أصلها أى أن مسمى البدعة هو مسمى لمعصية فى أساسه

كأن نقول الزنا مثلا فلا يستدعى منا أن نقول الزنا السيئ لأنه فى حد ذاته يحمل أمر تحريمه وهو فعل سيئ لا يجوز بأى حال ولا يوجد شيئ اسمه زنا حسن
ورأى الجمهور هو الأقرب للصواب ،
لأن أحاديث النهى عن البدعة وردت بهذا الوصف وحده ولم يلصق بها النبي عليه الصلاة والسلام وصف البدعة السيئة
لأنه نهى عن البدعة بعموم مهما حملت فى طياتها حسنا أو قبحا ، فقال

( وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة فى النار )
يؤيد هذا المفهوم أيضا أن المبتدعين لا يلزم أن يأتوا فى الدين بشيئ سيئ ويلصقوه به ، بل أغلب المبتدعين يأتون بما يراه الناس حسنا ويرونه هم حسنا ويلصقوه فى الدين ، كأن يزيدوا فى الطاعات المفروضة شيئا يلحقوه بها وهى زيادة على أى حال لكنها قطعا مرفوضة ،
ويؤيد هذا ما فعله عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عندما جاء إلى مسجد النبي عليه الصلاة والسلام فرأى أقواما قد تجمعوا فى حلقة يذكرون الله وفى أيديهم الحصي يعدون به عدد التسبيحات ،
فهذا الفعل حسن فى ظاهره ، لكن عبد الله بن مسعود واجهه بحزم عنيف بالغ فقال
( ما أسرعكم إلى الهلكة يا أمة محمد )
فلما قالوا له أننا لا نريد إلا الخير قال
( وكم من مريد للخير لا يدركه قوموا فعدوا سيئاتكم فأنا أضمن ألا يضيع من حسناتكم شيئ )
ونهى وغضب بن مسعود لم يكن لأجل التسبيح فهو أجل الطاعات عند الله
ولكن الغضب كان لبدعة عقد مجلس ذكر وعد التسبيحات ، فهذا الأمر يبعث على الرياء من جهة ومن جهة أخرى يبعث على الاستهانة بالمعاصي عندما يدخل إبليس على المسبح من باب أنه أتى من الطاعات ما يوجب له المغفرة
ولإدراك مدى خطورة البدعة يكفينا أن نعلم أن المبتدع إذا بدء بدعته بشيئ يسير فإن زاوية التجاوز تتزايد شيئا فشيئا ، والدليل على ذلك أن عبد الله بن مسعود رأى هؤلاء القوم أنفسهم الذين كانوا يذكرون الله فى مسجد النبي عليه الصلاة والسلام يحاربون مع الخوارج فى موقعة النهروان ، فانظروا إلى أى مدى وصلت بهم البدعة البسيطة التى أدخلت عليهم الرياء والغرور وعدم الاكتراث بعلم أهل العلم إلى أن يتبعوا الخوارج أصحاب أكبر بدعة فى التاريخ الإسلامى لماذا ؟
لأنهم ظنوا بأنفسهم الأفضلية على جميع الناس حتى الصحابة لمجرد أنهم جمعوا أنفسهم على الذكر فحسبوا أنفسهم فى مأمن من الشيطان
أما احتجاج القائل بالبدعة الحسنة أن عمر بن الخطاب قال عن صلاة التراويح ( إن كانت بدعة فنعمت البدعة إذا ) فهذا يدل على عدم فهم البلاغة العربية ،

فعمر رضي الله عنه يقول لئن كانت بدعة ، أى أنه يقول لمن يرفضها تحت مسمى البدعة أنها لو كانت كذلك لكانت حسنة ،
لكن هذا يعنى إطلاقا أنه رآها بدعة ، لأن النبي عليه الصلاة والسلام صلي التراويح فى زمنه فلم يكن الفعل أصلا من البدعة فى شيئ
وهذا الأسلوب التعبير شهير فى لغة العرب بل أرساه الله فى القرآن بقوله تعالى
[قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ العَابِدِينَ] {الزُّخرف: ٨١}
فهل يمكن أن نقول أن النبي عليه الصلاة والسلام ادعى للرحمن ولدا

وكذلك قول الشافعى فى مدح آل بيت النبي عليه الصلاة والسلام
إن كان رفضا حب آل محمد ×× فليشهد الثقلان أننى رافضي
فهل نقول أن الشافعى الذى يكفر الروافض يقول بأن الرفض هو حب آل محمد ،
إنما هو يرد على الخوارج الذين رأوا بدعة الرفض تشمل حب آل البيت

قال بن الجوزى أن أصل الفرق ستة ,
الحرورية ، والقدرية ، والجهمية والمرجئة ، والرافضة , والجبرية
وهذا ما اتفق عليه علماء الفرق, وفى البداية نوضح نقطة هامة ,
أن هذه الفرق هى أصل الفرق الداخلة فى عداد الفرق الإسلامية التى حددها النبي عليه الصلاة والسلام ,
ولكن من خلال تلك الفرق نفسها تفرعت طوائف لا تعتبر أصلا من فرق الإسلام وليست معدودة ضمن الاثنين والسبعين فرقة لأنها ببساطة طوائف خارجة عن ملة الإسلام وما ابتدعته من الأمور لا يمكن قبوله على أنه مجرد بدعة كما هو الحال مع الفرق بل هى كفر بواح لا يمكن أن يعذر صاحبه بالجهل
والفارق بين البدعة التى تصل أحيانا إلى الكفر وبين الفعل الذى يخرج عن الملة قطعا هو أن الكفر الذى يأتى به المبتدعة يحتمل التأويل ويحتمل العذر بالجهل أما الطوائف فهى خرجت من هذا الإطار إلى أقوال تخرج صاحبها إلى ملة الكفر البواح الظاهر ومثالها النصيرية والسبئية والبهائية والدروز من فرق الشيع فهؤلاء ألهوا البشر أصلا ولم يقولوا بالتوحيد

أما أصول الفرق ومجمل عقائدها ,

الحرورية : وهى الخوارج أول الفرق ظهورا فى الإسلام كانت الخوارج وهم الذين خرجوا على الإمام على رضي الله عنه بعد أن كانوا فى جيشه , وبدأت بدعتهم بقول( لا حكم إلا لله ) ردا على قبول الإمام على للتحكيم فى موقعة صفين ,
فرد عليهم الإمام على بأنها مقولة حق أريد بها باطل لأنه نعم لا حكم إلا لله ولكن هؤلاء القوم يقولون لا إمرة ولا تحكيم
وناظرهم بنفسه كما ناظرهم بن عباس فرجع منهم عدد كبير واستمر الباقون على بدعتهم حتى قتلوا عبد الله بن خباب وأفسدوا فى الأرض فقاتلهم الإمام على ف النهروان وهزمهم ,
وأصل عقيدتهم يقوم على تكفير الطائفتين فى موقعة الجمل وصفين ,
كما يرون البراءة من عثمان بن عفان رضي الله عنه ,
ويكفرون مرتكب الكبيرة فمرتكبها عندهم كافر وليس مجرد مذنب ، وأنكروا أن الداخل فى النار يمكن أن يخرج منها
وتفرقوا فرقا شتى حول هذه العقيدة وما تبقي منهم اليوم هو المذهب الإباضي المطبق فى عمان

الشيعة : ثانى الفرق ظهورا وبدأت بالفرقة السبئية وتفرعت عنها فرق أخرى كما شرحنا وأصل عقيدتهم هو عقيدة الإمامة بمعنى أن الدين لا يمكن أن يكمل أو يتم إلا إذا كان كان إمام يخلف النبي عليه الصلاة والسلام فى حمل أمانة الرسالة ويفتى الناس فى أمور دينهم ولابد أن يكون معصوما وعليه النص والوصية
واختلفت فرق الشيعة فى تحديد الأئمة اختلافا عظيما وشذ كل منهم بقول
وما يتفقون عليه أيضا هو بدعة الرفض بمعنى رفض جميع الخلفاء السابقين على الإمام على الذين يرون فيه النص والعصمة , ومنهم فرقة حازت من الحماقة شيئا عظيما حيث كفرت الإمام على نفسه لرفضه العمل بالوصية ,

الجهمية : تنتسب إلى الجهم بن صفوان صاحب أو بدعة تفرعت عنها مقالات المعتزلة فيما بعد وهم ينكرون السنة ولا يقبلون إلا بالتواتر فى العقيدة ويرفضون إثبات الصفات لله عز وجل ودخلوا فى أمور تأويل المتشابه فأنكروا صفات الكلام والرؤيا والسمع والبصر والاستواء على العرش ونحو ذلك
وقالوا بخلق القرآن واختلفت معهم المعتزلة فى بعض التفاصيل إلا أن الأصل الذى يجمعهم واحد وهو عدم الاعتداد بالنهى عن إقحام العقل فى مسائل المتشابه التى لا يتبعها إلا أهل الزيغ

المرجئة : وهم فرقة ظهرت على الصعيد الإسلامي في بداية العصر الاموي في المدينة المنورة، ولعبت دوراً خطيراً على مسرح الأحداث السياسية اثر الاختلافات حول مقتل عثمان وانقسام الأمة إلى فريقين واتخذت جانب الاحتياط في تأييد كلا الفريقين، وسُمُّوا بالمرجئة لانهم تولَّوا المختلفين جميعاً ورجَوْا لهم المغفرة ولا يقضون بحكم على الذين اختلفوا وتنازعوا في الخلافة .لأنهم لم يقضوا على مرتكب الكبيرة وأخروا الحكم عليه الى يوم القيامة.
وهم عكس فرقة الخوارج على طول الخط
فبينما الخوارج كفروا كل أصحاب موقعة الجمل وصفين ، وكفروا صاحب الكبائر ,

فهؤلاء قالوا بأن الإيمان يثبت بمجرد القول فقط بغض النظر عن العمل ، ومرتكب الكبائر عندهم متوقفون فيه بمعنى أنهم لا يحكمون عليه بشيئ حتى مجرد وصفه بالذنب ولكنهم يرجئون أمره لله تعالى يوم القيامة ومن هنا جاءت تسميتهم بالمرجئة
وبلا شك أن التوقف فيما حسمه الله ورسوله عليه الصلاة والسلام من أوصاف الكفر أو الذنب يخالف طبيعة الرسالة والتشريع وينهى الفارق تماما بين المسلم والكافر أو الوقوع فى كفر أو ارتكاب الكبائر ومعنى التوقف أن نسكت عن وصف المذنب أو فعله بوصفه المستحق

القدرية : وهم الذين قالوا بأن الله لا علم الأشياء قبل وقوعها ـ تعالى الله عن ذلك ـ وأن العبد مسئول عن أفعاله وأن قدر الله تعالى لا يمضي العبد بمعنى أن العبد يخلق فعله بنفسه واختياره الحر

الجبرية : وهم الذين عاكسوا القدرية فقالوا أن جميع الأفعال والأشياء هى بقدر الله وحده إجبارا وأن العبد ليست له مسئولية أو اختيار فى أفعاله لأن الله قدرها عليه

والفرقتان القدرية والجبرية كلاهما ابتعد عن النظرة الوسط للعقيدة السليمة لأن أفعال العباد تقع بعلم الله وقدره دون شك ، ولكن للعبد أيضا اختيار فى فعله وهو حر فى اختياره
ومسألة حريته فى اختياره لا تنفي أن الله سبحانه وتعالى يعلم بعلمه المحيط ما الذى سيختاره كل عبد من عباد

## السؤال الرابع : ما هى المصلحة المرسلة ؟

*أي أمر تنظيمي لم يرد فيه إذن عن النبي عليه الصلاة والسلام , وسألت عن ذلك فقيل إن هذا الأمر ومثله في مقامه يكون لمصلحة مرسلة لم أفهم معنى المصلحة المرسلة وكيفية توظيفها ومتى يؤخذ بها ؟*

## الجواب :

تنقسم المصالح فى الشريعة لثلاثة أنواع ,
مصلحة شرعية : أى حض عليها الشرع ونظمها وشجعها مثل حفظ المال والنفس و ..... الخ
مصلحة غير مشروعة : وهى المصلحة التى يراها العبد لنفسه ، بمعنى أنه يراها مصلحة بينما الشارع الحكيم حرمها لما تسببه من مفاسد مثل الزنا مثلا ,
مصلحة مرسلة : وسميت مرسلة لأنها على إرسالها أى إطلاقها فالكلام المرسل هو الكلام العام الغير محدد ، وهى المصلحة التى لم يرد فيها نص لا بتحليل ولا بتحريم بل سكت عنها الشارع

تعريف المصلحة المرسلة بهذا الشكل يندرج تحت دائرة واسعة تركها الله سبحانه وتعالى لأولى الأمر والاختصاص للحفاظ على ضروريات المجتمع الإسلامى فى حفظ العرض والمال والنفس والحرية وما إلى ذلك ، وهى أشبه بالتدابير التى يتخذها ولى الأمر ـ الفقيه أو الحاكم أو كليهما ـ فيشرعونها لأجل مصلحة مؤكدة

وهنا قد يثور تساؤل ما الفارق بين المصلحة المرسلة والتدابير الإحترازية أو ما يعرف فى الشريعة باسم سد الذرائع
تتفق المصلحة المرسلة والتدابير الاحترازية فى أن كليهما لم يأت به النص وتركه لولى الأمر على سبيل الاستثناء
لكن الفارق الرئيسي
أن التدابير الإحترازية أو سد الذرائع تكون لسد الباب أمام مفسدة أو معصية أو فتنة
بينما المصلحة المرسلة تكون لأجل منفعة تعود على المجتمع ولا يلزم أن تكون لدفع ضرر
أمثلة:
التدابير الاحترازية أو سد الذرائع يكون مثلا أشبه بقرار الحاكم بمنع الخروج من المنازل رغم أنه حق مشروع , لكن الحاكم يفعله فى وقت معين تفاديا لضرر مؤكد متوقع الحدوث
وأيضا مثاله أن تعتقل الشرطة مجرما رغم أنه لم يثبت بحقه جرم ، إلا أنهم يعتقلونه لأن الغالب على الظن أنه سيرتكب جريمة قتل
ومثاله ما فعله عمر بن الخطاب رضي الله عنه عندما منع خروج الصحابة من المدينة إلى الأمصار لئلا يفتتن بهم الناس

أما المصلحة المرسلة
فمثالها وضع التنقيط على الحروف فى اللغة بعد أن كثر اللحن فى القراءة وكاد الناس لا يدركون ألفاظ القرآن
فرغم أن النقاط لم تكن موجودة بالمصحف إلا أن الفقهاء أجمعوا على موافقة وضع النقاط زمن عبد الملك بن مروان بعد اقتراح الحجاج بن يوسف مخافة اللحن الفاحش فى قراءة القرآن
ومنها أيضا جمع الناس على مصحف واحد زمن الخليفة الراشد عثمان بن عفان رضي الله عنه توحيدا للقراءة لنفس السبب
كذلك منها جمع المصحف من الرقاع وصدور الرجال لنفس السبب
ومنها فى عصرنا الحالى توثيق عقود الزواج ورقيا ورقابة الدولة عليها رغم أن العقد فى الزواج ينعقد عرفيا بشكل صحيح إلا أن مصلحة حفظ الأعراض اقتضت تضييق ذلك بالتوثيق الرسمى

وهناك مصلحة مرسلة نتمناها جميعا نادى بها بعض العلماء الثقات
وهى أن يتم تحقيق التراث الإسلامى بحيث ننزع من الكتب الأصلية قبل نشرها الروايات الضعيفة والموضوعة ونبقي فقط الروايات الصحيحة لأن العهد الحالى ليس بعهد علم
ولم يعد أحد من المثقفين فضلا على العوام يستطيع أن يميز بين ورود رواية فى كتاب تاريخ وبين اثباتها ولا يفصل بين هذا وذاك
مما كلف الأمة مشقة الضلال المبين وكلف العلماء مشقة التحقيق والبحث ومحاولة تبسيط منهج التاريخ الإسلامى للعوام بكل ما يحمله هذا من صعوبة بعد أن ساهم أئمة الضلال فى التلبيس على الناس باستغلال جهلهم بطريقة الكتابة قديما
فهذا إجراء لابد منه ليس لحفظ التاريخ الصحيح بل حتى لحفظ مقام هؤلاء العلماء الأعلام من نقد الجهلة , منذ سنوات ذهبت لشراء تاريخ الطبري وكان صاحب المكتبة ـ للكارثة ـ مثقف وملم بالتاريخ ومع ذلك قال لى وهو ينصحنى ابتعد عن هذا الكتاب لأنه مدسوس
و ..... وقال فيه وفى مؤلفه العلامة الجليل الطبري ما قال مالك فى الخمر
لماذا ؟ لأنه لم يفهم الفارق بين عقيدة الإمام الطبري وبين منهجه فى تاريخه حيث أورد الروايات كلها مسندة وبهذا أخلى ذمته من الروايات الشنيعة فى تاريخه تطبيقا لقاعدة ( من أسند فقد أحال ) لكن هذا المسكين حكم على الطبري بأنه كذا وكذا لأنه رآه يروى روايات بشعة عن الصحابة وهذا برأيه يسقط قيمة الرجل العلمية!

## السؤال الخامس : مواقف أبي الحسن الأشعري

*بين المعتزلة الذين أسرفوا في تمجيد العقل والإيمان بقوته واقتداره والأشاعرة الذين حاولوا التوفيق بين العقل والنقل كان منهم أبو الحسن الأشعري ، ما الموقف الذي وقفه منهم ومثله بين المعتزلة والحنابلة*

### الجواب

أبو الحسن الأشعري لم يكن منهم ، بل كان زعيمهم ، وقد مر فى حياته رحمه الله بثلاث مراحل

### الأُولى

كان على عقيدة المعتزلة فترة من الزمن

ثم انقلب عليهم وأسس منهجه الخاص فى مرحلته الثانية الذى عُرف باسمه فيما بعد ، وهو المذهب الأشعري
وبالاتفاق الأشاعرة من أهل السنة وكما قال بن تيمية هم أهل السنة فى البلد التى لا يوجد فيها أهل الحديث
لأنهم أخف وطئا من المعتزلة بمراحل ، وقد وقفوا موقفا وسطا فى الأسماء والصفات فأثبتوا لله عز وجل أربع صفات فقط ونفوا الباقي وحملوه على التأويل ، وقد أخطئوا بذلك , ورد علماء السنة أنهم طالما أثبتوا بعض الصفات يلزمهم اثبات الباقي ، لأنهم مثلا قالوا بأن لله علم , جميل وللإنسان علم أيضا فلماذا لم تنفوا هذه الصفة عنه دفعا للتشبيه كما يزعم المعتزلة , وأنكروا أو أولوا اليد وبقية الصفات الحسية دفعا للتشبيه فوقعوا فى التناقض الذى أشرنا إليه ، لأنهم أثبتوا الصفات المعنوية مع أن الإنسان يشترك فيها ويوصف بها
فإن قالوا علم الله خلاف علم الإنسان
قلنا وكذلك يد الله خلاف يد الإنسان
واستمر أبو الحسن الأشعري فى مذهبه فترة من الزمن لكنه لم يصطدم أبدا بعلماء الحديث , بل على العكس استدار إلى المعتزلة وأذاقهم نارا فى بطونهم بمناظراته ، فناظر كبراءهم وهزمهم هزيمة فادحة على رءوس الأشهاد وكان رحمه الله ممن أوتى جدلا واسعا وقدرة غير اعتيادية على حشر خصمه فى زاوية لا يستطيع الخلاص منها ، وفى تلك الفترة ألف كتابه الشهير الذى يعد أحد أركان كتب الفرق وهو مقالات الإسلاميين

### أما المرحلة الثالثة:

فهى المرحلة التى ترك معتقده الجديد وتنازل عنه علنا من على منبر المسجد ورجع للسنة وقول أهل الحديث فى العقيدة بتمام أقوالهم، وأبو الحسن الأشعري , هو العالم الوحيد فى تاريخ

البشرية ـ فيما أعلم ـ الذى أسس مذهبا أو نظرية علمية وتبعه عليها الناس ثم تنازل صاحبها بنفسه عنها وأعلن تبرؤه منها ومع ذلك بقي أتباعه على مذهبه القديم الذى انتشر انتشارا واسعا رغم أن صاحبه نفسه لم يأخذ به!
وكانت هذه المرحلة من حياته هى التى ألف فيها كتاب ( الإبانة عن أصول الديانة )

تعقيب

*وهل كان موقف الحنابلة متشددا بالالتزام فقط بالنصوص والتمسك باعتقاداتهم دون مباشرة المعتزلة والرد عليهم وتبيين حقيقة أفكارهم*

الجواب :

تعديل بسيط ,
الموقف ليس موقف الحنابلة وحدهم ، لأن الأئمة الأربعة سكتوا فى هذا المجال وأثبتوا الصفات بلا تشبيه ولا تأويل ولا تحريف ولا تعطيل ، وليس لهم قول فى العقائد كمقالات الفرق الأخرى بل قولهم قول الكتاب والسنة ، وهذا ليس محصورا بالحنابلة أو حتى بالأئمة الأربعة بل هو نفسه معتقد سائر أهل السنة قاطبة ، لا يدخلون هذا المجال الوعر لأنه ضلال مبين ونهى القرآن الكريم عن ذلك صراحة
{هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي العِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الأَلْبَابِ} [آل عمران:٧]
وقد اشتهر الحنابلة بأنهم حماة العقيدة السنية بسبب بطولة إمام السنة أحمد بن حنبل رضي الله عنه فى محنة خلق القرآن ,
فعندما ترين لفظ الحنابلة أو أهل الحديث أو السنة فكلهم يردون فى كتب الفرق بمعنى واحد ,.
وليس معنى تخصيص الحنابلة أنهم وحدهم من اتبعوا أسلوب السكوت عن المتشابه
والشافعى رضي الله عنه كان لا يقبل النقاش أساسا فى هذا الموضوع رغم أنه من ناحية القدرة على الكلام شهد له معاصروه أنه لو ناظر عمودا فى المسجد لغلبه ، ومع ذلك إذا فتح أحدهم أمامه حديثا فى الأسماء والصفات أو نحوها حذرهم قائلا
( تناقشوا فى شيئ إن أخطأتم فيه يقال أخطأتم ولا يقال كفرتم)
وقال فى حكمه على أصحاب الكلام ( الفلاسفة ) أن حكمه فيهم أن يضربوا بجريد النخل أمام الناس ليقال هذا جزاء من اتبع الكلام ، وهذا الموقف نفسه هو موقف مالك رحمه الله عندما طرد من مجلسه السائل عن كيفية الاستواء

ونفس الموقف موقف بن حنبل أيضا والذى كان أشد الأئمة فى هذا الجانب فقد حرم مناظرة ومجادلة أهل البدع بشكل مطلق
ونقل هذا الرأى عنه الإمام الذهبي فى ترجمته الفريدة له بكتاب سير أعلام النبلاء
من هنا:
لم يكن أهل السنة يجيزون أصلا مناظرة أهل البدع بعموم وأهل الكلام بخصوص ، بل سؤل أحمد بن حنبل عن الرجل ينشغل بمناظرة ومحاججة أهل البدع فقال ( لا ولو كان يناظر نصرة للسنة ) ولهذا فلم يرد إلينا كثير من مناظرات الكلام وأهل السنة طرفا فيها إلا النادر

وهنا يجب إيضاح نقطة هامة للغاية:

أن هذا الحظر المطلق على عدم مناظرة أهل البدع والانشغال بالرد عليهم مشروط بشرط وثيق إذا سقط انقلب المحرم واجبا
أى إذا سقط هذا الشرط لا تصبح المناظرات جائزة بل تصبح واجبة قطعا- وهو شرط العلانية والانتشار
فعندما حرم العلماء مناظرة أصحاب البدع اشترطوا لذلك أن يكون أهل البدع على عادتهم فى الانزواء بعقائدهم بعيدا وهذه عادتهم فى كل زمان ، ينعزلون عن الناس بكلامهم ومعتقدهم والأهم من ذلك أن الناس تتفادى مجالستهم بشكل تلقائي لأنهم يطمئنون فقط لعلماء الشرع ، ولكن متى سقط هذا الشرط وانتشرت البدعة فى المجتمع بسبب نصرة السلطان أو بسبب نفوذ هذه الفرق ، هنا تصبح المناظرة لهم كالجهاد فى سبيل الله تعالى، لأنها ستكون الوسيلة الوحيدة لإنقاذ عقائد الناس من التلبيس
ولهذا ,
فإن أحمد بن حنبل نفسه الذى حرم المناظرات مطلقا عندما سؤل عن عن الأفضل رجل يقوم الليل ، ورجل يسهر ليله يرد على أهل البدع ، فقال الثانى أفضل لأن الأول يعمل لنفسه والثانى يعمل للمسلمين
وعندما انتشرت بدعة خلق القرآن زمن المأمون واكتسب المعتزلة نفوذا فى عهده جعلهم ينشرون بدعهم وتلبيسهم نهض بن حنبل والشافعى وبن نصر الخزاعى فناظروهم
فناظر بن نصر الخزاعى رحمه الله أحمد بن دؤاد فى مجلس الواثق ، وكذلك ناظر بن حنبل بن دؤاد فى مجلس المعتصم
كذلك ناظر بن تيمية وهو إمام الحنابلة فى زمانه مشايخ الصوفية بحضرة السلطان ورد على بن المطهر الحلى الشيعي الرافضي بكتابه الرد على بن المطهر والمعروف الآن باسم منهاج السنة النبوية , وذلك عندما نشر بن المطهر كتابه منهاج الكرامة فى إثبات الإمامة ، وناظر المعتزلة

أيضا وأضرابهم فى كتابه الشهير ( درء تعارض العقل والنقل ) لأن هؤلاء جميعا كانوا منتشرين فى عهده ، وهذا الفارق الدقيق بين الوجوب والتحريم للمناظرات ينبغي قياسه بدقة ,

ولهذا كثيرا ما ننعى على جهود الباحثين أن يصرفوها لمناظرة من لا قيمة لهم عند الناس أصلا ولا سمعوا بهم ، ويتركون من تنتشر بدعهم حتى كادت تصبح البدعة هى الأصل، لهذا فالذى تصدى للمعتزلة زمن رواجهم كان أهل السنة لكنهم سكتوا عنهم فى بقية العهود التى انتشرت بها السنة وارتفعت البدعة

نخلص من ذلك أن الخوض فى مسائل المتشابه محرم قطعا ولو كان بنية تدارس العلم ففي هذه النية يجب أن تفادى التعمق فى أقوالهم لأنهم أهل كلام بمعنى أنهم أساتذة جدل ، ولا يأمن المرء على نفسه أن تفتنه أقوالهم

السؤال السادس : هل استعان بن الجوزى بكتب الشيعة فى كتابة تلبيس إبليس ؟

*هناك كتاب في الفرق اسمه " الآراء والديانات " للنوبختي الذي هو من متكلمي الشيعة الإمامية كما ذكرت لنا ، ولئن كان الإمام ابن الجوزي يستدل به في كتابه ،هل يكون لنا الخوض في كتب الشيعة والاستعانة بها*

الجواب :

كتاب الفرق الذى كتبه النوبخى اسمه المقالات والفرق ، والاستعانة بكتب هؤلاء ممنوعة قطعا بلا خلاف

فضلا على أنها لا تمثل شيئا فى القيمة العلمية أصلا ، لعدم وجود منهج نقدى لدى الشيعة الإمامية يمكنهم من التمييز بين الصحيح والضعيف ، واستعانتهم بآراء أهل البدع كالمعتزلة وغيرهم

واستخدام تلك الكتب قاصر فقط على مقام الاحتجاج عليهم وفى حالة معرفة منهجهم للرد عليه، حيث يطالعها الباحثون والعلما كابن الجوزى من باب معرفة منهج الخصم من كتبه، تماما كما يستعينوا بكتابات المعتزلة لبيان مذهبهم

وابن الجوزى لم يستدل بالكتاب قطعا من باب الاقتباس العلمى أو الاستعانة به كمصدر، بل لبيان هذا المعتقد لا أكثر

## السؤال السابع : ذنوب الصحابة

***تحت أي نوع من أنواع الذنوب تقع ذنوب الصحابة الكبار أمثال أبي بكر الصديق - رضي الله عنه - وعمر بن الخطاب - رضي الله عنه - والصحابة المبشرون بالجنة ... ؟؟***

## الجواب :

ما أجيبكم به هو أقوال العلماء والسلف الذين محصوا تلك الموضوعات وأعطوها لنا على طبق من ذهب
بالنسبة للسؤال سأقوم بتعديله قليلا و فأجعله يشمل جميع الصحابة وذلك تعديلا لبعض المفاهيم الخاطئة فى ثقافتنا
سؤالك عن الذنوب التى تقع من كبار الصحابة كأبي بكر وعمر رضي الله عنهما و وعن ذنوب العشرة المبشرين ,
والتعديل أننى سأنقل لك المفاهيم الصحيحة للصحبة أولا
هناك جمهور غفير يعتقد أن العشرة هم المبشرون فقط بالجنة,
وهناك من يعتقد أن المبشرين هم من جاءت النصوص تدل عليهم فى الأحاديث المختلفة كالعشرة وكآحاد الصحابة الذين وردت بحقهم الأحاديث مثل عمار وجعفر بن أبي طالب وحمزة وجليبيب وأبو ذر رضي الله عنهم وغيرهم عشرات
وكلا الطرفين على خطأ كبير
لأن المبشرين بالجنة هم جميع صحابة النبي عليه الصلاة والسلام الذين لقوه وصحبوه ورووا عنه وماتوا على الإيمان ,
أما لفظ العشرة المبشرين فهو لفظ تفضيل لا أكثر ولا أقل بمعنى أنه يدل فقط على أسبقية الفضل فى الترتيب ولا تعنى المكانة من الجنة التى ثبتت بالقرآن والسنة لجميع الصحابة جماعات وأفرادا ,
وقد جرت السنة فى ترتيب الصحابة رضي الله عنهم بالخلفاء الأربعة على الترتيب ثم سائر العشرة ثم سائر أهل بدر فأحد ثم أصحاب بيعة الرضوان ثم بقية المشاهد ثم بقية الصحابة وأنهم جميعا أفضل الخلق بعد الأنبياء والرسل عليهم السلام وهذا أصل من أصول عقيدة أهل السنة والجماعة , والأدلة عليه أكثر من أن تؤذن بحصر سواء من القرآن أو السنة الصحيحة ,
ومنها:
{لَقَدْ تَابَ اللهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ العُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَحِيمٌ} [التوبة:١١٧]
ومنها:
{ وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ المُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الفَوْزُ العَظِيمُ} [التوبة:١٠٠ ]

ومن السنة النبوية ,
(الله الله فى أصحابي لا تتخذوهم بعدى غرضا)
ومنها أيضا
( فوالله لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه)
والحديث الأخير يدل دلالة قاطعة على مكانتهم المتفردة التى لن يبلغها عابد أو مجاهد أو عالم مهما فعل , وليس هذا تثبيطا لهمم من بعدهم وإنما توعية بقدرهم ومقدارهم , هذا المقدار المتمثل فى أن أعمالهم مع النبي عليه الصلاة والسلام ومقامهم منه فى الدعوة كان العامل الرئيسي فى رسوخها وانتشارها
وما من مسلم إلا وللصحابة عليه يد إلى يوم القيامة فهم الذين هاجروا وجاهدوا ونصروا مع النبي عليه الصلاة والسلام فضلا على أن أنهم حفظوا الدين من بعده وكانوا خير أصحاب لخير نبي وبهم بلغ الله الدين إلى أقطار الأرض

نأتى الآن للسؤال وهو موقف الذنوب , فذنوبهم تندرج بلا شك تحت بند الذنوب الذى حددته الشريعة ، وعقيدة أهل السنة والجماعة فيهم أنهم غير معصومين ، ولا نقول بالعصمة فيهم , ولكن الأحكام المترتبة تجاههم بناء على مكانتهم تجعل موقفهم كالتالى
أولا : لا يمكن لصحابي منهم أن يرتكب ذنبا أو كبيرة عامدا متعمدا غير متأول أو قاصدا بها مطمعا فى الدنيا ، وهذا أمر طبيعى لأنهم الفئة العليا التى أدركت حقيقة الإيمان وشهدت لهم نصوص القرآن والسنة بذلك
ثانيا : أن ذنوبهم مغمورة فى بحور حسناتهم ، وأفضالهم وصحبتهم ومجاهدتهم بالنفس والمال مع النبي عليه الصلاة والسلام ,
وأما تخصيصك السؤال عن أبي بكر وعمر رضي الله عنهما فلم ترد فى السير والتاريخ رواية تشير إلى ذنب معروف أو خطأ محض يمكن القطع فيه بأن تصرفهما به كان منقصة لهما وكل ما ورد بشأنهم جبال من الأعمال الجليلة حتى استحقوا من الفضل أن يتم تقديمهما على سائر أصحاب النبي عليه الصلاة والسلام , وكان لكل منهما موقف فى خلافته لولاه لدارت الدائرة على الإسلام كله ، فجعلهما الله تعالى سببا فى رسوخ سنام الدعوة , وبهذا الموقفان هما موقف أبي بكر رضي الله عنه يوم وفاة النبي عليه الصلاة والسلام ويوم الردة , ومواقف عمر الخطاب خلال فتوح فارس والشام ومنعه الصحابة من الإستقرار خارج المدينة إلى غير ذلك من الأعمال التى سطرتها صفحات التاريخ له
خلاصة القول أن أى أخطاء أو ذنوب منسوبة لأى صحابي فى مطلق أصحاب النبي عليه الصلاة والسلام ليس فيها أو من بينها ذنب ناجم عن عمد أو نية سوء أو نفاق أو قصد لمطالب الدنيا ,
وما ورد عن إختلافهم فى الفتنة وغيرها كان كله يدور فى رحى الإجتهاد والإجتهاد المقابل الذى يجزى المصيب فيه أجرين والمتأول أجر واحد

## السؤال الثامن : الفرقة الظاهرية

*لو يمكنكم أن تشرح لنا فرقة الظاهرية*
*وإن كان كذلك فكيف كان منها علماء يعتد بهم وبكتبهم ولهم مؤلفات ومصنفات بقدرها ومكانها مثل ابن حزم الأندلسي الظاهري وغيره*

## الجواب :

من قال إن بن حزم شكل فرقة اسمها الظاهرية أو أن الظاهرية فرقة أصلا ,
المذهب الظاهرى ومؤسسه الإمام الجليل فريد عصره فى وقته محمد بن حزم الظاهرى هو المذهب الخامس بعد الأربعة المعتمدة وأراؤه وفقهه يحل فى التعاملات كما هى المذاهب الأربعة

وعدد المذاهب الإسلامية تحت مظلة العقيدة المتحدة عقيدة أهل السنة والجماعة حوالى أربعة وسبعين مذهبا تضم تحتها الأربعة المشهورة إلى جوار المذهب الجريري والأوزاعى والظاهرى والجعفري
والمذهب الجعفري أحد مذاهب السنة ومنقولة أقوال إمامه جعفر الصادق فى كتبنا ومبثوثة فى كتب الفقه ولا علاقة له بما تدعيه الشيعة اليوم
خلاصة القول أن المذهب الظاهرى هو المذهب الخامس فى القيمة والانتشار بعد المذاهب الأربعة المعروفة وهو لا يخرج عن أهل السنة فى شيئ قط
بل إنه أحد أهم أعلام عقيدة السنة والجماعة ,
وهو صاحب كتاب الفصل فى الملل والأهواء والنحل الذى خصصه لبيان أحوال الفرق ومقالاتهم وحمل عليهم حملة شعواء لا سيما الخوارج والشيعة والمعتزلة ,

فلا توجد فرقة تحمل هذا المسمى وليس بن حزم ـ وحاشاه ـ من أصحاب الفرق,

*تعقيب على السؤال السابق :*

*كان في اعتقادي أنه فرقة ! وأنه معارض للباطنية في ما قام عليه فالباطنية ترسل فكرها وراء النص بفهم خاطئ كما فهمت مما قرأت والظاهرية تأخذ بظواهر النصوص فقط يعني أن الأمور الفقهية مختلف بها فهي لا تأخذ بالقياس أليس كذلك ؟!*

الجواب :

كلا بالطبع ،، لا توجد فرقة اسمها الظاهرية اطلاقا فى الفرق التى ذكرها المصنفون وبن حزم رحمه الله صاحب مذهب فقهى

أما ما دعاك للخلط بينهما أن بعض الفرق لها العديد من المسميات ، فالخوارج مثلا لهم اسم الحرورية نسبة الى منطقة حروراء التى اتخذوها موطنا لهم ، وتسموا ايضا بالقراء وهو اسم كتيبتهم فى جيش الامام على رضي الله عنه

وهم أيضا من تسموا بالظاهر

لأنهم أخذوا بظاهر النصوص فكفروا صاحب الكبيرة لاجل ذلك أما المذهب الظاهرى فهو مذهب فقهى لا فرقة عقدية ، قامت على أساس اتخاذ ظاهر النص فى الاستنباط

ولكن ليس على طريقة الخوارج بالطبع

بل جعل بن حزم طريقته قائمة على حسم امر العقائد والاصول فلم يتكلم فيها ولم يخالف بشيئ وجعل ظاهر النص فى استنباط الحكم الفقهى بالفروع فحسب

بالاضافة الى أنه لا يأخذ بظاهر النص بطريقة الاقتطاع من القرآن كما فعل الخوارج

بل كان يضع النصوص فى المسالة الواحدة الى جوار بعضها البعض

اما الخوارج فأخذوا ما يناسب هواهم وتركوا الباقي

## السؤال التاسع : التقول على الله .. والشرك

*هل من الممكن أن يكون التقول على الله عز وجل أشد من الشرك ، حيث أن التقول على الله سبحانه يقود إلى الكفر المحض بالله أما الشرك فهو إقرار بالله سبحانه دون إفراده بالتوحيد بأنواعه*

الجواب :

لا علم لى بذلك ولم أقرأ فيه شيئا

والذى أعرفه أن الكفر والظلم والشرك كلهم يقعون تحت المصطلح العام للكفر

ويختلفون فى الأنواع كفر أكبر وظلم أكبر وشرك أكبر ثم كفر أصغر و.....

والشرك نوع من أنواع الكفر الذى يندرج تحته أيضا التقول على الله بغير علم وهو ظلم عظيم

أما مرتبته فلا أعرف ومعرفة أيهما أشد الشرك أم التقول على الله فالله أعلم

السؤال العاشر : التفسير الإشاري للقرآن

*قرأت ان أحد مناهج تفسير القرآن هي التفسير الإشاري ، ماهو الأساس الذي يقوم عليه .. ولماذا هو منهج غير متفق على سلامته وصحته .. ؟؟*

الجواب :

بل هو منهج ما أشار أحد من العلماء الثقات بصحته ولا اعتبروه من التفاسير المعتمدة,

وفى البداية,

لنعرف أولا ما هى أنواع التفسير,

وأول القول فيه هو أن علم التفسير ليس بالعلم الذى يتصدى له أى عالم فضلا عن جاهل قطعا , لأنه يختص بمدارسة كتاب الله الذى جعل النبي عليه الصلاة والسلام المراء فيه كفر والقول فيه بغير علم جريمة , وقال أيضا ( من قال فى القرآن برأيه فأصاب .. فقد أخطأ )

ولمعرفة أنواع التفاسير بالتفصيل وطرقها عليك بمطالعة الفصل الثانى من هذا البحث

http://www.al3ez.net/vb/showthread.php?t=37351

وملخصها أن تفسير القرآن الكريم ينقسم إلى مدرستين كبيرتين معتمدتين لدى العلماء وهما

- مدرسة التفسير بالمأثور:

وهى تفسير القرآن الكريم عن طريق تفسير القرآن بالقرآن والسنة وما ثبت من أقوال الصحابة رضي الله عنهم ، وهى التفاسير التى اعتمدت اعتمادا شبه كلى على الأثر والروايات الواردة فى القرآن وتفسيره وأشهرها تفسير الطبري والقرطبي وبن كثير ,

وهذه المدرسة تميزت بتحريها الأثر الذى هو مقدم الصحة على ما سواه طالما صح نقله واشتهرت تلك التفاسير باهتمامها بأسباب النزول وحوادث القرآن وقصصه وبيان الأحكام الفقهية والأصول والعقائد وإعراب القرآن والبلاغة ونحو ذلك

- مدرسة الرأى :

وهنا لابد من إيضاح نقطة يقع الخلط بسببها .

وهو أن مسمى المدرسة مدرسة الرأى ليس معناه أن أصحابها يفسرون القرآن بالرأى المجرد والهوى بل هو مسمى يشير إلى الإجتهاد فى التفسير والإجتهاد سواء فى التفسير أو الفقه لا يعنى أن يأتى العالم بالقول من عند نفسه بلا برهان بل هو معناه أن يأتى العالم بقول فى آية لم يسبق إلى تفسير بأثر صحيح اعتمادا على قاعدة علمية تدعم تفسيره

أى لا يشمل أسلوب تلك المدرسة التعرض لمحكم الآيات التى بينها الأثر الصحيح

بل تتعرض إلى مواطن الإجتهاد المتروكة للتدبر بشروط تجعل من التفسير بالرأى ملحقا لمدرسة التفسير بالأثر حيث أن الشروط تتضمن ضرورة تأهل العالم المفسر بمؤهلات علوم اللغة وعلوم القرآن بأكملها وتبصره بأنحاء الفقه والعقائد مع ضرورة أن يكون لقوله وتفسيره مستند وأصل فى القرآن أو السنة أو لغة العرب

وتهتم مدرسة الرأى بالخوض فى الآيات المفتوحة للتأمل والتدبر بلا حرج والإبتعاد التام عن

متشابه القرآن الذى لم يتبعه إلا أهل الزيغ
وتهتم تلك المدرسة بالبلاغيات والقصص القرآنى والحكم والأمثال ووجوه الإعجاز المختلفة مثل الإعجاز العلمى والتشريعى ونحوهما
وهنا قد يثور سؤال ,
هاتان المدرستان فى إطار أهل السنة والجماعة وطرقهما معتمدة على سنة النبي عليه الصلاة والسلام والسلف الصالح فى ابتعادهما عن متشابه القرآن
ما هو وجه معرفة المتشابه من المحكم,
أو بمعنى آخر , كيف يتسنى لنا التفرقة بين الآية المحكمة التى يسمح فيها بالإجتهاد ولم يتضح بيانها بنص وبين الآية المتشابهة التى لا يجوز الخوض فيها أصلا ؟
والفارق جلى وواضح
فالمحكم فى القرآن ليس نوعا واحدا ، بل هو نوعان,
الأول :
وهو المحكم المطلق أو محكم الأصول : وهى الآيات التى لا يحتاج ورودها تفسيرا لكونها جاءت مفصلة بالقرآن ذاته ، مثل قوله تعالى
{وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ} [البقرة:٤٣ ]
ما فيها مجال للبحث عن تفسير فهى تفسر نفسها
ومنها أيضا التى تم تفسيرها وبيانها من السنة الصحيحة الثابتة أو الأثر الثابت عن الصحابي فتلك أيضا من المحكمات التى لا مجال للبحث فيها
والثانى :
المحكم النسبي ,
وهى الآيات التى جاءت محكمة غير متشابهة وخفي معناها ومدلولها أو بعضه نظرا لعدم إحاطة علم المفسرين بالعلوم التى تتيح لهم إدراكها بشرط ألا يكون فى تلك الآيات آثار ثابتة فسرتها , ومثالها آيات القصص القرآنى وآيات الإعجاز العلمى ، فهى رغم كونها غير مبينة بوضوح تام إلا أنها محكمة ليست متشابهة حيث أنها تستند فى تفسيرها إلى العلم ولا يعوزها فى الإدراك إلا توافر العلوم الكسبية لإدراك معناها
مثال ذلك قوله تعالى :
{الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ} [البقرة:٢٢ ]
وجاء العلم الحديث ليثبت أن السماء بناء محكم فعلا وليس فى الكون كله شيئ اسمه الفراغ كما بين ذلك باستفاضة الدكتور النجار ومن سبقه إلى تلك البراهيت
وأيضا منها المكتشفات الأثرية التى وردت الإشارة إليها فى القرآن وجاء علم الآثار فأثبتها على الواقع,.

هذه كلها من آيات المحكم التى حض الشارع الحكيم على إدراكها وتقصيها وتتبعها وتدبرها بشرط توافر الأسس العلمية فى ذلك وألا يكون البحث فى تفسيرها متعسفا أو مبنيا على الظنون وإلا أصبح تفسيرا مذموما يقع تحت الحظر الذى حذره النبي عليه الصلاة والسلام والصحابة من الخوض فى القرآن بغير علم مثل قول أبي بكر الصديق رضي الله عنه
(أى أرض تقلنى وأى سماء تظلنى إن قلت فى القرآن برأيي )
والرأى المقصود هنا هو الرأى المجرد الغير مستند إلى قوامة علمية تتيح البحث

أما المتشابه ,
فهو الآيات التى حذر الله ورسوله عليه الصلاة والسلام من الخوض فيها سواء بعلم أو بغير علم والإكتفاء بتلقيها والسكوت عند ذلك
مثل الأحرف المقطعة فى أوائل السور وآيات أسماء الله وصفاته وآيات القيامة وأحداثها حيث أن كل هذا فى علم الله تعالى وحده ولا يعلم تأويله إلا الله

هذه هى طرق التفسير وضوابطه كما قررها إجماع علماء السنة والسلف الصالح ,
أما التفاسير المذمومة والمناهج الملغومة التى تناولت كتاب الله بغير علم وحظيت باستنكار العلماء لها ، فهى التفاسير بالرأى المجرد وتنقسم إلى أنواع:
الأول : التفسير الإشاري ، وهو التفسير المشهور عن بعض الصوفية ـ ليسوا كلهم بالطبع ـ بل الذين انحرفوا عن المنهج السليم فتناولوا القرآن الكريم محكمه ومتشابهه بالتأويلات الفاسدة التى تضارب النصوص الثابتة وتخالف السياق القرآنى وتحرف الكلم عن مواضعه ولا تستند إلى شيئ من الأثر , وسواء أصاب بعضهم أو أخطأ فمنهجهم كله مخطئ وإن أصابوا لأن فتحوا بابا لا شك أنه يعييهم سده ألا وهو باب التأويل بالرأى المنفرد
ومن تلك التفاسير التفسير المنسوب لابن عربي وتفسير بن عجيبه الحسنى ,
الثانى : التفسير الباطنى , وهو التفسير الذى تولى كبره جماعات الشيعة والرافضة بفرقها المختلفة ، وهؤلاء أعظم الخلق جناية على كتاب الله تعالى ، فلم يكتفوا بأن يقولوا بتحريفه بل حرفوه فى تأويله أيضا وبشكل يعجز اليهود والنصاري عن مثله
وسمى هذا التفسير بالباطنى لأنهم زعموا أن للقرآن ظاهرا وباطنا حتى يتسنى لهم قلب المعانى والدعوة لبدعتهم ,
ومن هذه التفاسير تفسير العياشي وتفسير القمى وتفسير الخوئي وغيره
الثالث : التفسير العقلي المجرد , وهو التفسير الذى ابتدعته المعتزلة واحتلوا به المرتبة الثانية فى الجناية ، حيث أخضعوا آيات المتشابه التى أمر الله تعالى بتفاديها وأخضعوها للمنطق العقلانى ورفضوا التسليم بأى شيئ ينافي العقل ولو كان ثابتا عن النبي عليه الصلاة والسلام بالتواتر

فخاضوا فى أسماء الله وصفاته فى المرحلة المعرفة التى قالوا فيها بخلق القرآن ورفضوا التسليم ببعض المعجزات كالإسراء والمعراج وغيرها وكانوا ـ وهم أصحاب دعوة العقل ـ أكثر الخلق حماقة عندما تخيلوا فى لحظة غرور أنهم يستطيعون إدراك ما احتفظ الله به لعلمه وحده وإذا كان البشر مهما عتت قوتهم لا زالوا وسيظلون عاجزين عن إدراك كنه بعض مخلوقات الله كالروح مثلا وكاتساع الكون وامتداده،

فكيف تخيل هؤلاء أن يدركوا ذات الخالق نفسه وصفاته ؟!!

ومن تفاسيرهم تفسير الفخر الرازى وأيضا تفسير الإمام محمد عبده وهو من المعاصرين وأنكر فى تفسيره حادثة الطير الأبابيل وفسرها على أنها بعض جراثيم الكوليرا أو الطاعون وليست كما هو متواتر فى فهمها أنها رجمات من جهنم ، كما أنكر بعضهم انشقاق القمر واتهموا المصدقين بذلك أنهم خارج نطاق العقل!

ثم شاء السميع العليم أن يجند الغرب لإثبات انشقاق القمر عمليا فى تقرير أثبتته وكالة ناسا بهذا الصدد منذ سنوات ، وأزمة المعتزلة الحقيقية أنهم حكموا بعقولهم فى عصرهم وما تخيل واحد منهم للحظة أن العقول نفسها والعلم لا يتوقف عند حد , فكيف بعلم الله ومشيئته ومعجزاته وتتبقي ملحوظة أخيرة , الإمام محمد عبده رحمه الله ليس من المعتزلة لكنه صنف تفسيره بطريقتهم مع الأسف وهو التفسير الذى حاز انتقادا واسعا سواء من العلماء المعاصرين له أو حتى من بعض تلامذته ، وقد أنكر عليه الدكتور محمد الذهبي فى كتاب التفسير والمفسرون هذه الأمور

غاية المقال ,

الابتعاد عن التفاسير غير المعتمدة واجب على طلاب العلم فضلا على العلماء لما فيها من محتوى يبلغ حد التهلكة عند من لا يملك أسلوب الغوص وإمكانية الطفو سليما بعد ذلك

لهذا فالحذر كل الحذر أن يدفعكم الفضول لمطالعة الممنوع أو لمطالعة كتب الخلاف تحت دافع الفضول فهى أشد فتكا من المخدرات

واكتفوا بالكتب المعتمدة وهى تكفي لأن تفنى أعماركم فى إدراكها دون أن تُـدرك

ورحم الله أبي

كان يقول لى ابدأ بمجالات الثقافة العامة كاللغة والتاريخ والسياسة والأدب فانتهى منها ثم اعبر إلى المعارف الإسلامية ، لأنها مجال سيستغرق عمرك ولن تنتهى من مجرد العبث على رمال شواطئه

والتفاسير المعتمدة مقرءوة ومرئية متاحة من السلف والخلف وأكثرها جودة ومعالجة تفسير الإمام بن كثير وتفسير القرطبي من القدماء ، وكذلك تفسير الشيخ الشعراوى وتفسير الشيخ طنطاوى رحمهما الله

وتفسير أضواء البيان للشيخ الشنقيطى وهو إمام لم يغفل عن اسمه الكثيرون، وأيضا تفسير فى ظلال القرآن لسيد قطب وهو أقرب للبيان البلاغى منه إلى التفسير المنهجى، وكذلك اجتهادات علامتىّ العراق الدكتور الكبيسي والدكتور السامرائي

## السؤال الحادى عشر : صوت المرأة

*هناك كثيرا من القنوات الفضائية الإسلامية المتنوعة وخاصة قنوات القرآن الكريم التي أسمعها تعرض بعض نماذج من الإناث تقرأ القرآن منهم المحجبات ومنهم المنقبات ،، وأيضا بعض القنوات الإسلامية تعرض إناثا يقومون بمنهج الداعية يهدون الناس الى البر والتقوى ،،، وأيضا أسمع في إذاعة القرآن الكريمة دكتورة تأتي تقدم برنامجا في الإذاعة ،،،*
*سؤالي هنا ما حكم الدين في الإستماع إلى صوت المرأة في مثل هذه الحالات وما الحكم أيضا في سماع صوت المرأة بوجه عام؟*

### الجواب :

وفى البداية يلزم التنويه عن شيئ هام كنت أتخيله معروفا لهذا لم أذكره فى هذا الموضوع , لكن الشاهد كما أرى أنه يلزم التنويه عنه,

هذا الموضوع وغيره ليس موضوعا تتاح فيه جميع الأسئلة بما فيها أسئلة الفقه والفتوى ، إنما الأمر متعلق فقط بالتاريخ والفرق والثقافة العامة وما شاكل ذلك من الأمور التى يمكن خدمة السائل فيها بالإطلاع,

لهذا أرجو تجنب أسئلة الفقه تماما فالفتوى لها أهلها من العلماء المجتهدين ,
وإذا كان العلماء أنفسهم من بينهم من لا يصلح للفتوى حيث تتطلب شرائط خاصة ، فما بالنا بالعوام أمثالنا , فأى سؤال عن حلال أو حرام أو أمور مشتبهات عليك وعلى من لديه سؤال التوجه بها إلى أهلها فقط ,
بالنسبة لسؤالك تستطيع أن تعود فيه لأقوال العلماء فى حكم سماع صوت المرأة بوجه عام , لكنى أستطيع إجابتك فى شأن قراءة القرآن والعلم والتعلم ,
فهى جائزة بلا إشكال
فقد تواتر عن النبي عليه الصلاة والسلام أن النساء كانت تأتيه للسؤال فى أمور الدين
ويعضد ذلك أن طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة ومن لوازم طلب العلم ضرورة التتلمذ على العلماء وغالبيتهم الساحقة من الرجال بالطبع ,
فهذا جائز طالما تم فى مكان عام وفى محفل درس لا تحدث فيه خلوة ,
وبالنسبة للشق الثانى من السؤال حول قيام المرأة بالتدريس للعلم أو تحفيظ القرآن فهذا تواتر عن السلف أيضا
فالسيدة عائشة رضي الله عنها كانت أفقه أهل زمانها وكانت موطنا وعاصمة للسؤال يأتيها السائلون فتفتيهم من وراء حجاب
والسيدة نفيسة رضي الله عنها التى لقبوها بنفيسة العلم قرأت الموطأ على الإمام مالك وكانت بمصر موطنا للفتوى أيضا ,

وهناك زوجة الإمام الحافظ أبي الحجاج المزى كانت تعلم القرآن وقد أخذ منها الإجازة بالقرآن الكريم الإمام بن كثير حيث قرأ عليها وأخذ عنها وكانت فى نفس الوقت أم زوجته فيما بعد حيث تزوج بن كثير من ابنة المزى
فالشاهد من ذلك أن أمر العلم والتعلم جائز فى ظل ضوابطه الشرعية ويستحسن أن تستزيد من المتخصصين فى ذلك
ولاحظ أننا نتكلم فى مسألة طلب العلم وحده أما المسائل المتعلقة بها فلا أدرى ما الحكم الشرعي فيها كعمل المرأة مثلا بمهنة التدريس أو القنوات أو غيرها

وقد وقعت على هذه الفتوى من موقع إسلام أون لاين وكانت تتحدث عن الغناء وإباحته وحرمته واختلاف الفقهاء فيه
وورد فيها الفقرة التالية التى أفادت أن صوت المرأة ليس بعورة مطلقا ولا دليل على القائل بذلك
وهذا نص الفقرة
( واستدلوا علي تحريم غناء المرأة خاصة، بما شاع عند بعض الناس من أن صوت المرأة عورة. وليس هناك دليل ولا شبه دليل من دين الله علي أن صوت المرأة عورة، وقد كان النساء يسألن رسول الله -صلي الله عليه وسلم- في ملأ من أصحابه وكان الصحابة يذهبون إلي أمهات المؤمنين ويستفتونهن ويفتينهم ويحدثنهم، ولم يقل أحد: إن هذا من عائشة أو غيرها كشف لعورة يجب أن تستر .
فإن قالوا: هذا في الحديث العادي لا في الغناء، قلنا: روي الصحيحان أن النبي سمع غناء الجاريتين ولم ينكر عليهما، وقال لأبي بكر: دعهما. وقد سمع ابن جعفر وغيره من الصحابة والتابعين الجواري يغنين.)

## السؤال الثانى عشر : عن الحديث المتواتر والحديث الآحاد

*معلوم في علم الحديث أن الحديث المتواتر هو المقطوع يقينا بصحته دون خلاف ، بخلاف حديث الآحاد الذي قد يغلب الظن على بعضه دون اليقين علما بأنه حجة بنفسه في العقائد والأحكام كما قال الشيخ الألباني في رسالته التي تحمل نفس العنوان.*
*وسؤالي : هل تم تصحيح الأحاديث من قبل أهل العلم في الأحاديث الآحاد والحكم عليها هي فقط من حيث القبول والرد ؟؟*
*بمعنى هل كانت جهود العلماء في التصحيح مقتصرة على أحاديث الآحاد دون المتواتر بخلاف التخريج لكلا النوعين ؟*

### *الجواب*

لا يوجد شيئ اسمه الحديث المتواتر فيما يخص الثبوت والتطبيق والذى يتميز عن حديث الآحاد بثبوت العلم اليقينى به,
فهذا المصطلح إنما نشأ فى المائة الثانية للهجرة فى إصطلاح الأصوليين
ومعنى أنه مصطلح أصولى أنه مصطلح للإستخدام العلمى والتمييز بين الأحاديث وبعضها البعض
أما عند التطبيق فلا فارق بين المتواتر والآحاد فى ثبوت الحجة بثبات الحديث
وديننا كله قام على خبر الواحد فى عهد الصحابة رضي الله عنهم ومثل حجة بذاته فى مختلف شئون الشريعة , فمصعب بن عمير وأبو ذر الغفاري ومعاذ بن جبل وأبو موسي الأشعري وغيرهم من أفراد الصحابة كل منهم ذهب إلى كل قطر داعيا بدعوة الإسلام وكانوا يقبلون منه الدعوة ومعرفة التشريع رغم أنه واحد منفرد
لهذا فعند التطبيق العملى لا فارق بين المتواتر والآحاد ، لكن نستخدم هذا المصطلح لتبيين مزايا الأحاديث الصحيحة بعضها عن بعض , أى كشأن علمى بحت لا أثر له فى التطبيق
مثال ذلك أن العلماء بعد انتهاء التطوير الأول لعلوم الحديث صنفوا أعلى درجات الصحة بالترتيب التالى ,
المتواتر : وهو ما رواه جمع عن جمع عن جمع يستحيل تواطؤهم على الكذب
المتفق عليه : وهو ما أخرجه البخارى ومسلم معا
الصحيح عند البخارى أى على شرط البخارى ، ثم الحديث على شرط مسلم
وهذا التصنيف عند التطبيق وبيان الصحيح من الضعيف لا يمثل حكما بقدر ما يمثل مزية فقط أى أن الصحيح المتواتر أو المتفق عليه إنما هو يماثل فى ثبوته عند العلماء الصحيح الثابت

بغير هذا غير أنه يتبقي للأول ميزة تعلو الأول فحسب
فالترتيب بحسب الأصحية لكنه لا يؤثر فى بيان الثبوت لأن صحة الحديث لا يسلتزم لها أن يكون متواترا أو متفقا عليه أو على شرط الشيخين

فالحديث الصحيح هو الذى نقله العدل الضابط عن مثله فى جميع الطبقات بغير شذوذ ولا علة ومتى وصل الإسناد صحيحا إلى الصحابي انتهى أمر صحته جزما وقطعا لعدالة جميع الصحابة

أما ما تميز به البخارى ومسلم والمعروف بشرط البخارى وشرط مسلم إنما كانت اشتراطات تزيد على الشرط الأصلي الذى قرره العلماء فى ثبوت الحديث
حيث كان شرط البخارى أن يروى عن الطبقة الأولى من أصحاب الحديث ولا يخرج للطبقة الثانية والثالثة إلا نادرا
بمعنى أنه كان يشترط مصاحبة الراوى لمن يروى عنه وملازمته له
ومسلم كان يروى للطبقة الأولى والثانية ولا يخرج للثالثة , فشروطهما كانت مزيدا من التحرى لا أكثر لكنها ليست لازمة لثبوت الحديث
أما سؤالك أن العلماء اكتفوا بمعالجة الأحاديث الآحاد صحة وضعفا , فهذا غير صحيح طبعا لأن تمييز الحديث نفسه إن كان متواترا من عدمه إنما يخضع أصلا للفحص حتى تتبين نتيجته فتتبين درجته
فالأحاديث المتواترة إنما ميزها العلماء بعد أن عالجوا المرويات بالفعل فظهرت لهم الأسانيد وتعدد طرقها ومن هنا تحددت الأحكام عليها
ومن حيث القبول والعمل فهذا عليه إجماع العلماء بشأن الأحاديث فى مرتبة الصحيح ومرتبة الحسن أيضا بغض النظر عن ثبوت ميزة له بالتواتر أو تخريجه على شرط أحد الشيخين وتأتى أهمية التميز فقط عند المعادلة والمقابلة بين الأحاديث
فإذا تعارض حديثان صحيحان واستحال الجمع بينهما تم النظر إلى قوة الإسناد وأيهما أشد إسنادا وأوثق
ويكون الترجيح للحديث الأصح أما بخلاف ذلك وطالما أن الحديث ثبت بطريق العدول إلى منتهاه وخلا من الشذوذ وخلا من العلة فالعمل به واجب ولزيادة البيان ,
فإن الشذوذ معناه أن يخالف الراوى الثقة رواية من هو أوثق منه
عندئذ يتم رد الحديث رغم إسناده الصحيح لأنه تم نقله صحيحا نعم لكن متنه خالف متنا آخر أشد صحة يعارضه فالعيب هنا يكون فى غفلة أو عدم ضبط من الراوى
وضبط الراوة المقصود فى تعريف الحديث الصحيح ليس معناه العصمة طبعا فإن الراوة الثقة يسهون كغيرهم ولهذا تنبه علماء الحديث فقرروا أن صحة الإسناد وحدها لا تكفي لثبوت العمل بالحديث ونصوا على ضرورة خلوه من الشذوذ والعلة
وهذا ما يدفعنا لتقدير كمية الجهد الخرافي الذى يبعث الإطمئنان على أن العلماء ما غفلوا عن شيئ فى سبيل نقل السنة
أما العلة:
فهى عيب خفي يظهر فى الإسناد أو المتن لا يكون ظاهرا أو عليه دليل صريح لكن يرده العلماء لعلة قادحة فيه يتوصلون إليها بإمعان النظر والخبرة
ومجال دراسة علل الحديث هى ومجال ناسخ الحديث ومنسوخه تعتبر هى أقوى وأدق

التخصصات على الإطلاق فى علوم الحديث
حيث لم يبرز فيها إلا الفطاحل الجهابذة فقط مثل الشافعى وبن أبي حاتم والعسقلانى وشعبة وسفيان الثورى وبن حنبل وغيرهم
ومثال علة السند ,
أن يتأمل فيه المحدث فيشعر بحدسه أن هناك خلطا ما غير مقصود بالسند يشعر به نظرا لطول ممارسته وكثرة سماعه للأسانيد حتى استطاع أن يميز متى لا يستقيم الإسناد
فيدرس الحديث ثم يكتشف فعلا أن أحد الرواة خلط اسما بآخر بالفعل عن غير قصد
ومثال شذوذ المتن أن يعارض حديثا أصرح مشهورا عن نفس الصحابي مثلا وتكون المخالفة خفية أو لا ينتبه لها الكثيرون

الخلاصة أن المقبول والمردود يخضع لقواعد التصحيح والتضعيف التى لا تعالج الأسانيد فقط بل تعالج المتون أيضا ومن هنا نستطيع القول بإطمئنان أن السنة وصلت إلينا كاملة ومعالجة معالجة تامة حتى أن العلماء أفردوا صنوف العلم فى جمع الأحاديث المتعارضة والأحاديث الغريبة فى بابين كبيرين هما غريب الحديث ومختلف الحديث وكتب العلل
وهذه الصيانة الفائقة للسنة تمم صيانة القرآن حيث أن الله عز وجل تعهد بصيانة الذكر وهو يشمل الدين كله قرآنا وسنة

*تعقيب على السؤال السابق*

*لقد غاب عني أن مسألة التصنيف لا تتم إلا بعد دراسة الحديث واستخلاص نتائجه!!*
*ولكن لم أفهم كيف لا يمثل حكما ويمثل مزية فقط ؟! عندما نقول أن هذا الحديث صحيح أفلا يعني ذلك درجة معينة للحديث تجعلنا نقدر العمل بها حين نأخذ به*

الجواب :

نحن هنا نتكلم فى مجال الأحاديث الصحيحة فقط
فالأحاديث الصحيحة تنقسم إلى أنواع من حيث قوة الثبوت ، لكنها تتفق تماما فى أصل الثبوت بمعنى أنها صحيحة كلها طالما توافرت فيها شروط الإسناد المتصل الخالى من الشذوذ والعلة والمروى عن الثقات ,
لكنها تتمايز فيما بينها فى درجة التوثيق
فيقال حديث صحيح وحديث أصح
وقسمها علماء أصول الحديث إلى أنواع من حيث مراتب الصحة
فأولها المتواتر وثانيها المتفق عليه وثالثها الصحيح على شرط البخارى ورابعها الصحيح على شرط مسلم وخامسها ما صح طبقا لتعريف الحديث الصحيح وتوافرت فيه شروطه وهى

(اسناد متصل عن ثقات ـ خلو من الشذوذ ـ خلو من العلة )
وهذا التقسيم للتمايز ولا يمثل شيئا عند الحكم بالعمل فى الحديث من عدمه
فطالما ثبت الحديث فى قول العلماء بأنه صحيح وجب العمل به وانتهى الأمر ولا يشترط فيه أن يكون متواترا أو فى الصحيحين
فهذا التقسيم من حيث وجوب العمل بالحديث لا يمثل شيئا
وإنما فائدته فقط فى استخراج الأحاديث الشاذة التى تصح أسانيدها لكن يعارضها فى نفس الباب أحاديث أصح منها عندئذ يفيد هذا التقسيم فى مسألة الترجيح بين الحديثين المتعارضين إذا استحال الجمع بينهما
كذلك يفيد فى الأحاديث المعلة بنفس الطريقة ,
لكن تظل القاعدة هى العمل بكل ما صح عن النبي عليه الصلاة والسلام واتفقت كلمة علماء الحديث عليه

## السؤال الثالث عشر : ثبوت الحديث

*وثبوت الحديث .. هل المعنى ثبوته عن النبي عليه السلام مرفوعا أو أحد الصحابة موقوفا وكيف يمكن أن يثبت الحديث بغير الحكم بالصحة ؟! أو حتى أن نقول بأنه حسن ؟*

## الجواب

هنا وقع خلط منك بين أنواع التقسيم وهو ما سبب لك الإشكال فى فهم تلك النقطة ,
وتلك التقسيمات مستقلة عن بعضها البعض كما سنبين
الحديث من حيث ثبوته ووجوب العمل به ينقسم إلى حديث صحيح وصحيح بشواهده وحسن وحسن بشواهده وضعيف وموضوع
فهذا تقسيم من حيث العمل بالحديث لا علاقة له بتقسيم وأنواع الحديث الأخرى
وهناك تقسيم من حيث مرتبة الأصحية وهو الذى نوهنا عنه من متواتر ومتفق عليه و ..... الخ
وهناك تقسيم من حيث النسبة
فيقال حديث مرفوع وهو حديث النبي عليه الصلاة والسلام وحديث موقوف وهو الحديث المنسوب للصحابي والمقطوع المنسوب للتابعين
فتلك التقسيمات مستقلة عن بعضها ووضعها أمام بعضها البعض يبين الإشك

## السؤال الرابع عشر : عن ترجيح الأحاديث

*تقول / فإذا تعارض حديثان صحيحان واستحال الجمع بينهما تم النظر إلى قوة الإسناد وأيهما أشد إسنادا وأوثق ،ويكون الترجيح للحديث الأصح*
*الترجيح فيم ؟ !هل بالأخذ بالحديث أم بالحكم بصحته دون الآخر الذي تعارض معه*

## الجواب:

سبق أن بينا أن الحديث الصحيح هو ما رواه العدل الضابط عن مثله فى جميع الطبقات بغير شذوذ ولا علة ,
ولكن هناك أحاديث توفرت فيها كل شروط الصحة وظهر بعضها يعارض بعضها الآخر ,
هنا لم يقف العلماء حائرين بل تصرفوا كالتالى:
*بالنسبة للأحاديث المتعارضة وكان أحدها صحيحا فى الإسناد والآخر صحيح إسنادا ومتنا ويستحيل التوفيق بينهما يتم رد الحديث الأول لأنه شاذ وتوافر الشذوذ هنا ينتج من أنه حديث صح إسناده وحده وهو لا يكفي لثبوته مع وجود الحديث الأصح متنا وسندا
ومثال ذلك:
حديث ( سدوا كل الأبواب إلا باب أبي بكر ) فهذا الحديث فى أعلى درجات الصحة وروى العسقلانى فى فتح الباري حديثا آخر بلفظ ( سدوا كل الأبواب إلا باب على )
وإسناده صحيح
لكن رغم صحة إسناده إلا أنه عارض الحديث الأصح عند البخارى وهو سدوا إلا باب أبي بكر فهنا نحكم على الحديث الأول بالشذوذ لمخالفته ما هو أوثق منه

*الأحاديث متساوية الصحة والتى ظاهرها التعارض يتم الجمع بينها من وجوه متعددة حددها العلماء بمائة وواحد وجه للتوفيق فى قسم من علوم الحديث اسمه مختلف الحديث
ومن أمثلته
حديث ( لعن الله السارق يسرق البيضة فتقطع يده )
يعارضه حديث ( لا قطع إلا فى ربع دينار )

والبيضة من المستحيل أن تبلغ قيمتها ربع دينار قطعا فتعارض الحديثان فوفق العلماء بينهما عن طريق تفسير الحديث الأول وهو أن مقصد النبي عليه الصلاة والسلام ليس القطع فى البيضة وإنما التنويه عن أن السارق قد يبدأ بسرقة الرخيص ثم يعتاد السرقة حتى يصل إلى سرقة النصاب فتقطع يده

* أحاديث متساوية الصحة ويستحيل الجمع بينها ، هنا تصنف تحت بند علم ناسخ ومنسوخ الحديث ويتم معرفة الناسخ من المنسوخ عن طريق معرفة تاريخ كل منهما
ومثالها
أحاديث نهى الصحابة عن كتابة الحديث موجودة عند البخارى وكذلك أحاديث التصريح بالكتابة والأحاديث متساوية الصحة
هنا يعتبر حديث التصريح بالكتابة ناسخا لحديث النهى عنها لأن النهى ثبت فى فترة مبكرة مخافة اختلاط الحديث بالقرآن كما أن التصريح بالكتابة لم يكن للعموم بل كان للبعض مثل عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما
كذلك حديث ( لعن الله زوارات القبور )
يعارضه حديث ( كنت نهيتكم عن زيارة القبور ألا فزوروها فإنها تذكركم الآخرة ) الحديث الثانى ناسخ للحديث الأول
ومن الملاحظ أن مجالات تلك العلوم ليست سهلة أو بسيطة بل هى علوم كاملة فى تلك الفروع فمختلف الحديث قسم علمى كامل له مصنفوه وخبراؤه مثل بن قتيبة مؤلف كتاب ( تأويل مختلف الحديث )

والناسخ والمنسوخ كذلك وأيضا فى العلل والشذوذ هناك كتب مستقلة لها أو كتب الشروح الحديثية
فالقصد أن جهود علماء الحديث لم تكن قاصرة على النقل المتين والأمين وحسب بل كانت نقلا وعلما وعملا

## السؤال الخامس عشر : الأحاديث الضعيفة وشروط العمل بها

*في بعض الكتب نقرأ أحاديث ضعيفة ، يستدل بها الكاتب على صحة ما يقول ، فهل الأحاديث الضعيفة مرفوضة تماما أو أننا نستطيع الأخذ بما يصح معناه منها ؟ ، وقد قرأت في بعض كتب الحديث عند التخريج فيقال : حديث ضعيف والمعنى صحيح ، فهل يأخذ بالحديث إن كان معناه صحيحا خاصة وأن درجات الضعف تختلف بحسب البعد عن شروط الصحيح ؟*

## الجواب :

المرفوض تماما هو الأحاديث الموضوعة وحدها ,
أما الأحاديث الضعيفة فلها شيئ من الاعتبار والفائدة ، ويجوز استخدامها بشروط حددها علماء الحديث وهى
*يجوز استخدامها فى مجالات الفضائل والترغيب والترهيب ونحوها وهو مذهب إمام السنة أحمد بن حنبل والحافظ بن حجر العسقلانى ولا يجوز استخدامها فى الأحكام ومن باب أولى فى الأصول والعقائد
*يجب أن يكون الحديث بدرجة ضعيف لا ضعيف جدا أى لا يكون ضعفه شديدا
*يجب ألا نجزم بنسبته إلى النبي عليه الصلاة والسلام فنجعل الرواية بصيغة التمريض ( روى أو نحوه )
وفى الفقه كان أحمد بن حنبل يورد الحديث الضعيف بشرط ألا يوجد فى الصحيح ما يعارضه وألا يكون فى بابه حديث آخر أصح منه
ومالك بن أنس كان يعمل بالحديث الضعيف بنفس الشرط ويفضله على الاجتهاد

والحديث الضعيف يختلف عن الحديث الموضوع من أن الحديث الموضوع هو الذى يوجد فى رواته متهم بالوضع والكذب
وضوابط تضعيف الحديث متعددة نعرفها من مخالفة الحديث فى تعريف الحديث الصحيح ، وتكون أسباب الضعف فى السند إذا كان الراوى واهما أو غالطا أو واهيا أو كثير النسيان أو ما شاكل ذلك
كما يتم تضعيف الحديث عند اختلال السند فى أحد راوته بسقوطه وقد صنف العلماء فى ذلك الحديث إلى أنواع وهى المعلق والمرسل ، وأول من تكلم فى المراسيل وعدم الإحتجاج بها الشافعى رضي الله عنه وقبله كان الجمهور يحتج بالمرسل وهو الذى سقط من إسناده واحد نظرا لقرب العهد بالصحابة ولوجود تلك الأحاديث موصولة فى أسانيد أخرى

أما استفسارك عن عبارة (المعنى صحيح والحديث ضعيف )
فهى عبارة يستخدمها علماء الحديث للدلالة على الأحاديث الضعيفة سندا الصحيحة متنا وأشهر مثال لها حديث معاذ بن جبل
( بم تقض يا معاذ قال بكتاب الله ..... الحديث )
فهذا الحديث منكر والمنكر أحد أنواع الضعيف ورغم ذلك فمعناه فى الأصول صحيح تماما حيث يرتب مصادر الفقه ترتيبا صحيحا وهى القرآن والسنة والإجتهاد
وملحوظة هامة:
لفظ منكر يظن البعض أنه مرادف لكلمة مكذوب أو موضوع وهذا غير صحيح فالمنكر تعريفه هو الحديث الذى يتفرد به الراوى الضعيف ولا يتابعه على ذلك أحد فحينئذ يسمى منكرا
أما إذا انفرد الراوى الثقة برواية حديث لم يتابعه أحد عليه فيسمى الحديث عندئذ غريب أو عزيز

*السؤال السادس عشر :*
*ما هو التمريض؟*

الجواب :
التمريض هو أسلوب صيغة من صيغ الرواية تعتمد على التجهيل وعدم التصريح بصاحب المقال
وعكسها التصريح
فالتمريض أن نقول ( رُوى بضم الراء ونبنى للمجهول أو نستخدم لفظ قيل وما شاكل ذلك)
والتصريح أن نصرح بالمصدر فنقول قال فلان كذا ونحدد أو نقول ورد فى الكتاب الفلانى لفلان وا
ستخدام صيغة التمريض فى الحديث معناها أن الحديث ضعيف

## السؤال السابع عشر : مفهوم ومعنى الجامع المانع

*تقابلنا تلك المقوله : القرآن الكريم هو الجامع المانع ، أو أن أمر من الأمور جامع مانع، ما معنى لفظ الجامع المانع*

### الجواب

مفهوم الجامع المانع هو تعبير أصولى ، أى تعبير علمى يستخدمه علماء الأصول فى الشريعة بالذات ، وإن كان لا يمنع استخدامه فى كل العلوم ,
وذلك أن مفهوم الجامع المانع يوصف به بشكل عام التعريفات العلمية فأى تعريف علمى يجب أن يكون جامعا مانعا وإلا سقط شرطه عن الإعتبار وأصبح تعريفا مخلا ,
كما يتم استخدامه فى وصف النصوص وبشكل خاص فى القرآن والسنة ,
وله مدلولان,
إما مدلول نسبي وإما مدلول مطلق كما سنوضحه
فى البداية ما معنى كلمة أو مفهوم جامع مانع ,
إذا أطلقنا هذا التعبير بصدد شيئ ما فمعناه أن هذا الشيئ جامعا أى أنه يجمع كل تفصيلة خاصة به ولا يخرج منه شيئ داخل فيه
ومعنى أنه مانع ، أى يمتنع دخول ما ليس فيه عليه
كمثال ,
التعريفات العلمية ، فأى تعريف علمى ـ بغض النظر عن ماهية هذا العلم ـ يجب أن يكون جامعا مانعا بحيث إذا قمنا بتعريف علم الفلك مثلا ,
فيجب أن يكون هذا التعريف جامعا لكل مجالات علم الفلك بحيث لا يسقط التعريف أى مجال منها
ومانعا أى لا يمكن أن يحتمل التعريف إدخال شيئ من غير علوم الفلك إلى التعريف
فإذا أخل التعريف بشرط من هذه الشروط تم اعتباره تعريفا قاصرا لم يؤد الغرض
ومن هنا نستنتج أن التعريفات العلمية يجب أن تكون جامعة مانعة إلى أقصي حد ممكن لكن لا يشترط أن تكون مطلقة لأن الأمر المطلق من المستحيل تحقيقه فى كلام البشر غير أن هذا لا يعنى أن يحوى التعريف استثناءات كثيرة وإلا اعتبر مخلا
ومثال ذلك من علم الحديث مثلا إذا أخذنا تعريف الحديث الصحيح والحديث الموضوع

فالتعريف يقول : هو الحديث الذى يرويه العدل الضابط إلى منتهاه عن مثله فى جميع الطبقات من غير شذوذ ولا علة
فهذا التعريف جامع مانع لجميع شروط الحديث الصحيح بحيث أننا من المستحيل ـ بشكل عام ـ أن نصادف حديثا صححه العلماء لا تجتمع فيه هذه الشروط الثلاثة الرواية عن العدول ـ انتفاء الشذوذ ـ انتفاء العلة

والحديث الموضوع هو من من فى أحد رواته متهم بالكذب
غير أنه هناك استثناء وحيد تقريبا من الممكن أن يكون الحديث فيه حائزا على الحكم بالوضع بغير أن ننظر فى سنده أصلا مع أن من شروط تعريف الحديث الموضوع أن يكون فى رواته من هو متهم بالكذب
وهذا الاستثناء له قواعد أخرى عالجها العلامة بن القيم فى كتابه الرائع المنار المنيف
ومثاله أيضا من علم الفيزياء تعريف العنصر الفلزى فتعريفه احتوى شروط الصلابة والقابلية للطرق والسحب , وهذا التعريف جامع مانع لكن له استثناء وحيد تقريبا وهو الزئبق فهو عنصر فلزى رغم أنه غير قابل للطرق والسحب
وهكذا...
وهناك أيضا فى المجالات العلمية مجال آخر يلزم له أن يكون جامعا مانعا وهى القواعد العلمية سواء فى العلوم النظرية أو العملية ,
مثال ذلك القواعد الأصولية فى الفقه التى أسسها العلماء ، مثل قاعدة الضرورات تبيح المحظورات وقاعدة لا اجتهاد مع نص وقاعدة الضرورة بقدرها وقاعدة الإجتهاد لا ينقض بمثله

وفى مجال العلوم المعملية هناك القواعد التى يؤسسها العلماء بناء على تجارب قاطعة مثل القاعدة الفلكية أن الصعود فى السماء لا يمكن أن يكون فى خط مستقيم وقاعدة دوران الأفلاك وغيرها
وهذه القواعد تعتبر قواعد جامعة مانعة لكن فى المطلق ,
والسبب فى ذلك أن مرجعها ليس بشريا ، فالقواعد الأصولية فى الفقه ليست فيها أقوال للبشر بل هى مستقاة بكاملها من التشريع والقرآن والسنة ولهذا فلا استثناء لها
والقواعد المعملية الثابتة بالتجارب مرجعها القدرة الإلهية قطعا ولهذا فهى مطلقة بعكس التعريفات التى يجتهد فيها العلماء فتحتمل الإستثناء
هذا بالنسبة لمفهوم الجامع المانع فى المجالات العلمية

أما من حيث وصف النصوص ,
فهناك نصوص أدبية أو علمية أو فكرية أو نحو ذلك يمكن إطلاق وصف أو مفهوم جامع مانع عليها وهى النصوص التى تتمكن من معالجة كافة عناصرها بحيث لا يهمل الباحث شيئا يحتمله عنوان الموضوع دون أن يعالجه

وأصدق الأمثلة على ذلك الرسائل العلمية من الماجستير والدكتوراه والبحوث فأحد شروط نجاح البحوث العلمية أو الفكرية أن تكون جامعة مانعة للعنوان الذى يختاره الباحث لموضوعه
وأيضا يعتبر مفهوم الجمع والمنع هنا مفهوم نسبي لا مطلق ، لأن الكمال المطلق لا يمكن توافره لعمل بشري أبدا

والدليل على ذلك أن رسائل البحوث رغم أن شرطها الرئيسي توافر الجمع والمنع إلا أن المناقشة لها ودراستها والرسائل التى تليها فى نفس المجالات تستدرك عليها ما فاتها
أما الجامع المانع فى النصوص بشكل مطلق
فلا يتوفر إلا فى القرآن والسنة ، لأن نصوصهما وحى جامعة مانعة لا يمكن أن يستطيع عالم أو بشري أن يعدل فيها فيدخل فيها ما ليس منها أو يخرج منها ما داخل فيها
هذا هو توضيح المفهوم باختصار

## السؤال الثامن عشر : المجاز في القرآن

*حين نتناول مثالا من القرآن الكريم ونبين أن فيه استعارة أو مجازا .. يقول أنه يتعرض لانتقادات السلفيين.. لأنهم يقولون أن لا مجاز في القرآن أو استعارة.. وهو يقول أن المجاز لا يكون في أسماء الله تعالى وصفاته.. ويكون في غيرها..*

*ويقول أن شيخينا ابن القيم وابن تيمية -رحمهما الله وأسكنهما جناته- لا يقولون بمجاز القرآن ، والغريب أن ابن القيم عرف ببلاغته وفصاحته وحبه للأدب..! والحقيقة أن علم البلاغة هو الذي يكشف كنوز النص.. وخاصة القرآن الذي هو المعجزة الأدبية الخالدة..*

## الجواب :

بالنسبة لسؤالك حول المجاز بعموم وفى القرآن الكريم خاصة وموقف العلماء منه
فهذا الموضوع موضوع خلافي كبير جدا بين اللغويين والأصوليين في اللغة نفسها أولا ، ومن حيث التطبيق في القرآن الكريم بين علماء الشريعة والفرق
وغاية ما سأدلك عليه أننى سأعطيك الموقف الوسطى بأبسط عبارة وأبرر لك في نفس الوقت سبب موقف بعض العلماء الثقات الذين جانبهم الصواب في موضوع المجاز

في البداية معنى المجاز ببساطة
هو حمل اللفظ والتعبير على غير مراده لوجود قرينة صارفة
بمعنى أن المجاز هو أقرب إلى تفسير وتأويل الألفاظ والعبارات على غير معناها الواضح الصريح وحملها محملا نسبيا على غير المراد الظاهر لوجود مبرر لذلك من العقل أو السياق
ومثال ذلك أن نقول عن مجيئ الرجل الشجاع أنه جاء الأسد محمد
فهذه العبارة لا تحتمل أبدا أن نحملها على ظاهرها فيكون المجيئ لأسد فعلى لأن المقصود من الموقف كما هو واضح من القول مجرد التعبير عن الشجاعة بلفظ يعبر عنها
وللحكم على اللفظ أو التعبير بأنه مجاز يلزم له ضرورة هامة وهى وجود قرينة أو دليل يصرف اللفظ عن معناه الصريح
فإذا أخذنا العبارة السابقة ( جاء الأسد ) وطلبنا الحكم فيها
فالأصل أن نعتمد الدلالة الصريحة في العبارة فنفهم منها أن هناك أسدا فعليا قد جاء ,
هذا هو الأصل
ولكن إذا توافرت دلالة أو قرينة تظهر المقصود يتم حمل القول على المجاز كأن تتم العبارة فتكون جاء الأسد محمد مثلا
والخلاف حول المجاز تفجر في معركتين كبيرتين ,

الأولى خلاف بين أهل اللغة أنفسهم ، حيث غالى بعضهم فأنكر وجود المجاز في اللغة من الأصل ، وهذا لا شك أنه رأى فاسد لأن اللغة العربية مليئة بالتعبيرات النسبية التي يستحيل أن نحملها على ظاهرها
وفريق آخر توسط فقال بالمجاز لكنه لم يفتح الباب على مصراعيه له وهو الجانب الصحيح
وفريق ثالث أكثر وبالغ في المجاز وهو لا شك أنه رأى فاسد أيضا لأن ينزع مضمون الكلام نهائيا لو أكثرنا من المجاز

أما المعركة الكبري
فقد جرت بين الفرق المختلفة حول مجاز القرآن ، وهل يوجد مجاز في القرآن أم لا ؟!
وسبب نشوب تلك المعركة أن القرآن الكريم نزل عربيا أصيلا وبالتالى فأى خلاف في اللغة فلابد أن يلقي بظلاله في تفسير القرآن وبالذات في مجال العقائد المختلفة
وظهرت الفرق المختلفة كالشيعة والباطنية والصوفية والمعتزلة بأنواعهم وظهر أمامهم أهل السنة ,
فقالت معظم هذه الفرق بأن القرآن الكريم كله أو جله مجاز , وهو تطرف مألوف من أصحاب الفرق لأن القول بزيادة المجاز في القرآن خدم أغراضهم خدمة كبيرة
فقالت الشيعة مثلا أن معظم آيات القرآن نازلة بالمجاز في آل البيت وأعدائهم وعبروا عن ذلك بتأويلات شديدة الفساد مثل تفسيرهم الجبت والطاغوت بأنهم أبو بكر وعمر وتفسيرهم الخمر والميسر بعدد من الصحابة وتفسيرهم النور بأنه الإمامة إلى غير ذلك من التأويلات التي حملوها بالمجاز على الآيات الصريحة في مواضعها التي لا تحتمل مجازا مطلقا
وجاءت المعتزلة فحملت آيات الصفات كلها على المجاز حتى الثابت منها بلا قرينة صارفة فتأولوا اليد بالقدرة والعرش بالتعبير عن القدرة والكرسي بالعلم إلى غير ذلك مما رأيناه من مذهب المعتزلة القائم على إنكار الأسماء والصفات نهائيا
وهناك الصوفية المغالية التي ضربت لها في هذا المجال بنصيب وافر ففسروا آيات القرآن الكريم بالمجاز تفسيرا باطنيا يفسد محكم الآيات وعبروا عن ذلك في تفاسيرهم المشهورة مثل تفسيرهم قوله تعالى لموسي ( اخلع نعليك ) أى اخلع عنك الشهوة والنفس أو نحو ذلك
وهذه التأويلات والمبالغة في استخدام المجاز لا شك أنها باطلة لسبب بسيط وهو انعدام القرينة الصارفة والتى هى شرط اعتبار المجاز في اللغة فلا يمكن أن تصبح القاعدة في اللغة اعتبار المجاز وإلا فسد الكلام
فالقاعدة والأصل في اللغة الصراحة والاستثناء هو المجاز عندما تتوفر دواعيه بقرينة تدل عليه ولادراك كم المفاسد التي تترتب على المبالغة في استخدام المجاز يكفينا مثلا أن نسقط المجاز على بعض آيات الأحكام في القرآن لنرى كيف أن الأحكام الثابتة في العبادات والمعاملات تبطل أدلتها فلا صلاة ولا صوم ، كهؤلاء الذين حملوا لفظ الصلاة على الدعاء وأنكروا السنة فقرروا أن الصلاة تمتمة بالدعاء وفقط بلا ركوع أو سجود

أما أهل السنة
فكعادتهم الوسطية التي توارثوها عن النبي عليه الصلاة والسلام وهى حقيقة الإسلام بلا جدال فليس هناك إفراط ولا تفريط ,
فقال الجمهور من علماء السنة أن القرآن الكريم به مجاز لكنهم وضعوه في مواضعه باعتباره استثناء لا قاعدة ,
وقد أوضح الإمام الأديب بن قتيبة أن المجاز في القرآن حقيقة لا شك فيها وهاجم من أنكره وهاجم في نفس الوقت من توسع فيه ولا شك أن كلام بن قتيبة صحيح لأن بالقرآن الكريم آيات تحتمل المجاز ولا يمكن أن نعبر عنها بصريح ومحكم التعبير ، من ذلك أشهر مثال يدرسه طلبة العلم على مجاز القرآن قوله تعالى
{وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا} [نوح:٧ ]
فتعبير جعلوا أصابعهم في آذانهم ليس المقصود منه صريح لفظ الأصابع بل المقصود أطراف الأصابع فقط ولو أن القرآن الكريم لا يحتمل المجاز لكان المفهوم من الآية أنهم يدخلون أصابعهم بكاملها في آذانهم وهذا لا شك أنه مستحيل
كما يلزم الإيضاح أن إجماع أهل السنة متحقق أن المجاز لا يعتد به في الأسماء والصفات
نأتى لقصة بعض العلماء الثقات الذين أنكروا المجاز كلية في القرآن الكريم,
وهذا الموقف مجانب للصواب لكنهم امتلكوا العذر في ذلك حيث أن معظم هؤلاء هم من العلماء الذين عانوا الأمرين في محاربة البدع التي أتت بها الفرق الكلامية المتوسعة في المجاز فكان هذا سببا في أنهم أنكروا المجاز بالكلية ,
نخلص من هذا أن رأى أستاذك رأى صائب وهو أن بالقرآن الكريم مجاز لكنه في حدوده وفى نفس الوقت لا يعتد بالمجاز في مجال الاسماء والصفات الواضحة التي نحملها على ظاهرها ونسكت عن تأويلها أو تصورها
أما مسألة إنكار بن تيمية وبن القيم للمجاز في القرآن فلم أقف عليه في حدود ما قرأت لهما وهو قليل , ولو كان هذا صحيحا فهو موقف خاطئ منهما لكنه محمول على معاناتهما من الفرق الكلامية وربما كان مقصدهما المجاز الفاسد وليس المجاز في المطلق لأن بن تيمية رحمه الله له قول في تعبير ( جنب الله ) لتي وردت في القرآن الكريم حيث أنه أنكر على المجسمة الذين قالوا أن لله جنب بموجب هذه الآية
{أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَا عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللهِ وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ} [الزُّمر:٥٦ ]
وإنكاره هذا معناه أن سلم تلقائيا بأن في الآية مجازا محمولا على معنى التفريط في جانب الحق مع الله
ولا تلقي بالا لمسألة أنهما لم يصيبا فى تلك المسألة فهذا لا يقدح فى مكانتهما شبرا ، فهما وغيرهما من كبار العلماء على مر العصور لهم أخطاء مختلفة وبالغة فى بعض الأحيان فلا وجود للعالم الذى لا يخطئ

السؤال التاسع عشر :

*هل مسألة الأخذ به فيها خلاف أو أكثر من قول ؟وهي أن الحديث الضعيف تبين لنا أنه يؤخذ به في فضائل الأعمال فهل تشرح لنا بالتفصيل ؟*

الجواب :

بالنسبة لسؤالك المتجدد حول الحديث الضعيف والعمل به فى الفضائل ,

أولا : بالنسبة لمسألة أن هناك خلافا بين العلماء فى العمل به فهذا صحيح لكن قول الجمهور هو الذى نقله بن حجر وهو جواز العمل به فى الفضائل والترغيب والترهيب وفيما لا علاقة له بالأحكام والعقائد والأصول ، بالشروط السابق ذكرها ,

ثانيا : قولك:

*بمعنى أن لا نعتقد ثبوته عند العمل به وكما أورد الحافظ الشرطيين الآخريين فكأنه أغلق الباب على العمل به*

هذا غير صحيح ,

لأن قوله هذا معناه إغلاق العمل به فتأملى لفظك نفسه ، أغلق العمل به

وكلمة العمل به لا تسري إلا على ما كان عملا حكميا فى الأحكام والأصول والشرائع

أما فى الفضائل فتلك لا يقال عنها أننا نعمل بها لأنها ببساطة لا نرتب عليها أثرا من العمل أو الإعتقاد أو الفروض

ولتقريب المسألة لذهنك

فإن الأخذ بالحديث الضعيف هنا يشبه تماما الأخذ بالحكم والأقوال المأثورة

فعندما نستخدم الحكم فى موضعها إنما نقصد بها زيادة الإيضاح فى مناقشة أمر أو شرحه

من المستحيل ساعتها أن نتصور أن قائل الحكمة يعتبرها قاعدة يجب قبولها أمام محاوره

فمثلا إذا تناقش شخصان فى أشد أنواع الحزن فقال أحدهما أن الحزن المترتب على فقد الحب أقوى وقال آخر أن الحزن المترتب على نقض الصداقة أشد

فشرح الأول وجهة نظره وعضدها ببيت الشعر القائل

لا يعرف الحزن إلا كل من عشقا ,

فهل يمكن للطرف الثانى أن يكون يكون لزاما عليه الأخذ بهذه الحكمة وعدم نقضها ويحتج عليه الطرف الأول بأنها دليل

كلا بالطبع إنما هى من باب توثيق الكلام وبسطه فى الشرح

فاستخدام الحديث الضعيف يجب أن يكون من هذا الباب وهو الإيضاح والتعضيد أما إذا أورده صاحبه من باب الإلزام فمردود قطعا

ثالثا : هناك نقطة بالغة الدقة يجب التركيز والإلتفات إليها ,
وهو أن الفضائل نوعان ,
فضائل تعتبر من العقائد والأصول حكما
وهذه تعامل معاملة الأحكام مثل حديث العشرة المبشرين وحديث شهادة خزيمة رضي الله عنه واعتبارها بشهادتين
فرغم أن الحديثين يردان فى باب فضائل الصحابة إلا أن معاملتهما تؤخذ من باب الأحكام لأنها ترتب أثرا حكميا فى الدين
فبناء على حديث العشرة أقررنا لهم بالتقدم فى الفضل على سائر الخلق بعد الأنبياء والمرسلين وهى عقيدة ما كان لها أن تترتب أبدا إلا بناء على نص صريح صحيح فلو كان الحديث ضعيفا ما جاز لنا أن نختار العشرة كأفضل فضلاء الصحابة
كذلك حديث اعتبار شهادة خزيمة بن ثابت بشهادتين ، فهذه منقبة وفضيلة لخزيمة رضي الله عنه
لكنها ترتب حكما وهو الأخذ بشهادته على أنها شهادة رجلين وهو ما تم تطبيقه بالفعل فى مرحلة جمع القرآن عندما وجدوا عند خزيمة آيتين لم تكن عند غيره فقبلوهما منه رغم اشتراطهم أن تأتى الآية معضدة بشهادة اثنين من الصحابة وذلك لثبوت النص على اعتبار شهادته بشهادتين ولو كان الحديث ضعيفا أو لا يثبت ما أخذوا به
والنوع الثانى من الفضائل
هو الغالب وهو النوع الذى يؤخذ فيه لصاحب الفضيلة مزية أو منقبة تأتى من باب التقدير لكنها لا ترتب أحكاما فتلك يجوز فى بابها أن نورد بشأنها الحديث الضعيف
مثال ذلك حديث (ذا فتح الله عليكم مصرا فاتخذوا منها جندا كيثفا فإنهم خير أجناد الأرض)
فهذا الحديث ضعيف لكن إذا كنا نتحدث عن فضائل مصر وأوردناه فلا مانع لأنه لم يرتب أثرا فى الدين وحكما فلم يقل أحد مثلا أن بموجب هذا الحديث يمتنع الجهاد على غير المصريين أو لا يخرج جيش من المسلمين إلا وفيهم مصري مثلا
بل هو من باب التشجيع والتحفيز
وأخيرا ,
الحديث الضعيف فى باب الفضائل والترغيب والترهيب يجب استخدامه على تلك الشاكلة فإذا جاء قائله فاحتج به وأراد أن يرتب عليه أمرا رددناه
مثال ذلك فى حديث مصر السابق ,
إذا اجتمعت الجيوش الإسلامية مثلا على حرب اليهود فخرج قائل يقترح أن تكون قيادة الجيش فى يد المصريين حصرا باعتبار هذا الحديث وبغض النظر عن مقومات الكفاءة ,
هنا نقول : مع احترامنا للحديث والفضيلة إلا أنه قول مردود لأنه فضيلة أما ترتيب هذا الحكم عليه فيلزمه النص الصحيح الحجة

أما قولك:
*وفضائل الأعمال من الإيمان أي أنه لا بد عليها من دليل ثابت عن النبي عليه الصلاة والسلام*
*وقد ورد عنه صلى الله عليه وسلم : " إياكم و كثرة الحديث عني ، من قال علي فلا يقولن إلا حقا أو صدقا ، فمن قال علي مالم أقل فليتبوأ مقعده من النار " صححه الألباني في سلسلته*

الجواب :
سبق أن أوضحنا أن الفضائل ليست من الإيمان بمعناها المطلق بل فضائل الصحابة ومن شاكلهم فقط
واعتبار أمر ما من الإيمان هو أمر بالغ الخطورة فلا يقال هذا القول على عواهنه ، ويلزمه النص والإثبات
لأن أعمال الإسلام والإيمان وقفية فلا يمكن إدخال من هو خارج منها أو العكس إلا بنص
فإماطة الأذى عن الطريق من الإيمان لأنها وردت بنص ، ولكن ماذا لو لم تكن بنص ، هل يجوز لعالم أن يقول أن إماطة الأذى من الإيمان باعتبار أنها فعل حسن
كلا بالطبع
نعم هى من الحسنات لكن اعتبارها من الإيمان لابد فيه من النص
أما حديث (إياكم وكثرة الحديث عنى )
فليس معناه ألا نكثر الحديث عنه عليه الصلاة والسلام فى المطلق فهذا الحديث مقيد لأن الحديث المطلق هو
(بلغوا عنى ولو آية ) وأيضا قوله عليه الصلاة والسلام ) حدثوا عنى ولا حرج ( وقوله ) نضر الله وجه امرء بلغته مقالتى فبلغها ... )
فالأصل أن نكثر الحديث والتبليغ عنه عليه الصلاة والسلام لكن بضوابط
من هذه الضوابط ما نص عليه الحديث السابق وهو عدم كثرة الحديث عن النبي عليه الصلاة والسلام بغير تحقيق
فالمقصود من الحديث ألا نكثر فى القول والرواية عنه بلا علم بالمصدر لأن الإكثار يكون غالبا مصاحبا للزلل فالنهى هنا ورد فى شأن الإكثار المذموم وهو محاولة الظهور بمظهر الحفاظ والعلماء بلا أداء حق هذه الكثرة
يعضد ذلك مثلا أن هشيم بن بشير وأحمد بن حنبل والطبرانى رووا فى كتبهم ومجالسهم ما يزيد على أربعين ألف حديث ، فهل يمكن القول هنا أن هذا من الإكثار المذموم ؟!
كلا بالطبع لأنه إكثار استوفي شرائطه

*أما قولك :*

*وإن قلنا الاخذ به في الفضائل ، فهل يكون هناك حكما على ذلك مثل أن نقول أن العمل الوراد في الحديث الضعيف مستحباً ؟*

الجواب :

كلا ,

الحديث الضعيف لا يحتج به فى عمل قط طالما كان من أعمال العبادة لأن المبدأ الأصلي فى العبادات والأعمال أنها توقيفية بالنصوص وشرطها كما نص الأصوليين بالإتفاق أن تكون ثابتة بالنص الصريح الصحيح فلا مجال هنا للعمل بالضعيف

لكن بعض الأئمة قالوا أنه يجوز فى باب النوافل وما شاكلها بعيدا عن الفروض والسنن المؤكدة مثل مالك الذى كان يقدم العمل بالحديث الضعيف على الرأى والقياس

ولكن لا يمكن الأخذ بهذا بعد زمن مالك,

فهذا القول لمالك رضي الله عنه لم يكن على إطلاقه وإنما قاله لأن الأحاديث الضعاف على عهده وأشهر أنواعها المراسيل كانت معضدة وهى بدرجة الحسن تقريبا لقرب عهد مالك بأهل الرواية من كبار التابعين ,

أما بعد مالك فإصطلاح الأصوليين حول مفهوم الحديث الضعيف اختلف اختلافا كبيرا

فلم يكن على عهد مالك تصنيف للحديث إلى صحيح وحسن وضعيف

بل كان هناك صحيح وضعيف فقط ، ومعظم ما احتج به مالك بالضعيف هو فى مرتبة الحسن التى أقرها الأصوليون فيما بعد

يؤكد ذلك أن مالك نفسه لم يكن يعمل بالحديث الضعيف الذى ينطبق عليه شرط الضعف الشديد وأخرج من الموطأ عشرات الأحاديث من هذا النوع ولم يعمل بها

فضعيف مالك كان ينقسم إلى نوعين فى الواقع ضعيف بمعنى الحسن وضعيف بمعنى الضعيف الأصلي

وبالإتفاق العمل بالحديث الحسن جائز

## السؤال العشرون : عن المشاعر الإنسانية

*مالفرق بين المشاعر التى تحتوينا والمشاعر التى نحتويها ؟!*

## الجواب :

الفارق بين المشاعر التى تحتوينا والمشاعر التى نحتويها
هو الفارق بين المشاعر التى نملكها والمشاعر التى تملكنا ,
وتعريف كل منهما
المشاعر التى تملكنا هى مشاعر الفطرة التى جبلنا الله عليها
فلا نستطيع ردها والتحكم بها حتى لو أردنا ، وهى المشاعر المزروعة فى كل إنسان بطبيعته وتنشأ معه بنشأة الحياة والإدراك ولا حيلة له فيها كما أنها تنشأ تلقائيا
ومثالها حب الأب لولده وحب الأم وكذلك محبة الإبن لأبيه ومنها حب الحياة وحب السعادة وحب اليسر فتلك مشاعر تمكلنا لا نستطيع التحكم فيها بتغييرها
أما المشاعر التى نملكها هى التى ننشئها نحن بتجاربنا فى الحياة ولا تنشأ إلا بالتجربة والإحتكاك
ونستطيع أو من الممكن أن تتغير بوجود مؤثرات
مثال ذلك حب الصديق فمن الممكن أن ينقلب وينتهى إذا اتضح لك أنه ليس صديقا بل كان عدوا متخفيا ,
كذلك من الممكن ألا يكون لك أصدقاء فأنت تتحكم فى ذلك بتجاربك
كذلك حب باب معين من العلوم أو المهن ، فمن الممكن أن يبتليك الله بمعلم سوء يجعلك تكره اليوم الذى فكرت فيه أن تتعلم هذا العلم

السؤال الحادى والعشرون : الزيادة فى الحديث وحكمها ..

*قال ابن حجر في صفة الحديث الحسن لغيره أنه قد تكون له زيادة مقبولة وأخرى غير مقبولة فأما المقبولة فهي غير المخالفة ، يأتي بها الراوي موافقة لمن قبله وأما الاخرى المردودة فتكون شاذة أو منكرة حسب الراوي ..*

*فكيف تكون هذه الزيادة هل هي قول منفرد بصاحبها تدخل تحت حكم الحديث المستقل الذي ينفرد به الثقة فلا يرويه عن شيخه إلا هو ؟!*

الجواب :

الزيادة أشبه ما تكون بالحديث المستقل لكنها لا تعامل معاملة الحديث المستقل قطعا لأنها ملتصقة بحديث آخر ,

فلا يمكن اجتزاؤها منه ولكن يتراوح حكمها بين القبول والرد حسب طبيعتها من الصحة أو عدم الصحة

وقولك أنها تدخل تحت حكم الحديث المستقل الذى ينفرد به الثقة عن شيخه غير صحيح لأن الزيادة ليست كل ما يرويه الثقات بانفراد

بل ينطبق عليها جميع حالات الحديث فقد تكون مروية عن ثقة وقد تكون مروية عن ضعيف وحالات إنفراد الراوى فيها خلط دقيق يجب الانتباه له ,

فهناك نوع كامل من الأحاديث اسمه الغريب والغريب هو الحديث الكامل ـ لا الزيادة ـ الذى ينفرد به الراوى الثقة ، فإذا انفرد به الراوى الضعيف سميناه منكرا

فالأحاديث الكاملة المنفرد بها هى قسم مستقل لا تندرج تحتها الزيادات

اما الزيادات فكما قلنا قسم مستقل يعالج اختلاف الروايات فى الحديث الواحد بزيادة لفظ أو جملة .. ويخضعها العلماء للتحقيق وينبهوا عليها

وتنبيه أخير بشأن الزيادات حتى لا يختلط عليك الأمر لتشابه الألفاظ

فهناك فى علم الحديث زيادات وهناك زوائد , أما الزيادات فقد عرفناها وهى لفظ أو جملة أو إضافة تأتى فى بعض روايات الحديث الواحد مخالفة عن رواياته الأخرى ,

أما الزوائد

فمجال آخر مختلف يعتبر فرعا علميا من علوم الحديث قائما بذاته له كتبه وأصوله ومصنفاته

وتعنى الزوائد هى الأحاديث التى ينفرد بتخريجها المحدث عن بقية أقرانه

فمثلا إذا تأملنا البخارى ومسلم وهما قرينان سنجد أن كليهما انفرد عن الآخر بأحاديث ، فهذه الأحاديث تسمى زوائد البخارى أو مسلم ، وهناك زوائد كل كتاب من الكتب الأربعة فى السنن

وأشهر مصنفات الزوائد هو مجمع الزوائد للهيثمى

## السؤال الثاني والعشرين :الحديث الصحيح لغيره

*في تعريف الحديث الصحيح لغيره : هو ما تعاضد خبران كل منهما حسن لذاته فإنه يرتقي الخبر لأن يكون صحيحا لغيره. هل يقصد المصنف أنه نفس الخبر ولكن بروايتين من طريقين مختلفين تقوى أحدهما الأخرى ؟!*

## الجواب :

نعم هذا صحيح ,
تعدد الطرق يرتفع بدرجة الحديث بشرط مهم ,
ألا يكون فى طرق التعضيد من هو متهم بالكذب والوضع
فعندئذ لا يفيد تعدد الطرق بل على العكس يساهم فى تضعيف الحديث أكثر

## السؤال الثالث والعشرين

*من أنواع الحديث المردود المراسيل : كيف تصنف في المردود من حديث الآحاد ومراسيل الصحابة حجة يعمل بها , وهل يمكن أن يسقط صحابي تابعي في الحديث المرسل أفلا يكون إن أسقطه كأنه أخذ الحديث عن تابعي ؟!!*

## الجواب :

الحديث المرسل تعريفه هو الحديث الذى يسقط فيه من السند الصحابي فى آخره
فيقول التابعى قال رسول الله عليه الصلاة والسلام ، عندئذ يكون الحديث مرسلا
هذا هو تعريفه الأصلي
أما مراسيل الصحابة ، فتلك لا يطلق عليها اسم المرسل حكما بل لفظا ,
لهذا فمرسل الصحابي حجة حتى لو لم يصرح بالسماع من النبي عليه الصلاة والسلام لأنه حتما سمعه من صحابي آخر
أما ما ذكرته من أن يسقط الصحابي التابعى فهذا غير وارد لسبب منطقي بسيط
أن الصحابة لا يحدثون عن التابعين ,
فيجب أن تلاحظى الطبقات ، فترتيب الطبقات ضرورى لاعتبار الحديث
فالتابعي يحدث عن الصحابي وتابع التابعي يحدث عن التابعي وهكذا
وليس متصورا عقلا أن يحدث راو من طبقة عالية عن روا من طبقة أدنى لأن صاحب الطبقة الأدنى مصدره فى التلقي أساسا هو الطبقة العليا
لكن الممكن أن يحدث أصحاب الطبقة الواحدة عن بعضهم البعض
فيحدث الصحابي عن صحابي آخر عن النبي عليه الصلاة والسلام
وقد ثبت ذلك وانتشر فكان الصحابة رضي الله عنهم يحدثون عن بعضهم البعض لأنهم لم يكونوا جميعا حاضرين مع النبي عليه الصلاة والسلام فى كل أوقاته فكانوا يتبادلون المعرفة
كذلك من الممكن أن يحدث التابعون عن بعضهم رغم أنهم متفقون فى الطبقة وفى لقاء بعض الصحابة لكن ليس لزاما أن يكون كل التابعين لقوا نفس الصحابة شرطا
ولهذا فإن بن عباس مثلا كان له تابعون ملاصقون به ومعروفون وكذلك زيد بن ثابت وعبد الله بن مسعود رضي الله عنهم جميعا
فهؤلاء يحدثون عن بعضهم البعض فيما يعرفه كل منهم عن هؤلاء ولا يعرفه الآخرون

## السؤال الرابع والعشرين استدلالات الأصوليين والمحدثين

*ما الفرق في استدلالات الاصطلاحات عند الأصوليين والمحدثين بمثل أن يقول الأصوليون أن المرسل ما سقط منه راو فأكثر ، ويقول المحدثون أن المرسل هو قول التابعي : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم*

## الجواب :

إن كنت تعنين بالأصوليين الفقهاء ,
فتعريفات الأصوليين لا تعتمد فى علم الحديث بل القول قول المحدثين لأن أهل المجال
ويقول الشيخ أبو اسحاق الحوينى أن بعض المصنفين فى مصطلح علم الحديث كانوا من أهل الفقه فغلبت عليهم صنعتهم فوضعوا تعريفات أو أضافوا أخرى خالفوا فيها المحدثين ,
لهذا ينبغي الإنتباه لذلك وأخذ المصطلح وتعريفاته من أهل الصنعة أنفسهم وهم المحدثون
كذلك خالف الأصوليون المحدثين فى عدة أمور تتعلق بعلم الحديث عندما أقحموا أنفسهم فى مجال المحدثين فقال بعضهم مثلا أن حديث الآحاد لا تثبت به العقائد ونقبله فيما دونها وقالوا بأن مجتهد الفقه يجب عليه أن يجتهد بنفسه فى قبول الحديث ورده ولا يقتصر على أخذ قول المحدثين
وهذا لا شك أنه جناية على علم الحديث وعلمائه
وبالمقابل أقحم المحدثون أنفسهم فى الفقه والفتوى دوهم ليسوا من أهلها لأن الفتوى والأحكام رهن بأصول الفقه وهو مجال له أهله فأقحموا أنفسهم فى الفتوى بالتحريم والإباحة بناء على نصوص الأحاديث التى تأتى تحت أيديهم دون أن يجعلوا لطرق الإستدلال اعتبارا
وهو أمر له خطورته حيث خرجت فتاوى المحدثين تلزم الأمة بأوامر ونواهى لم تثبت فيها صيغة الأمر والنهى القطعى بل وردت على سبيل الاستحباب
والطرفان أخطئوا بذلك وكان هذا الإقحام والإقتحام سببا فى تفجر الصراع المدوى بين الفقهاء والمحدثين منذ فجر عصر الكتابة والتصنيف
وهو أمر تناوله العلماء مثل بن الجوزى فى التلبيس وسيحين موعد تناوله إن شاء فى شرح تلبيس ابليس

## السؤال الخامس والعشرين : الحديث المدرج

*كيف يقبل الحديث مدرج الإسناد ويعمل به إن بين الراوي إدراجه ذلك وهو من أصل المخالفة التي سببت الطعن في الحديث ورده ؟*

## الجواب :

الإدراج ليس عيبا فى الحديث ولا مطعنا يسقط الإحتجاج به كما تتخيلين بل هو نوع من تقسيم الأحاديث للإيضاح والتفرقة بين أصل الحديث وبين ما يلحق به من زيادة ليست منه..
والفارق بين زيادة الإدراج وزيادة الرواية التى شرحناها سابقا
أن زيادة الرواية تكون ملحقة أصلا بالحديث..
فإن ثبتت الزيادة عن ثقة هنا يتم إلحاقها بالحديث على أنها جزء من كلام النبي عليه السلام
أما زيادة الإدراج فتختلف..
لأنها أصلا ليست من الحديث بل هى من أحد الرواة أو الصحابة وردت غرض الإيضاح
كمثال حديث عائشة رضي الله عنها عن الزهرى فى البخارى والذى أتى فيه
( أن النبي عليه الصلاة والسلام كان يتحنث فى غار حراء )
وقد ورد الحديث كالتالى
( أن النبي عليه الصلاة والسلام كان يتحنث ـ والتحنث التعبد ـ فى غار حراء)
فما بين الفاصلتين ليس من الحديث وإنما هو من زيادات الزهرى
فالزهرى عندما روى الحديث قطع الرواية بتلك الزيادة ليبين معنى كلمة التحنث .. فهذه هى ما يسمى بالحديث المدرج..

السؤال السادس والعشرين :السند الظاهر والمتصل

*وأورد المصنف في هذا أن الحديث قد يرفع فيكون مرفوع صحابي بسند ظاهره الاتصال..*

*ما الاختلاف بين السند ظاهر الاتصال والسند المتصل وهل الأول قد يكون مرسلا مثل مراسيل الصحابة ؟*

الجواب

كلمة ظاهر الإتصال تفيد أن الحديث يبدو لغير المحترف أو المدقق متصلا بينما هو غير متصل أو منقطع

كما نقول عند تعريف العلة فى الحديث أنها سبب خفي يقدح فى الحديث وظاهر الحديث السلامة منها,

*تعقيب ..*

*ما الذي يميز الحديث المقابل للمزيد المتصل وهو ظاهر الاتصال عن المنقطع ؟*

الجواب

كلاهما به عيب والاختلاف فى درجته

تعقيب آخر

*وبشأن حديث صاحب البدعة كيف يؤخذ منه الحديث وتقبل روايته رغم بدعيته ؟*

الجواب

المهم هو لزوم الصدق وألا تكون البدعة مكفرة فلا تخرج صاحبها عن زمرة المسلمين وهذا ما اتفق أئمة الحديث على قبوله

وقبول الرواية من المبتدع ليس معناها الإشادة به أو تزكيته ، بل هو كما قال البخارى ( لنا روايته وعليه بدعته)

وفى ظل الشروط السابق ذكرها لقبول رواية المبتدع يرتفع الشك بها حتى لا يضيع حديث صحيح لمجرد التعنت,

## السؤال السابع والعشرين : زلات العلماء وأخطائهم وحكمها ..

*كثير من أسماء العلماء التى تتمازج أرائهم وأقوالهم في مقام المُسلم به تقريبًا ،، فيكون له زلة من الزلل فيأتي بما يخالف به منهج يتبعه.. وقد تتفاوت تلك الزلة في درجاتها..*
*هل في تلك الحالة نحكم بإسقاط هذا الرمز .. ؟؟*
*وهل يختلف الحكم ما بين زلة شخصية تخالف منهجه،أو فتوى يتحمل عاقبة من ينتهجها. ؟؟*
*وندرك أنه ليس هناك أحدًا معصوم إلا رسول الله والأنبياء*

## الجواب :

هذا سؤال عظيم القدر وكبير المسئولية.. والمشكلة أنه بالغ الضرورة لنا هذه الأيام..
فإن لم يتحر المرء منا من أين يأخذ وكيف يأخذ فبأى منهج يتلقي العلم ؟!

الإجابة على السؤال لها أبعاد كبيرة ,
فى البداية ينبغي لنا أن نؤصل لقاعدة كبيرة ومهمة وهى أنه لا أحد معصوم لا من الخطأ ولا من الهوى,
أما الخطأ فهذا أمره يسير إذا لحق بالعالم لأن الإجتهاد صاحبه مأجور حتى فى الخطأ ومن المستحيل أن نسقط عالما لأجل أنه غفل عن قاعدة أو حديث أو أخطأ القياس والتفسير,
فالخطأ مهما بلغ فهو مردود ومكانة صاحبه محفوظة طالما أن الفعل كان فى محتوى الخطأ وتعريف الخطأ هو الزلل الذى يقع فيه الإنسان عن غير عمد قاصد بذلك الصواب
مثل خطأ أبي حنيفة فى قوله أن الإيمان قول باللسان وإقرار بالقلب فقط دون العمل مستدلا بالآية الكريمة
( الذين آمنوا وعملوا الصالحات )
فافترض أن الواو هنا فاصلة بين الإيمان والعمل واستنبط منها اجتهاده السابق
وهو بخلاف الإجماع أنه قول وعمل
وجاء الشافعى فأبطل هذا الإستدلال باحتجاجه بالآية الكريمة
( رب المشرقين و رب المغربين)
فالواو لو كانت هنا فاصلة لكانت كارثة إذ أنه معنى ذلك وجود إلهين واحد للمشرق والآخر للمغرب !
وبالتالى فالواو الأولى ليست فاصلة بل واو للبيان وحسب
ورغم أن قول أبي حنيفة فى الإيمان مخالف ويعتبر أحد أقوال المرجئة إحدى الفرق الشاذة إلا أن أحدا لم يأخذها عليه كذلك لأنها جاءت بخطأ فى الإستدلال فحسب

أما الهوى..
فهو المعضلة الحقيقية ، ذلك أن الخطأ بهوى يختلف عن الخطأ المجرد حيث يصبح الفعل شبه عمدى بحيث يستجيب فيه العالم لهواه ضاربا الأدلة جانبا
والهوى هو الذى يسقط العلماء لكن بشروط..
فالهوى ليس نوعا واحدا كما أنه ليس مقدارا واحدا
لأنه موجود فى الفطرة البشرية بطبيعتها ولا يوجد إنسان خال من الهوى مطلقا إلا المعصومين
ولهذا فإنه ينقسم إلى
هوى فطرى تقليدى لا يؤثر فى صاحبه
وهوى يؤثر لكن تأثيره جزئيا يظهر فى صاحبه على فترات ويغيب فى أغلب أحواله
وهوى بلغ القمة وهو الذى يتحكم فى صاحبه تماما
وإسقاط العلماء لا يكون إلا مع النوع الثالث فقط لأن الهوى إذا تحكم فإنه يأخذ بالعالم إلى مدارك غير محسوبة من تعمد التجهيل ويوقعه فى التعمية المقصودة والإنتصار للنفس أو للمذهب
والقاعدة التى ينبغي أن نقرنها بهذه القاعدة السالفة هى اعتمادنا على شهادة العلماء فى إسقاط العالم
مع مراعاة عدم قبول أقوال الأقران فى بعضهم البعض
ومعنى تلك القاعدة أن إسقاط عالم من الإحتجاج ليس بالأمر الهين أو السهل حتى يمكن أن نأخذ فيه برأى عالم واحد أو قلة من العلماء لاحتمال أن يكون هذا الإسقاط من قبيل التحاسد والتنافس لهذا فالإحتجاج يكون بمجموع أقوال العلماء مع النظر فى أدلتهم أيضا ,
قسمنا الهوى عند العلماء إلى ثلاثة أقسام نعيد ذكرهم بالأمثلة ليبدو الأمر واضحا..
أولا: هوى فطرى تقليدى لا يؤثر فى صاحبه
وهذا النوع من الهوى لو توفر الإدراك له لوفر الكثيرون من ذنوب الطعن بالعلماء وأعراضهم لا سيما وأن الطعن فى أى شخص بالأصل هو جناية عظمى كما ورد فى الحديث الذى صححه الألبانى فيما معناه
( إنه من أربي الربا أن يخوض المرء فى عرض أخيه )
فكيف إذا كان الخائضون فى الأعراض يخوضون فى أعراض العلماء الذين هم ورثة الأنبياء ولحومهم مسمومة من تتبع عوراتهم بغرض فضحها تتبعه الله حتى جوف بيته
والسبب فى نزوع بعض طلبة العلم والشباب المتسرع إلى الطعن هو تحمسهم الشديد لما ينتسبون إليه من توجهات وآراء فلا يتحملون عليها أدنى مخالفة ومن ثم إن وجدوا أحد كبار العلماء وله هفوات من الهوى الطبيعي الغير المعيب أساسا..
تجدهم سراعا إلى رفضهم وإسقاطهم وحتى دون مستند

وهذا بخلاف إجماع السلف بل وإجماع المفكرين والمحققين العقلاء ـ حتى من خارج مجال الشريعة ـ على أن الهوى المحتمل هو الذى يدور حوله المثل المعروف
الإختلاف لا يفسد للود قضيا
والإنسان مهما بلغ من القدرة على الحياد سيعجز أن ينأى بنفسه عن الهوى التقليدى الكامن فى طبيعة ذاته..
مثال هذا الهوى المحتمل الشدة التى عرف بها بن حزم فى مناظراته ومحاوراته وثقته المتينة بعلمه وفضله..
لا شك أن هذا نوع من الهوى .. لكنه مقبول لأنه بالفعل عالم محقق مدقق وفضله لا ينكره أحد وشدته التى ألبت عليه علماء عصره كانت إحدى مميزاته فى جانب آخر
وهو جانب دفاعه عن عقيدة أهل السنة فى مواجهة الفرق المختلفة والملل الزائغة كاليهود والنصاري
وتراثه العلمى مشهود ـ ليس عندنا فقط ـ بل حتى فى أوربا التى نقلت علمه عبر الأندلس
وأبحرت فى مجالاته الفكرية حيث لم يكتف بن حزم بعلوم الشريعة بل صنف فى الفكر العام والأدب كما فى كتابه طوق الحمامة:

أيضا هناك مثال على الهوى المقبول فى مجال الفكر السياسي وأعنى به عملاق التحليل السياسي محمد حسنين هيكل ..
معروف بالضرورة أنه مؤسس الناصرية ومنظرها الرئيسي فى زمانها الذهبي ..
وبعض بسطاء الفكر يعتقدون أن هيكل هو من استفاد من عبد الناصر بينما الواقع أن عبد الناصر ما كان لتجربته أن تتحول من تجربة رياسة إلى تجربة زعامة على المحيط العربي والإفريقي والآسيوى لولا محمد حسنين هيكل..
فهو النابغة الذى تولى مكانة رهيبة الثقل فى السياسة الدولية بفضل موهبته وشعبيته الساحقة وخطابه المؤثر

وقد رهن امكانياته تلك كلها ومواهبه فى خدمة التجربة الناصرية ونشرها حتى أن اسم هيكل كان فى أيام عبد الناصر نفسه يتزامن فى القوة والتأثير مع هذا الأخير ومقالاته فى كل يوم جمعة تحت عنوان ( بصراحة ) كانت تترصدها دوائر الإعلام وترتجف لها أسماء كبري فى محيط السياسة العربية
وكان المقال الذى دوما ما يكون أشبه ببحث كامل يتناول الشأن الجارى وقتها بالتحليل والمعلومات والتوثيق ويطرح رؤاه فى القضايا المشتعلة فى تلك الفترة الساخنة من تاريخ العالم .. وبعد نشره كان يذاع فى الإذاعة الرسمية حرفا حرفا وكلمة كلمة بمنتهى الدقة حتى أن المذيع كان إذا مر بفاصلة فى المقال ذكرها..

ويعود هذا إلى أهمية التحليل الاستراتيجى لدى هيكل والذى جعله واحد من أنبغ عشرة صحفيين فى هذا المجال الحساس
وقيمته العالمية أشهر من أن تذكر لا سيما بعد أن اعتزل العمل الرسمى فى السبيعينات وأسس للمرحلة الجديدة فى حياته وهى مرحلة التوثيق السياسي للتاريخ والتى شهدت موسوعاته الضخمة التى حملت الحقائق والوثائق النادرة والتحليلات البارزة التى جعلته مؤسسة بحد ذاته وتزداد قيمة هيكل بروزا إذا عرفنا أن تاريخنا العربي المعاصر هو تاريخ غير موثق ومن كتب فيه كتب بهواه بلا رابط ولا توثيق .. بعكس تاريخنا الإسلامى الذى تميز بالتوثيق عن تاريخ الغرب
فتفوق الغرب علينا فى العصر الحالى فى حفظ تاريخه لأن الوثائق مهما بلغت سريتها تقوم المؤسسات بإعلانها للباحثين بعد فترة وهو ما يختلف جذريا فى السياسة العربية التى لا تخرج من تحت أيديها الوثائق ـ هذا إن وجدت أصلا ـ إلا فى حالات الفضائح الإنقلابات العسكرية فحسب
فجاء هيكل بهوايته الأكثر شغفا وهى استغلال نفوذه فى تجميع الوثائق من مختلف الجهات إقليميا ودوليا لتجعله مرجعا خرافيا لمرحلة التاريخ العربي فى فترة القرن العشرين التى انقلبت فيها موازين القوى عدة مرات
ولا يوجد باحث أو توجد جامعة كتبت أو تكتب فى التاريخ السياسي العربي وعلاقته بالقوتين الأعظم إلا ولهيكل عليها فضل ومنة بكتبه .. بفضل احتفاظه بأطنان من الوثائق السرية يعلم القاصي والدانى أن من بينها وثائق لا توجد فى رياسة الجمهورية أو المخابرات العامة نفسها.
أضف لذلك قدرته الخرافية على تحليل المعلومات على نحو يجعل القارئ يستغرب توقعاته التى تشبه الرجم بالغيب ومنها ما توقعه من فشل انقلاب بوريس يلتسين فى التسعينات بروسيا على جورباتشوف .. فرغم أن الإنقلاب كانت بدايته ناجحة ومتينة إلا أن هيكل وفى الساعات الأولى من يوم الإنقلاب العسكري وبعد أن جمع معلوماته من كافة أنحاء العالم حكم عليه بالفشل الذريع وهو ما تحقق بالفعل
رغم أن بوريس يلتسين تولى السلطة بالفعل ولكن لم يكن هذا بسبب نجاح الإنقلاب بل بسبب استقال جورباتشوف واعتزاله..
أيضا سلسلة المقالات التى أعدها للنشر فى جريدة المصور عقب اغتيال السادات وتولى مبارك للحكم وطرح فيها رؤيته لمستقبل مصر فى ظل الانحياز للمصالح الأمريكية .. وهى مجموعة مقالات وصل نبأ نيته فى نشرها للرياسة فأوفد الرئيس مبارك مستشاره السياسي أسامه الباز إلى هيكل طالبا منه عدم نشرها لا بمصر ولا فى خارج مصر..
ولأول مرة فى حياته يقبل هيكل طلبا مثل هذا نظرا للصلة الوطيدة التى ربطته بمبارك فى بدايات حكمه ولهذا أخفي هيكل مقالاته لمدة ربع قرن ثم عندما بدأ يخرج مع عام ٢٠٠٠ للنشاط السياسي قام بنشرها ليفاجئ القراء بأن المقالات التى كتبها هيكل فى بدايات الثمانينات كانت تسجيلا حيا لما حدث بالفعل!!

فهذا الرجل بكل هذه القيمة المتفردة عندما يكون عيبه أن هواه ناصري وهو بنفسه يعترف بذلك ويقر أن لديه هوى وتحيز لعبد الناصر فمن المستحيل أن نأخذ هواه سببا فى اسقاطه!!
لا سيما وأن هواه تراجع كثيرا جدا عما كان وأصبح مجرد ذكرى للصداقة المتينة التى ربطته بالرجل..
لهذا فكان من الحماقة بمكان أن يصرح بعض السياسيين أن هيكل يفتقد المصداقية لهواه الناصري وهو لم يكتب عن عبد الناصر أصلا إلا مجموعة مقالات جمعها بكتاب من مائتى صفحة لا غير هو كتاب ( لمصر لا لعبد الناصر)
وسائر كتبه بعد ذلك من النوع الموسوعى الذى يتناول التأريخ السياسي للمرحلة بأكملها موثقا توثيقا كاملا
ومن الممكن جدا أن يختلف أى قارئ مع تحليل هيكل للوقائع والمعلومات .. لكنه من المجازفة أن نتصور اختلافنا معه فى الحقائق التى يذكرها لأنه لا يتكلم من رأسه بل من وثائقه .. فإذا خسرته فمعناها أنك تخسر بإرادتك المصدر الوحيد للتاريخ الحقيقي للقضايا المعاصرة..

والنوع الثانى:
وهوى يؤثر لكن تأثيره جزئيا يظهر فى صاحبه على فترات ويغيب فى أغلب أحواله:
وهذا الهوى مشابه للسابق وإن كان أكثر ظهورا بقليل ويكون سببه فى الغالب شخصيا بسبب العداوات التى يتعرض لها العالم أو ما شاكل ذلك فتجعله يميل بهواه إلى مخالفة المتجنين عليه حتى لو كانوا لو على حق فى بعض الأحيان
وأكبر مثال على الواقع وله تأثير مؤسف فى حياتنا هو الخلاف التاريخى بين مدرستى الأزهر والسلفية .. والذى عبرنا عنه سابقا أنه خلاف مصطنع سياسي أكثر منه فعلى على أرض الواقع سببه فى الأصل يعود لمنتصف الخمسنيات عندما كانت العلاقة السياسية متوترة بين مصر والسعودية فى عهد الملك سعود
ثم تطور الأمر الخلاف تشاحن بين بعض العلماء من الجانبين لكون الأزهر فيه بعض توجهات المدرسة الأشعرية بينما المدرسة السلفية لها خلاف تاريخى آخر مع الأشاعرة ..
وإن كانت خلافهم مع الأشاعرة شيئ ومع أشاعرة الأزهر أمر آخر لأن الأزهر لم يتبن المذهب الأشعري على وجه الإطلاق ولا كان كل علمائه بنفس المنهج بل فيهم الرموز الحقيقيين للسلفية الحقة والذين تعتبرهم مدرسة السلفيين المعاصرين زعماء للسلفية بالفعل .. وهؤلاء خرجوا من الأزهر أصلا
مثل الشيخ محمد الأمين الشنقيطى والشيخ أحمد شاكر ووالده الشيخ محمد شاكر الذى كفر خطيب الملك فؤاد على الملأ فى الثلاثينات

فهذا النوع من الخلاف بين الجانبين هناك الكثير من العقلاء تجنبوه وهناك من غالوا فيه ..
ولهذا فموقفنا نحن يجب أن يكون وسطا فى رفض هذا الخلاف كله وعدم الإلتفات إليه واتخاذ العلماء من الجانبين قدوة ومثلا
لا كما يفعل بعض الشباب من المنتسبين للفريقين باتخاذهم الأمر كما لو كان تشجيعا لنوادى كرة القدم فتجد أنصار هذا العالم يهاجمون خصومه وأنصار الخصم يردون وهكذا!

وهوى العلماء فى هذا الجانب مقبول لأنهم بشر وأخطاؤهم فيه بسيطة بالنظر إلى جبال الفضل التى تركوها .. ومن الحماقة وسفاهة الرأى أن نسقط عالما بحجم الرموز لأجل أن رأيه فى عالم آخر كبير رأى سلبي أو جائر أو حتى رأى ظالم..
ومن ذلك على سبيل المثال الشيخ الشعراوى إمام المفسرين المعاصرين
والذى كان لديه ميل للتصوف الأول بمعناه الحقيقي لا بمعناه المبتدع .. بل كان الشعراوى يحمل حملة عظيمة على صوفية البدع كما صرح فى أكثر من موطن..
والسلفيون لا يطيقون التصوف نظرا لما انتشر فيه من السمعة السيئة فتجد بعضهم يسقط الشعراوى من الإعتبار لمجرد أنه يري آراء تتفق مع ما ينكره السلفيون فى كثير من المسائل الخلافية التى فيها متسع كالتوسل وغيرها
وهذا لا شك أنه أمر عظيم وظلم فاحش .. وكان الشيخ أبو اسحق الحوينى زعيم السلفيين المعاصرين اليوم من أكبر الناس الذين دافعوا عن الشعراوى وأنصفوه عندما هاجمته المجلة المشبوهة ( روزاليوسف ) فى التسعينيات..

المثال الثانى هو العلامة الألبانى محدث عصره
والرجل الذى له منة على كل طالب حديث فى هذا العصر .. وما قام به من أعمال عظام فى تحقيق السنة لا سيما بعض الكتب الستة كان ولا زال مسجلا باسمه باعتباره سبقا فريدا..
كان للألبانى رحمه الله بعض الآراء التى خالف فيها وشذ عن المشهور من رأى الجمهور..
ولأن الألبانى زعيم السلفية فى آخر القرن العشرين فقد تتبعه خصوم السلفية فى تلك الأخطاء ليسقطوه عن الاعتبار كما زعموا رغم أن ما انفرد به الألبانى لا يعدو كونه وجهات نظر لها وجهاتها على أية حال
فتجد البعض يتحاشي الألبانى مع تلك الزوابع المثارة حوله رغم أنك لو جمعت خصوم الألبانى فى قفة وعجنتهم ما وزنوا مثقال ذرة بعلمه وفضله
لهذا فإن أراد القارئ أن يعرف من هو صاحب المنهج السليم فى الأخذ عن العلماء ستجد أنه الذى يأخذ عن جميع المدارس التى تتفق فى العقيدة وتختلف فى الفروع فتجده يجمع بين حب الألبانى والشعراوى وبين حب الحوينى وعطية صقر وهكذا ..

والنوع الثالث:
هو الهوى بلغ القمة وهو الذى يتحكم فى صاحبه تماما:
وإسقاط العلماء لا يكون إلا مع النوع الثالث فقط لأن الهوى إذا تحكم فإنه يأخذ بالعالم إلى مدارك غير محسوبة من تعمد التجهيل ويوقعه فى التعمية المقصودة والإنتصار للنفس أو للمذهب وساعتها لا يصبح مأمونا فى طلب العلم عنه
والقاعدة التى ينبغي أن نقرنها بهذه القاعدة السالفة هى اعتمادنا على شهادة العلماء فى إسقاط العالم
مع مراعاة عدم قبول أقوال الأقران فى بعضهم البعض
ومعنى تلك القاعدة أن إسقاط عالم من الإحتجاج ليس بالأمر الهين أو السهل حتى يمكن أن نأخذ فيه برأى عالم واحد أو قلة من العلماء لاحتمال أن يكون هذا الإسقاط من قبيل التحاسد والتنافس لهذا فالإحتجاج يكون بمجموع أقوال العلماء مع النظر فى أدلتهم أيضا ,
مع ملاحظة أننا نتحدث عن أهل السنة لا عن أصحاب الفرق ..

والهوى المتحكم خسرنا بسببه علماء كثيريين وفقهاء كبارا كان لهم فضل كبير لكنهم مع الأسف ارتكبوا مع هذا الهوى أمورا حرفتهم تماما عن المنهج القويم للدرجة التى جعلتهم فى بعض الأحيان حجة للعلمانيين والمستشرقين فى شبهاتهم على الإسلام
ومن ذلك العلماء المغرقون جدا فى التصوف واتباع صوفية الطرق .. والعلماء الذين يشعرون بذواتهم أكثر مما ينبغي فيرون من دونهم من العلماء لا يساوون شيئا وهؤلاء لبس عليهم إبليس بالغرور القاتل
ولن أستطيع التمثيل بالأسماء فى هذا الصدد لكنى سأضع بعض العلامات التى إذا لمحها القارئ فى أى عالم أيا كان وقد اجتمعت فيه فليتحاشاه
وهذه الصفات نجملها فيما يلي:
أولا:
بغض أهل الحديث والمحدثين والتقليل من فضلهم واعتبارهم عالة على الدين وأن الدين قام على أكتاف الفقهاء وحدهم وأن الفقهاء هم من يحددون الصحيح من الضعيف حتى لو ضعفوا البخارى ومسلم ! والمهملين للسنة فى غالب أحكامهم
ومن هذه العينة كثير للأسف .. ومعلوم كقاعدة علمية أنه لا يبغض أهل الحديث إلا أصحاب البدع
ثانيا :
العلماء المجترئين على من سبقهم من أجيال علماء الأمة فتجد الواحد منهم ينتقد ويتهم أعاظم الفقهاء والمحدثين من أصحاب المذاهب وغيرهم للدرجة التى دفعت الوقاحة بعضهم إلى اتهام الطبري بأنه عبيط!

ثالثا :
المعتدين على الصحابة كمعاوية وعمرو بن العاص رضي الله عنهم والمنادين بالتقريب بين السنة والشيعة والمدعين بأن الخلاف بيننا وبينهم فى الفروع ويجاملون الشيعة على حساب عرض أصحاب النبي عليه الصلاة والسلام

رابعا:
العلماء أصحاب الغرام بالفتاوى الشاذة لمجرد الشهرة فتجد لهم ولع كبير بإثارة ضجة كل فترة بفتوى غريبة قد لا يكون لها أى داعى أصلا..
ولكنهم يتبعون المثل القائل خالف تعرف..
من هؤلاء منكرى بعض الحدود الثابتة أو أصحاب الفتاوى التى لا أصل لها من عقل أو نقل كالذى يفتى بجواز الصلاة فى حمامات المنازل المغطاة بالسيراميك
ومنهم أيضا أصحاب السلطان الذين يفتون تبعا لمصلحة سياسية أو غيرها
فهذه المظاهر إن وجدت فالأسلم تجنب هذا العالم
وكقاعدة عامة ينبغي أن يحرص عليها المسلم .. هى اتباع الجماعة .. فلينظر إلى اتباع إجماع العلماء قدر المستطاع وإن لم يجد فرأى الجمهور الثقة
ولنضع بأذهاننا أنه ما من طالب حق حقا وصدقا إلا والله حسيبه ويوفقه ولا يفتنه .. وحتى إن اتبع الرأى الخطأ فاتباعه هذا مغفور طالما خلصت نيته

## السؤال الثامن والعشرين : سيدنا عثمان رضي الله عنه وجمع المصحف

*قام سيدنا عثمان رضي الله عنه بجمع المصحف على حرف واحد وهو حرف قريش وأمر بإحراق جميع المصاحف التي تكون على الحروف الأخرى .. والتزم الناس بأمره وامتثلوا فلم يقرؤوا بالحروف الست الأخرى وكان تعليم القرآن فقط على هذا الحرف*
*فإن كان كذلك..*
*أفليس هذا حري بأن تندرس القراءات الأخرى ؟ وكيف وصلتنا إلى الآن وتمت القراءة بها*

## الجواب

بالنسبة للقراءات السبع وسؤالك حول كيفية وصولها وطرق تدارسها
فاعلمى أن القراءات السبع تختلف عن الأحرف السبعة التى نزل بها القرآن ..
فهناك حرف وهناك قراءة
أما الأحرف فعددها سبعة حصرا بنص الحديث النبوى ..
ويمكنك مطالعة قسم علوم القرآن فقد وضع مشرف القسم تعريف بالقراءات والأحرف والفارق بينهما
وأما القراءات فالمتواتر منها سبعة قراءات وهى ثابتة ثبوت القرآن ووصلت إلينا كاملة مع قراءات أخرى تتفاوت فى ثبوتها..
وهناك كتاب كامل عالج بالأسانيد هذه القراءات الثابتة وهو كتاب النشر فى القراءات العشر لابن الجزرى
فالقرآن وصل إلينا بقرءاته كاملة

أما سؤالك حول القراءة بالأحرف السبعة ومسألة جمع المسلمين على حرف قريش..
فهذا لا يعنى عدم جواز قراءة الأحرف الأخرى من الناحية الشرعية والعلمية
كما أنه ليس واجبا .. بل هو أمر مباح فقط
ولهذا فالمنع فيه من ولى الأمر حرصا على عدم الإختلاف لا يعطل فرضا أو واجبا وهو الأمر الذى فعله عثمان رضي الله عنه

## السؤال التاسع والعشرين : عصمة النبي عليه الصلاة والسلام

*السؤال حول عصمة الرسول - صلى الله عليه وسلم - .. ؟*
*هل هي عن الكبائر فقط ؟ أم هي عن الكبائر والصغائر معا ؟*
*أو أنها تقع ضمن ترك الأولى من الأمور ؟*

### الجواب :

بالنسبة لعصمة النبي عليه الصلاة والسلام أو عصمة الأنبياء والرسل بعموم عليهم السلام فهى مسألة ثابتة فى العقيدة مجمع على أركانها ولكن حدث بعض الإختلاف فى فروعها ..
وحديثنا هنا سيكون عن العصمة وفق مفهوم القرآن والسنة الذى نقله وأجمع عليه أهل السنة والجماعة وشذت عنه الفرق التى ظهرت فى وقت متأخر..
وللعصمة فى الأنبياء عدة أقسام منها العصمة العملية والعصمة العلمية .
فالثابت المتفق عليه أن الأنبياء جميعا معصومون عصمة كاملة فى التبليغ عن رب العالمين وهذا القسم لا خلاف فيه إطلاقا بين المسلمين
فالنبي معصوم فى التبليغ لا يجوز عليه فى أمر التبليغ شيئ من السهو أو الغلط أو النسيان أو ما شاكل ذلك
فلا يمكن للنبي أن ينسي أو يغلط أو يسهو فى شأن أمره الله عز وجل بتبليغه من الشريعة ..

أما الإختلاف فجاء فى أمر العصمة العملية فى مسألة هل العصمة للأنبياء تعنى عدم وقوع أى ذنب منهم كبيرا أو صغيرا وهل تعنى عدم جواز السهو والنسيان مطلقا في التبليغ وغيره
فاتفق أهل السنة والجماعة على أن الأنبياء معصومون عن الكبائر مطلقا وعن الإصرار على الصغائر ومعصومون كذلك عن كل فعل مشين يسقط الحشمة ومعصومون عن الذنوب كبيرها وصغيرها إن كانت عن تعمد
ولكن يجوز عليهم الخطأ والذنب فى حدود الصغائر فى غير أمور التعمد
أى أن الأنبياء معصومون عن الكبائر كلها ومعصومون عن الصغائر أيضا لكن فى حدود تعمد فعلها فلا يمكن لنبي أن يتعمد الذنب لكن يجوز أن يرتكب الذنب والصغائر فى حدود الخطأ
كذلك يجوز عليهم السهو والنسيان فيما لا يخص التبليغ

وهناك نوع من العصمة خص الله عز وجل به النبي عليه الصلاة والسلام وحده بنص خاص فى قوله تعالى

{يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللهَ لَا يَهْدِي القَوْمَ الكَافِرِينَ} [المائدة:٦٧]
فالعصمة الواردة فى الآية هنا عصمة من نوع خاص وهى عصمة الحماية والحصانة عن إيذاء الناس له
ولهذا عندما نزلت هذه الآية صرف النبي عليه الصلاة والسلام أصحابه الذين يقومون بحراسته وقال ( لقد عصمنى ربي)
هذه هى الأمور التى عليها الإتفاق فى أمر العصمة للأنبياء
ومن نافلة القول أن نقرر أن العصمة للأنبياء أمر نسبي فلا يوجد عصمة مطلقة أبدا لبشري أو لمخلوق وإلا أصبح كاملا والكمال المطلق لله عز وجل وحده
ومعنى أنها نسبية أى أنه يجوز على الأنبياء الخطأ والسهو والنسيان لكن فى غير أمر تبليغ الرسالة والشريعة
كذلك من العقائد المجمع عليها عدم وجود العصمة لأحد بعد الأنبياء مطلقا خلافا لما قالت به فرق الشيعة من عصمة الأئمة

تعقيب :

*فهل المسيحيون اليوم والذين يؤمنون أن الله واحد ، وأن محمدا - صلى الله عليه وسلم - نبي مرسل من ربه ، ولكنهم يقولون أن لنا شعائر تختلف عنكم .. ونحن نؤمن بنبيكم كما تؤمنون أنتم بنبينا .. .. ولا يفعلون المحرمات ، ولا يأكلون الخنزير . ولا يشربون الخمر ، ويلتزمون بالأخلاق ، والآداب .. .. والأمر عندهم أمر اختلاف في العبادات فقط .. ..؟؟*

*فماهو الجزاء المترتب على ذلك .. أيدخلون الجنة ؟؟*

الجواب :

سؤالكم فى حقيقة الأمر هذه المرة غريب بعض الشيئ

إذ كيف يتصور عقلا أن يؤمن نصرانى ويعترف بمحمد عليه الصلاة والسلام ولا يؤمن بالإسلام بالتبعية ؟!

فهذا لا يستقيم أبدا

لأن الإيمان والإعتراف بمحمد عليه الصلاة والسلام ليس معناه الإقرار بنبوته والسكوت عند ذلك بل يلزم الإقرار بنوبته والإلتزام بما يؤدى إليه هذا الإقرار من الإسلام والتوحيد ولزوم الطاعة والجماعة..

هذه نقطة أحببت التنويه عنها قبل الإجابة..

الأمر الآخر الهام..

لا يوجد اليوم ومنذ بزوغ فجر الدعوة الإسلامية شيئ اسمه المسيحية .. بل هناك أهل الذمة النصرانية واليهودية..

وهذا بنص القرآن

{إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللهِ الإِسْلاَمُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ العِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللهِ فَإِنَّ اللهَ سَرِيعُ الحِسَابِ} [آل عمران:١٩]

ومن أصول عقيدة الإسلام أن الجنة يدخلها المؤمنون الموحدون غير المشركين

وهذا ينطبق على الأمم السابقة التى آمنت برسالات الرسل

أما فى مرحلة ما بعد الإسلام فلا يقبل دين غير دين الإسلام بشعائره وشريعته وشهادته

فلابد من الدخول فى الإسلام ليستفيد الإنسان من طاعته وإلتزامه

فمسألة أن هناك من النصاري من يلتزم بعدم ارتكاب المعاصي تلك لا تفيده خردلة

بل إنه لو فرضنا وجود من يقيم الصلاة والزكاة وسائر الأركان لكنه لم يشهد بالشهادتين فهذا أعماله كالعدم .. فلابد من الإسلام والشهادة..

بالإضافة إلى أن الله عز وجل يغفر سائر الذنوب عدا ذنب واحد وهو الشرك

{إِنَّ اللهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا} [النساء:٤٨]

ولو أن مسلما وقع فى الشرك الأكبر بدون عذر الجهل ومات على ذلك فهو فى النار مخلدا فيها فكيف بالنصرانى الذى لم يقر بالشهادة أصلا ويقول أن الله ثالث ثلاثة ؟!

وسؤالك هذا أثار إنتباهى لقضية بالغة الخطورة ما دار بخلدى أن أراها واقعا أمامى
وهى قضية مدى الدور الرهيب الذى تقوم أنظمة التعليم الحكومية فى أوطاننا العربية..
فتحت تأثير التغريب وثقافة العلمانية وصلت الدرجة بواضعى المناهج الدراسية للأطفال أن يوحوا للنشئ أن هناك ديانات أخرى مقبولة عند الله وأنه لا فارق بين مسلم ومسيحى ويهودى وكل هذا تحت زعم الوطنية!!
وأحد الرؤساء السابقين قال فى تصريح شهير له
(إنه لا فارق بين مسلم ومسيحى فالمسلم يعبد الله على طريقة محمد عليه السلام والمسيحى يعبده على طريقة عيسي عليه السلام !! )
وهذا الكلام كفر وردة عن الإسلام بالإتفاق ..
ومن أغرب الغرائب أن المنادين بهذه الأقوال من دعاة منهج العلمانية والعصرانية يغفلون عن حقيقة راسخة وهى أن الأديان الأخرى ترى المسلمين كفارا..
فاليهود يرون غيرهم كفارا سواء نصاري أو مسلمين وكذلك النصاري ولم يعب عليهم أحد فى ذلك

بينما التركيز فقط على العقيدة الإسلامية التى يجعلونها سهاما لنقدهم كما لو كنا نحن المسلمون من وضعنا هذه التشريعات!
وهذه النظرة المتخلفة الجائرة طبيعية من أهل الملل الزائغة التى دخلتها أيدى التحريف والتى جعلت الدين فى خدمة الدولة وخدمة المصالح بعكس الإسلام الذى جعل الدولة فى خدمة الدين
وقد رأينا كيف أن بابا الفاتيكان أصدر تصريحا ببراءة اليهود من دم عيسي عليه السلام رغم أن هذا القول من أصول عقيدتهم ومع ذلك نقضه البابا تحت تأثير الضغوط اليهودية
واليهود طلبوا علنا من المسلمين أن يحذفوا آيات القرآن التى تتناولهم !!
فهذه الثقافات يجب الإنتباه لها لا سيما فى عقول الناشئة
نسأل الله السلامة

## السؤال الثلاثون : الطائفة البريلوية

*ماهي طائفة البريلوية ؟ ما هو أساس أو منهج عقيدتهم ؟ وما هي عقيدة الشهود ؟ هل هي من أسس عقائدهم أم من أسس عقائد طائفة أخرى ؟؟*

الجواب :

الفرق والمعتقدات لم تنته عند الفرق القديمة كما يظن البعض .. بل لم تمض فترة من الزمن في تاريخ الأرض وفى تاريخ الإسلام بصفة خاصة إلا وظهرت معها فتنة تحملها إحدى الفرق وهناك من الفرق المعاصرة عدد من المعتقدات ربما توازى عددا أكبر من المعتقدات القديمة وبعضها عبارة عن موروث للفرق القديمة والبعض الآخر مستقل

ومعظم الفرق المعاصرة ظهرت في فترة الإحتلال الغربي للبلاد الإسلامية حيث توصل الغرب لطريقة جديدة في قهر الحركات التحررية وفى محاربة الإسلام الذى يوحد شعوبه تحت راية واحدة وهى طريقة بث دعاة للفتن في قلب الإسلام نفسه

ولهذا دعم الإحتلال الغربي في فترة القرن التاسع عشر والقرن العشرين أصحاب الأفكار والمعتقدات التي تتزيي بزى الإسلام وتنخر في أصل المعتقد

ووجدوا غايتهم في الطرق الصوفية المتعددة التي تنعقد تحت لواء الصوفية المنحرفة التي تسترت باسم التصوف فبثت بعض العقائد الفاسدة في قلوب العامة عن طريق استغلالهم لحبهم الفطرى للصالحين

وكانت البريلوية إحدى تلك الطرق والفرق المنتسبة للصوفية

ولا زال هذا الأسلوب قائما لليوم حيث تحظى الطرق الطرق الصوفية باهتمام ورعاية الأنظمة الحاكمة تحت تأثير الدعم الغربي المستمر وذلك لما تفرضه الطرق الصوفية من تغييب مطلق على شريحة كبيرة للغاية من العوام فتغيبهم عن واقعهم وعن أصل دينهم الداعى للأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فيستسلمون للاستبداد الواقعين تحته برعاية الأنظمة العميلة للغرب وهو ما يحقق للغرب أهدافه بمنتهى اليسر والسهولة عن طريق هذه الدسائس

والبريلوية فرقة صوفية نشأت في شبه القارة الهندية الباكستانية في مدينة بريلي فيولاية أوترابراديش بالهند أيام الإستعمار البريطاني وقد اشتهرت بمحبة وتقديسالأنبياء والأولياء بعامة والنبي صلى الله عليه وسلم بخاصة .

وقد كتب عنها مؤرخو الفرق المعاصرين وأشهرهم المحدث اللامع الشهيد كما نحسبه ـ إحسان إلهى ظهير ـ كتابا شهيرا وهو ( البريلوية .. عقائد وتاريخ ) شرح فيه أصول عقيدتهم كاملة ومؤسس هذه الفرقة أحمد رضا خان تقي علي خان وقد كان من 1340-1272 ه الموافق ١٨٦٥-١٩٢١م ولقد سمى نفسه عبد لمصطفى ، ولد في بريلي بولاية اترابرديش وتتلمذ على الميرزا غلام قادربيك .

والميرزا غلام قادر هذا هو شقيق الميرزا غلام القادياني الذى ابتكر عقيدة فرقة القاديانية وهى إحدى الفرق الشهيرة في الهند أيضا وتم تأسيسها كصاحبتها برعاية إنجليزية كاملة وكانت لكليهما دور بارز في الدعوة لعدم الجهاد ضد الإنجليز ومهاجمة المجاهدين ووصفهم بالتشدد بنفس الطريقة التي يفلعها الأمريكان اليوم مع مجاهدى العراق ومجاهدى فلسطين وأفغانستان وغيرها حيث يصبون اللعنات ـ عبر عملائهم ـ على كل نداء للجهاد بينما يفتحون الباب على مصراعيه لعملائهم في الطرق الصوفية والشيعة لنخر العقيدة السليمة وتذويب جهود أئمة الإسلام في حث المسلمين على المقاومة

ومسألة الغلو فى النبي عليه الصلاة والسلام والأولياء والأئمة هى عقيدة مشتركة بين الصوفية بكافة فرقها والشيعة بكافة فرقها أيضا ولكن تتسم كل فرقة منها بغلو فى جانب خاص من جوانب العقيدة يحقق لها التميز عن مثيلاتها

والبريلوية قالت بعقيدة الشهود وهى عقيدة تسللت فيما بعد إلى الطرق الصوفية الأخرى وتركت بصمتها عليها ..

وملخص عقيدة الشهود هى إنكار غياب النبي عليه الصلاة والسلام بوفاته وأنه حاضر ليس غائبا ويتصرف فى الكون وأن الله عز وجل منحه حق التصرف الإلهى فى الأكوان بعد خلقه ووصلت عقيدة الشهود بهم إلى التصريح العلنى بعقيدة الحلول والإتحاد المتوارثة عن قدماء الطرق الصوفية وهى عدم التمييز بين الرب والعبد فقالوا بأن الفصل بين محمد والله تعالى غير ممكن ـ تعالى الله عما يقولون ـ

ولأن الكفر ملة واحدة فالمتأمل فى تلك العقائد يجد السمات المشتركة بوضوح بينها ..

فعقيدة الشهود تسللت إلى الطرق الصوفية المعاصرة أو إلى بعضها فيما يسمى بالحضرة وهى مسمى شهير ومنتشر فى مصر يطلقونه على حلقة الذكر ويغفل الكثيرون عن مفهومه أو معناه أما معناه الأصلي فهو حضرة النبي عليه الصلاة والسلام بجسده إلى تلك الحلقة كرامة لهذا الشيخ أو ذاك

كذلك عقيدة تصرف النبي فى الكون مأخوذة عن عقيدة الشيعة فى الأئمة التى يعتقدون أنهم أصحاب التصرف فى الأكوان وأن الله تعالى فوض إليهم أمر الخلق بعد خلقهم!!

وهو ما قرره الخومينى علانية فى كتابه ( كشف الأسرار)

كذلك من الاتفاقات بين تلك الملل هى موالاتهم الرهيبة للكفار والمحتلين حيث أن جميع الفرق البدعية لها تاريخ طويل فى هذا الشأن إما بالتحالف مع السلطة ضد الفقهاء والعلماء من أهل السنة مثلما فعل المعتزلة فى عصر المأمون

وإما بالتحالف مع المحتلين كما فعل الشيعة مع المغول فى أول هجماتهم لديار الإسلام ثم فى هجمتهم على الشام كذلك عاونوا الصليبيين على صلاح الدين ثم عاونوا الإحتلال الغربي فى إيران لضرب الخلافة العثمانية من الخلف

وأخيرا تحالفوا مع الإحتلال الأمريكى للعراق وقبله مع الإحتلال الإنجليزى

أيضا قامت البريلوية والقاديانية والبهائية وغيرها بدعم الإحتلال الإنجليزى ضد المسلمين فى

شبه القارة الهندية وكانت نشأتهم أصلا بدعم من حكومة الهند فى هذا العصر..
كذلك يجمعهم جميعا الكراهية والمقت البالغ للسنة والعقيدة السليمة ولهذا تتركز هجماتهم على نجوم العلماء فى كل عصر فى هذا الميدان
ولمزيد من التفاصيل يمكنك الرجوع إلى كتابات أستاذنا وشيخنا إحسان إلهى ظهير والذى عالج كل تلك الفرق فى كتابات منفصلة ومنتشرة على النت
وهناك أيضا الموسوعة الميسرة فى الأديان والفرق المعاصرة
أيضا عالج بعضا منها شيخ الإسلام بن تيمية فى كتابه النابغ منهاج السنة النبوية فى الرد على الشيعة والقدرية

## السؤال الحادى والثلاثين :الصوفية ووحدة الوجود

*هل كل فرق الصوفية تقوم على مبادئ وحدة الوجود وما ابتدعه ابن عربي؟ أم أنّ لها أفكاراً سبقت ابن عربي واعتمدت على الفلسفة اليونانية الخاصة بالتصوّف) وقد كان موجودا في الفلسفة اليونانية) والفلسفة الشرقيّة؟*

## الجواب :

كلا بالطبع..
فرق الصوفية أنواع والصوفية نفسها اتجاه ينقسم إلى ثلاث أنواع كما قسمها شيخ الإسلام..
فهناك صوفية الطرق وهناك صوفية الفلسفة وكليهما من أهل البدع
وهناك الصوفية بمعنى الزهد ومحبة الصالحين..
والنوع الأخير هو النوع الوحيد الشرعي والذى من الممكن أن نطلق عليه اسم التصوف الإسلامى وإن كان بعض العلماء يكره أن يلصق المسميات البدعية لأى اتجاه دينى..
فإن كان المقصود من مصطلح التصوف معنى العرفان والقرب من الله عز وجل بالطاعات المفروضة والنوافل المقصودة ومحبة النبي عليه الصلاة والسلام وآل بيته وأصحابه فهذا ديدن الإسلام كله وهو تعريف من تعاريف الزهد المطلوب فى الإسلام
والزهد فى الإسلام ليس معناه زهد اليد بل هو زهد القلب
ويمكن التفرقة بينهما بمعيار بسيط وهو أن يتمتع العبد بالطيبات التى أخرجها الله لعباده بلا حرج أبدا .. بشرط ألا يكون هذا التمتع بالطيبات مقرونا بالتشبث برغد العيش
فالواجب أن يتمتع المسلم بحلال الطيبات متى أتيحت له وإن ابتلاه الله بفاقة أو مرض أو فقر صبر وشكر وحسب ذلك خيرا له .. فالمسلم الحق هو الذى لا يبالى إن كان عنده فى يومه مال أو لا فموقفه من ربه فى الحالتين سواء
وليس الزهد كما ظن الملبس عليهم أن يتحلل الإنسان من ماله ويترك طيب العيش لقسوته وتعذيب النفس بأكل الطعام القاس .. فهذا كله من التلبيس الذى أوضحه الإمام بن الجوزى فى كتابه تلبيس إبليس ولم يكن الصحابة يطلبون الفقر أو يسعون له بل كانوا يتمتعون بالطيبات متى توفرت لهم ويشكرون ويؤدون حقها وإن لم تتوفر لهم استمر شكرهم
والتمتع بطيبات الحياة الدنيا للمؤمنين خالص الحساب عند الله بموجب قوله تعالى:
{قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ القِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ} [الأعراف:٣٢]
فطالما توافر للإنسان المال الطيب والعيشة الرغدة من غير إسراف وأدى حق الله فى ماله فليهنأ بما أحل الله له ولا حرج

وإن الله تعالى غنى عن تعذيب عباده فى الدنيا لمجرد التعذيب
هذا الزهد بهذا المعنى هو من صلب الإسلام وهو ما يطلق عليه بعض العلماء التصوف الإسلامى..
أما الإتجاهين الآخرين وهما الذين تفرعت عنهما اتجاهات فرق الصوفية فهى غريبة عن الإسلام بعيدة عنه كل البعد وليس لها من الإسلام إلا المسمى
ومنها الإتجاه الفلسفي الذى دخل إلى بلاد الإسلام مع دخول كتابات فلاسفة الغرب القدامى مثل أرسطو وفيثاغورس وغيرهم .. وكتابات هؤلاء القوم معروفة باسم فلسفة الإلهيات التى لا يقرها الإسلام لأنها تبحث فى أمور نهى الله ورسوله عليه الصلاة والسلام أن ينشغل بها مسلم أو أن يعمل عقله بها
وهى الموضوعات التى تخوض فى ذات الله وصفاته وطبيعة الخلق إلى جوار الخالق والروح وما يحدث لها وما شاكل ذلك
فهذه الأمور احتفظ الله بها عنده فى علم الغيب المطلق ونهى عباده عن الخوض فيها بتاتا لكونها مهكلة للعقل من جانب ومن جانب آخر هى قضايا فارغة المضمون لا هدف منها لأن البحث منها مهما تعمق وتوسع لن يوصل إلى نتيجة قط
فالله عز وجل صرح فى القرآن الكريم أن تلك الأسرار فى علمه وحده لم ولن يطلع عليها بشري فى المقابل أمرنا الله عز وجل أن نتأمل ونتدبر فى خلق السموات والأرض وفتح أمامنا هذا الباب على مصراعيه لاستكناه أسراره والبحث فيه بحثا يفضي بنا حتما إلى الإقرار بالربوبية لخالق السماوات والأرض
لكن كتب الفلسفة الغربية للأسف تسللت إلينا عن طريق المعتزلة الذين ترجموها وأقحموها إقحاما فى المعارف الإسلامية رغم أنها تضرب العديد من الثوابت فى العقيدة فكانت النتيجة أن برز عدد من فلاسفة الإلهيات فى عالمنا الإسلامى حظوا ولا زالوا يحظون بتقدير البعض منا بالرغم من خطورة كتاباتهم مثل كتابات بن سينا الذى يصفونه بأنه الشيخ الرئيس رغم أنه شيعي اسماعيلي والله المستعان
وأيضا إخوان الصفا الذى كتبوا رسائلهم المشهورة باسم رسائل إخوان الصفا وفيها من الطوام ما فيها ، ومن المعتزلة إلى فلاسفة الصوفية تسللت تلك العقائد وهذه الفلسفات فأنتجت لنا فرقة فلاسفة الصوفية الذين دخلوا غمار هذه المعارف بجرأة على الله تعالى فأفسدوا أيما إفساد
وكانت أول علامات الإفساد قولهم بتلك العقيدة الخبيثة الحلول والإتحاد وأكسبوها رهبة متعمدة حتى لا ينكر عليهم الناس فإذا استمع إليها أحد العلماء وهاله ما يسمع صاحوا به أنه لا يفهم هذه الإشراقات!
بينما أصل هذه العقيدة لا يحتاج عقلا لإدراك أنها إشراقات من اليهود والنصاري حتما ..
فالتطابق بينها كاملا وملخص هذه العقيدة أن الوجود فى حقيقته لا ينفصل عن الموجد وهو الله ـ تعالى الله عن ذلك ـ

وبالتالى فإن الخالق والمخلوق شيئ واحد
وهو ما يسمى بالإتحاد .. وأن الله عز وجل يحل فى بعض مخلوقاته وهو ما يسمى بالحلول
وانتشرت تلك الفتنة فى كتبهم الشهيرة التى لا أرغب بتسميتها ولا تسمية أصحابها
ولا زالت بعض هذه الكتابات مع الأسف الشديد تحظى بالرواج والتعظيم من العصرانيين
والعلمانيين الذين وجدوا فيها فرصة مواتية لضرب السنة والعقيدة السليمة..

## السؤال الثانى والثلاثين : الشوفينية والإنتماء والفارق بينهما

*كيف نفرّق بين الشوفينيّة المتعصبة والانتماء الصادق والفعال للوطن أو القطر ..وكيف نوفّق بين انتماءاتنا لأقطارنا الضيّقة وانتمائنا لوطننا العربى والأمة الاسلامية؟*
*وهنا يخطر سؤال: لماذا ينبذ كثير من الشيوخ الدعوات القومية؟ هل تعادي الإسلام؟؟*

### الجواب :

هذا سؤال هام
وهو يوضح لنا حقيقة هامة للغاية ومؤسفة فى نفس الوقت!
وهى أن الثقافات الغربية التى تسللت لمناهجنا الدراسية فى فترات الإحتلال نجحت نجاحا ساحقا فى طمس البصائر عن المرجعية الإسلامية..
ولم ينج من هذا الطمس أحد من المثقفين إلا قليل ..وقد تورط فيه الجهابذة وأكدوه فى كتبهم ..
وكاتب هذه السطور وحتى فترة قريبة لا تتعدى العامين كان واقعا تحت هذا التأثير ..
أقول هذا يا أختنا الفاضلة حتى لا تتصورى أننى أعيب عليك السؤال
وقضية الإنتماء القومى للأقطار ليست قضية قديمة كما نتصور بل هى قضية معاصرة لا تتعدى المائة عام ونجح الإستعمار فى بثها أثناء الإحتلال عندما تمكن من القضاء على الخلافة الإسلامية العثمانية ومزق أوصالها تمزيقا .. ثم قامت اتفاقية سايكس بيكو بالبقية الباقية حيث تمكنت من تقسيم وترسيم الحدود بين أقطار الخلافة الواحدة والتى ظلت لمدة ثلاثة عشر قرنا عبارة عن وطن واحد وبلد واحد لا يرتفع فيه صوت قومى مطلقا
وقبل الدخول فى صلب القضية يجب علينا التنبيه على حقيقة هامة نغفلها دوما وهى أن الخلافة الإسلامية لم تسقط كما يظن البعض بمضي الخلافة العباسية أو بمجئ التتار
بل ظلت الخلافة قائمة حتى سقوط الدولة العثمانية..
أى أن الحضارة الإسلامية استمرت قائمة حتى بعد سقوط العباسيين أيام المغول وذلك أن جيش مصر والشام تمكن من دحر المغول ورد هجماتهم وأعيدت الخلافة العباسية مرة أخرى وإن كانت تقسمت إلى عدة دويلات وإمارات إلا أنها جميعا كانت تحت الحكم والإشراف العام للخليفة
وتناوبت الدول الإسلامية فى الحكم حتى ظهرت دولة العثمانيين واتسعت رقعة الخلافة الإسلامية إلى قريب من حدودها القديمة وظلت حاكمة لثمانية قرون ودحرت أوربا دحرا كاملا واستولت على مناطق شاسعة منها حتى جاء وقت انهيار العثمانيين فى بدايات القرن التاسع عشر وسقطت الخلافة سقوطا نهائيا فى هذا التاريخ

ومن هذا التاريخ فقط..
ظهرت مسألة القوميات التى ما كانت معروفة أبدا طيلة القرون السابقة حيث أن الدولة الإسلامية والإنتماء لها كانت واحدة ولم يكن هناك من ينادى بأنه مصري أو حجازى أو نحو ذلك إلا لمجرد التعريف بمقامه فحسب
وذلك لأن لواء الإسلام كان يجمع المسلمين فى أقطار الخلافة على وطن واحد
ويؤكد هذا المعنى أن دعوى القومية والعصبية للجنس أو القبيلة أو الدولة اعتبرها الإسلام دعوى جاهلية بنص حديث النبي عليه الصلاة والسلام عندما أثيرت تلك النعرات فقال ( دعوها فإنها منتنة )
فالإنتماء فى الإسلام لا يعرف الأقطار بل هو ممتد ليشمل كل أرض فتحها المسلمون وأقاموا عليها شيئا من حضارتهم حتى لو تم احتلال هذا القطر فيما بعد
ولهذا فالمتأمل فى كتب الفقهاء القدامى فى باب الجهاد يجد بعض القواعد التى تشير إلى هذا المعنى بوضوح
ومنها ما أورده بن قدامه فى المغنى وغيره مما اتفق عليه الفقهاء أنه إذا ديس شبر من أرض المسلمين فالجهاد حينئذ فرض عين
فأى بقعة إسلامية من جروزنى فى شرق آسيا إلى الأندلس فى غرب أوربا إذا وقعت تحت الإحتلال فالجهاد واجب على كل مسلم حتى تحرر تلك الأرض وإلا عم الإثم الجميع
ولهذا السبب فإنه حتى فى عهد الدويلات التى امتلكت رقعة أرض الخلافة كان أمراء تلك البلاد يتناسون خلافاتهم عندما يتعرض بلد منهم لحملة صليبية أو مغولية ..والتاريخ يحتفظ بعشرات المعارك التى خاضها جيش مصر فى عهد المماليك دفاعا عن الشام
ولم تسقط حملات الغرب الصليبية إلا بسبب هذا التوحد الإسلامى ولهذا كان الغرب عبقريا فى إدراكه لهذه الحقيقة فسعي أولا لبعثرة هذا النداء على المدى الطويل وفق خطة مذهلة..
وهذه الخطة وضعها نابليون فى حملته على مصر حيث أدرك باستقراء التاريخ أن المفصل الواقع بين مصر والشام والإتصال بينهما هو السبب الرئيسي فى فشل الحملات الغربية دوما فما إن تشتكى الشام حتى تهب مصر والعكس بالعكس..
فابتكر خطته المعروفة باسم الورقة اليهودية والتى تحدث عنها محمد حسنين هيكل فى كتابه المفاوضات السرية بين العرب وإسرائيل بالجزء الأول
وكان مؤدى الخطة هو زرع جسم غريب بين المنطقتين يجعل التوحد بينهما مستحيلا..
وسقط نابليون أمام أعدائه فى معركة ووترلوا لكن الإنجليز فطنوا لخطته ومضوا فى تنفيذها بالفعل وبدأت الهجرات اليهودية من أواخر القرن التاسع عشر تتوالى على منطقة المفصل الشامى المصري برعاية المنظمات اليهودية وآل روتشيلد فى بريطانيا حتى تأسست إسرائيل التى قامت بدور الحارس الأمين
ومن المعلومات الغائبة عن أذهان الكثيرين أن المناضلين المصريين أيام الإحتلال الإنجليزى لم يكونوا ينادون بتحرر مصر كدولة مستقلة بل كان نداؤهم وجهادهم كله منصب على عودة مصر

كولاية من ولايات الخلافة العثمانية وكان زعيم هذا التيار هو مصطفي كامل نفسه والذى كان جهاده بالتواصل مع والى مصر آنذاك ومع السلطان العثمانى باعتباره خليفة المسلمين..
فلم يكن هناك أى فكرة عن مسألة القوميات فى تلك الفترة ولا حتى القومية العربية التى لم تكن معروفة ولم ينادى بها أحد أبدا طيلة هذا التاريخ
بل كان النداء مركزا على الخلافة وحدها وضرورة تحرر أراضيها من الإنجليز
ولما سقطت الخلافة وتم تعيين فؤاد الأول ملكا على مصر وتغير مسماه من سلطان إلى ملك لدولة مستقلة هى مصر والسودان بدأت خطة الإنجليز تثمر بدفع الكوادر للمطالبة بحركات تحرر قومى مستقلة وهو ما تم بعد ذلك بالفعل
فتسللت ثقافة الشيوعية والقومية إلى عالمنا قادمة من دول غرب أوربا وبلغت أوجها فى الخمسينيات والستينات وتخلت مصر طواعية عن السودان والذى كان هو السبب الرئيسي فى فشل مفاوضات الصلح بين الوفد وبين الإنجليز فقبلت الثورة فيما بعد هذا الإنفصال لتستقل مصر وحدها كدولة..
ثم ظهرت نداءات القومية العربية التى تنادى بوحدة العرب وحدهم على أساس الجنس وهى دعوة ما كان لها ذرة وجود قبل تلك الفترة ومع تفعيل اتفاقية سايكس بيكو وتقسيم وترسيم الحدود فى العالم العربي بالشكل الواقع حاليا
أصبح لكل قطر عربي توجه قومى منفرد
أى أن العرب وبمنتهى البساطة أقروا التقسيمات التى تفصل بينهم إلى دول شرذمية رغم أن هذا التقسيم جاء من الغرب المحتل فى اتفاقية سايكس بيكو
والأدهى من ذلك أن العرب عندما اختلفوا فيما بينهم على تلك الحدود احتجوا بترسيم انجلترا وفرنسا لتلك الحدود واعتبروها مرجعا للخلاف!
وهكذا نشأت دول الوطن العربي المعاصر والتى ليس لمعظمها أى أصل فى التاريخ..
فمثلا كانت الشام بأكملها قطرا واحدا وكذلك المغرب العربي وأيضا الجزيرة العربية .. وكذلك حوض النيل كله من أقاصي الصومال وحتى الإسكندرية بمصر
وكل الدول القائمة حاليا بلا استثناء قامت على حدود عمرها من عمر اتفاقية سايكس بيكو
وساهم الغرب فى توطين تلك الثقافة بتوطين شهوة الحكم والخلافات بين حكام تلك الأقطار الجديدة , وجاءت نداءات القومية العرقية لتؤكد هذا المعنى لنصل إلى النتائج التالية :
اندثار الإنتماء الإسلامى الواحد الذى جمع المسلمين عربا وعجما تحت لواء واحد لثلاثة عشر قرنا
ظهور مسمى الوحدة العربية كبديل عن الخلافة الإسلامية والدولة الإسلامية

ظهور الغيرة على القوميات الضيقة بل وظهور العداءات الجارفة بين تلك الأقطار التى تشكلت إلى دول مختلفة بينما كانت قبل مائة عام فقط دولة واحدة متحدة

ضياع أراضي المسلمين ضياعا نهائيا بسبب نداء القوميات الذى فشل فى مواجهة اليهود فتركوا لهم فلسطين لقمة سائغة وفى نفس الوقت أجرم أكبر جرم فى استبعاد الوحدة الإسلامية من قضية فلسطين لتصبح فى عهد القوميات مشكلة عربية لا إسلامية .. وبهذا وبجرة قلم أخرج القوميون عشرات الدول الإسلامية من معادلة الصراع فضلا على أن القومية وبطبيعتها كنداء جاهلى أدت إلى التضييق أكثر فأكثر فأصبحت قضية الأقصي قضية دول المواجهة ثم أصبحت قضية فلسطين بعد تشكل دولة فلسطين الورقية وهكذا!

تخلى العرب بأنفسهم وبمنتهى البساطة عن دورهم المحورى فى الدول الإسلامية التى كانت معهم تحت مظلة واحدة طيلة ثلاثة عشر قرنا ووصل نداء القومية بهم إلى الوقوف على الحياد من قضايا دول إسلامية شقيقة فى إيران وأفغانستان وباكستان والشيشان وأندونسيا وغيرها مما قطع أى حلقة اتصال بين العرب وتلك الشعوب

كانت واحدة من أكب الجرائم القومية هى أن القوميون لم يكتفوا بالحياد المخزى بل قاموا بالإنضمام لضفوف الغرب ضد مصالح إخوانهم فى الدين بآسيا ..

فدخلت بعض الدول العربية التى كانت تمثل المرجعية الإسلامية لسائر مسلمى الأرض فى تحالفات مصالح مع الإتحاد السوفياتى ضد الولايات الإسلامية وتحالفوا مع الهند ضد باكستان ثم أخيرا اعتبروا الشيشان مسألة روسية داخلية
كما ساهموا بأعظم جناية عندما نشروا ثقافة القومية الضيقة فأصبح المخلصون من أبناء هذه الأوطان صما وعميانا عن إدراك الحقيقة الراسخة فى دينهم وهى أن تعاطفهم فرض واجب ـ ليس مع فلسطين فحسب ـ بل مع سائر قضايا الأمة الإسلامية وليست هناك أرض إسلامية أغلى من شقيقتها ..
ووصل التغييب اليوم بين المثقفين فضلا عن العامة إلى درجة مفزعة بلغت بالمثقفين أنهم يجهلون حتى مسمى الدول الإسلامية فى آسيا فلا يمكنهم معرفة من هى الدول المسلمة فى العالم من غيرها!
آخر القول بخصوص هذا السؤال أن الإنتماء الواجب فى الإسلام يجب أن يكون لكل أرض الإسلام والإقامة فى أى منها متاحة ومباحة بعكس الإقامة فى البلاد غير الإسلامية والتعاطف والإنتماء يجب أن ينصرف بشكل متساوى إلى جميع تلك الأقطار
وليس معنى هذا أن نهمل الإنتماء لأوطاننا القريبة أو نرفض العمل لحكوماتها أو الحرب فى صفوف جيوشها فهذا كله من صلب الإسلام بشرط ألا يكون حكرا على الأوطان بمفهومها الضيق

## السؤال الثالث والثلاثين : الوحدة العربية والخلافة الإسلامية

*لو قامت الوحدة العربية بين الدول العربية.. طبعا بعد أن تصبح حكوماتها وقياداتها تحكم بالإسلام.. أليست مقدمة حقيقية لعودة الخلافة الإسلامية؟ ذلك أن الأرض العربية هي دول اسلامية خالصة.. أي أنها اسلامية الشعب والقضاء والحكم ..وهذا ليس خالصا لأمة كالأمة العربية.. إلا بعض الأعراق .. كتركيا وايران .. بالإضافة الى الإرث اللغوي والتاريخي والأماكن المقدسة من مكة والمدينة والشام..*
*وكيف نفهم حديثاً (لا أعلم صحته) وهو"الأئمة من قريش" وهل ينسحب على العرب؟*

## الجواب :

بالنسبة لما أثرته من نقاش
أولا : ينبغي لنا أن نصحح معلومة هامة أولا ..
ربما تكون صادمة رغم كونها شديدة الوضوح .. لكن هكذا الأشياء الواضحات دوما في ظل التغريب .. كثيرا ما تختفي دون أن تجد من يخضعها لمعيار البحث ..
الوحدة المتصورة أو المتوقعة لا يمكن لها أن تقوم أبدا إلا بمعيار إسلامى ومرجعية إسلامية وأى منهجية أخرى مثل القومية أو العرقية لن تنجح في توحيد الأقطار العربية إطلاقا ..
لسبب بسيط وهو أن التاريخ لم يعرف شيئا اسمه الوحدة العربية أصلا ولا عرف مصطلحا اسمه الوطن العربي!
بل ظهر هذا المصطلح في منتصف القرن العشرين وما بعده مع ظهور نداء القوميات ولم يكن أحد يعرفه في الأجيال السابقة بتاتا قبل قيام الثورة المصرية فى منتصف الخمسينيات ..
حتى عندما انفكت الخلافة واستقلت مصر كدولة مستقلة لم تكن لها مع السودان قومية عربية فكان مسماها مملكة مصر والسودان أو الملكة المصرية وحسب ولم تظهر القومية العربية إلا بعد إعلان الجمهورية وظهور التوجه القومى الذى عبرت عنه الفترة الناصرية فكان مسماها جمهورية مصر العربية ثم الجمهورية العربية المتحدة إبان الوحدة مع سوريا وعودوا إلى العملات المصكوكة في فترة الملكية ولاحظوا المسمى
ولكم العودة إلى التاريخ الإسلامى ودوله المتعددة عبر القرون إلى سقوط الخلافة العثمانية في بدايات القرن العشرين وستجدون أن المنطقة العربية لم تتوحد أبدا بمفردها تحت مرجعية عربية صرفة بل كان توحدها إسلامى محض ويضم معه أعراقا مختلفة مثل الأكراد والفرس والتركمان والبربر
فمسألة وحدة الوطن العربي والنداء بها حلم من أحلام اليقظة نادى بها القوميون في فترة حالكة

من تاريخ منطقتنا لم يكن لها أساس من الواقع أصلا وبالتالى كان تحقيقها محكوما عليه بالفشل ولهذا لم تتحقق تلك الوحدة العرقية أبدا حتى في ظل العصر الذهبي للنداء القومى والذي كان

يمتلك من الوسائل اللازمة ما يكفل له تحقيق تلك الوحدة
لكنه لم يحققها رغم أن فترة الناصرية كان فيها عبد الناصر ومصر أشبه بمشعل القيادة للمنطقة العربية بأسرها وكان راديو صوت العرب وجريدة الأهرام بقيادة هيكل أشبه بالقيادة الشعبية التي كان بقدرتها تحريك الجماهير كيفما شاءت من المحيط إلى الخليج طيلة الفترة من عام ١٩٥٦ م وحتى عام ١٩٦٧ م..
ورغم هذا سقطت القومية في ميدان التجربة العملية رغم كل ما أتيح لها من عوامل النجاح السياسية والإجتماعية والإقتصادية التي تمثلت في قدرة عبد الناصر الخرافية على قيادة العرب وإيقاظ الحس القومى بالجماهير وتمثلت كذلك في وجود القطبية الثنائية في العالم للولايات المتحدة والإتحاد السوفيتى وهو الأمر الذى كان يحقق توازنا هائلا في ميزان القوى مع التأييد السوفييتى للعرب ويسمح لهم بإنشاء الوحدة دون خشية للضربات الخارجة عن الإحتمال من الولايات المتحدة لوجود الرادع وهو الإتحاد السوفيتى
فإذا كانت التجربة القومية فشلت في ظل كل هذه الظروف المواتية فكيف تنجح اليوم في عالم القطب الواحد ؟!
وفشل القوميين في إنشاء الوحدة العربية على أساس عرقي كان متوقعا مهما فعلوا .. فلم يكن فشلهم بسبب سوء التطبيق بل كان بسبب خطأ النظرية في الأساس..
فمحاولة بناء الوحدة على غير أساس الخلافة الإسلامية في بلاد العرب أمر محكوم عليه بالفشل الذريع لعدة عوامل
أولها : أن الدين كان ولا زال هو المرجعية الوحيدة التي تحظى بشعبية ساحقة بين الجماهير بمختلف توجهاتها وإذا تم إيقاظه في الجماهير فالنتيجة الحتمية هى النجاح لأن الشعور الدينى مارد غير قابل للإنكسار ..
وهو العامل الوحيد الذى كان بقدرته قلب الهزيمة إلى نصر ساحق عبر تجارب التاريخ ..
فرغم أن هجوم الصليبيين في حملاتهم السبعة كان متزامنا دوما مع إضطراب سياسي في مصر والشام ودولة الخلافة وكانت الحملات تأتى في فترات يكون فيها كرسي الحكم خاليا أصلا من وجود حاكم مسيطر ..
أو يكون كرسي الحكم محل صراع رهيب بين الأمراء مما يمثل ظروفا مواتية مفضية للهزيمة حتما .. إلا أنه جميع الحملات فشلت بمجرد أن تبينت الجماهير طبيعة الحملات الصليبية وكيف أن هدفها هو الإسلام قبل أرض الإسلام
فتمكن صلاح الدين في معمة الصراع مع الصليبيين من القضاء على الفتن في الحكم أولا ثم استدار إلى الصليبيين فهزمهم جميعا في حملتين يعتبرهما التاريخ أقوى حملات الغرب على الإطلاق باتحاد سبع دول أوربية كبري
وكذلك تمكن سيف الدين قطز من تفادى خلو كرسي الحكم وقفز للسلطة وسيطر على مقاليد

الأمور في نفس الوقت الذى كانت فيه كتائب التتار على بعد كيلومترات من حدود المملكة وتمكنوا من إسقاط الخلافة وشن حرب نفسية رهيبة تشل تفكير أى أمة وأى جيش ومع ذلك

تمكن بالعامل الدينى وحده من الفوز والنصر
كذلك تمكنت امرأة وهى شجر الدر من أن تحسن ضبط الأمور عندما جاءت حملة لويس التاسع إلى المنصورة وتوفي الملك الصالح نجم الدين أيوب وجيوش الصليبيين تدك أبواب دمياط..
فتمكنت بالعامل الدينى من السيطرة رغم كونها امرأة وكتب الله لها النصر المؤزر وأسرت لويس التاسع نفسه
ثانيها : أن العامل الدينى يحمل في طبيعته الوحدة نظرا لأن الدين الإسلامى قامت شريعته على أن المسلمين كالجسد الواحد وآيات القرآن والأحاديث النبوية متكررة في التحذير من التفرق بعكس التيارات الإنسانية كالقومية التي تفرق أكثر مما تجمع نظرا لأنها تجعل الإنتماء للوطن وعلى أساس عرقي وهو ما يحاربه الدين بالطبع .. وبالتالى فإن أول ما يخسره القوميون في ندائهم هو خسارتهم للجماهير المتدينة ـ وهم الأصل ـ وللعلماء الذين لن يتفاعلوا أبدا مع تلك الحركات التي تعمل البعد الدينى المؤسس في الشخصية العربية
ثالثها : غفل القوميون في غمرة حماسهم إلى حقيقة بالغة البساطة وهى أن العروبة بنت الإسلام أصلا ولولاه لما كان لها وجود
فالعرب كانوا قبل الإسلام شراذم متفرقة تتقاتل فيما بينها حتى في داخل القبيلة الواحدة فجاء الإسلام فجعل منهم معجزة متكاتفة واحدة على قلب رجل واحد
فكيف يستقيم أن ننادى بالفرع ونهمل الأصل وهو الإسلام ؟!
خاصة وأن قضية القدس وفلسطين والتى اعتبرها القوميون قضيتهم الكبري هى أصلا قضية إسلامية بحتة ولو أننا سألنا القوميين عن مستند الملكية للقدس الذى يحتجون به أمام اليهود فلن يجدوا مستندا إلى الفتح الإسلامى
فتأملوا التناقض!
من هنا نخلص إلى أن مسألة الوحدة العربية عبارة عن نظرية ساقطة سقطت كغيرها من النظريات البشرية كالشيوعية والرأسمالية وغيرها .. وفشلت نظريا وعمليا
والحل الوحيد أمام التوحد العربي ذاته هو المرجعية الدينية وحدها وبغيره لن تقوم وحدة أبدا بين أى قطرين عربيين .. فضلا على أن يتمكنوا ـ بدون الدافع الدينى ـ من الحفاظ على أوطانهم بلا تقسيم وهو ما لم يستطيعوه
أى أن حلم اليقظة هذا بدأ بنظرية من المحيط إلى الخليج ثم تمزق إلى أشلاء متوالية وصلت إلى حد تقسيم فلسطين وتوقعات بتقسيم العراق وسوريا!

ثانيا : كما رأينا فيما تقدم فليس هناك أصلا شيئ اسمه التوحد العربي متوقعا على الساحة بغير التوجه الدينى الكامل فإذا نشأ التوحد سينشأ على أساس الخلافة التي تتجاهل الإنتماءات العرقية وسيدخل فيها تلقائيا بقية الأعراق لو كان ممكنا ضمها

ولو اقتصر الضم على الرقعة العربية وحدها لظروف وعوامل التاريخ المعاصر فهذا لن يمنع أن تكون الساحة مفتوحة أمام الأعراق الأخرى كإيران وتركيا وأفغانستان وباكستان وغيرها
أما سؤالك عن حديث الأئمة من قريش ..
فهو حديث صحيح ثبت في البخارى أيضا ..
لكن هذا الحديث لن يمثل عقبة كما يتصور البعض في قيام الوحدة الإسلامية لأن الحديث في أساسه شأن تنظيمى ينظم المبدأ الأصلي..
بمعنى أن المبدأ الأصلي هو أن القيادة والحكم للأصلح الذى يختاره المسلمون وأهل الحل والعقد

فلو كان الأصلح الذى اجتمع عليه المسلمون غير عربي أساسا ـ وليس مجرد أنه ليس بقرشي ـ لانعقدت الولاية له بلا خلاف بين أحد من أهل العلم ..
وفى هذه الحالة لا يكون للحديث السابق محل من التطبيق لانتفاء الحالة التي ينظمها ..
أما الحالة التي ينظمها الحديث الشريف ( الأئمة من قريش ) فهى في حالة تساوى المرشحين في الفضل والمكانة والإجادة فيظهر هذا الحديث هنا للمفاضلة وحسب لأن معيار الإختيار يقوم على عاملين أساسيين وهما
اتفاق المسلمين وبيعتهم .. وكفاءة المتقدم
فإن لم يتوفر هذان العاملان في أحد من قريش أو حتى من العرب فلا مجال هنا للحديث
أما لو توافر العاملان في أكثر من مرشح وكان من بينهما من يتمتع بصفة القرشية فالحديث يقف في صفه للإمامة ..
وهذا ما تؤكده نصوص الشريعة التي نصت فيها الأحاديث النبوية على وجوب الأمر والطاعة ولو لعبد أسود ، فالأصل الذى يحكم الإختيار هو الكفاءة والبيعة المجمع عليها ..
والحديث السابق إنما هو نص شرعي قطعى الدلالة في حالته التي قيل فيها وهى حالة البيعة لإمام بعد النبي عليه الصلاة والسلام حيث كانت الأمور واضحة حينذاك ولم يكن متصورا أن تتوافر شروط الإمامة في غير المهاجرين والأنصار وبالتالى كان الحديث النبوى الشريف نصا معالجا للاختيار لتعدد المرشحين..
أما في عصرنا الحالى فالحديث يؤخذ كمعيار للمفاضلة لا يصح نقض الأصل به وهو الكفاءة ..

ثالثا : أما عن علاقة المسلمين تحت مظلة الخلافة بغيرهم من أهل الملل الأخرى كاليهود والنصاري .. فهذا سؤال لا محل له لكونه معلوم الإجابة من الدين بالضرورة حيث تشهد صفحات التاريخ للمسلمين أنهم كانوا أشد الناس حرصا على أهل الذمة ولم يتمتع اليهود والنصاري تحت الحكم الرومانى بحرية دينية كتلك التي تمتعوا بها تحت حكم الإسلام بدليل أن النصاري من أهل مصر والشام كانوا صفا واحدا مع المسلمين في مواجهة الحملات الصليبية الغربية رغم كونها حملت شعار الصليب

فالعلاقة بين المسلمين وبين الملل هى العلاقة المعروفة باسم أحكام أهل الذمة وهى متواترة الذكر في سائر كتب الفقه تحمل مدى سماحة الإسلام مع المخالفين في العقيدة طالما كانوا من غير أهل الحرب

ويكفينا للتدليل على ذلك رفض عمر بن الخطاب للصلاة في الكنيسة عند افتتاحه لبيت المقدس حتى لا يتصور أحد من الحكام بعده أن الإعتداء على أرض وكنائس النصاري وإيذاء مشاعرهم جائزا في الإسلام وهو تطبيق عملى للنهى والوعيد الشديد الذى توعد به النبي عليه الصلاة والسلام من خالف وصيته في أهل الذمة..

## السؤال الرابع والثلاثين :موقف أهل الذمة

*لكن هناك شيء بالنسبة لأهل الذمة..*
*وهو أن سؤالي لم يكن واضحا وأنا الآسفة لذلك منك.. وكان قصدي: علاقتهم بنا من حيث بناء الدولة الإسلامية.. كيف ينتظمون بها وما هي الوظائف التي يمكن أن يشغلوها ؟*

## الجواب :

بالنسبة للسؤال حول موقف أهل الذمة وهم النصاري هنا في واقع الحال حيث أن اليهود لا محل ولا مقام لهم في ديار الإسلام اليوم..
أما موقف المهن التي يمتهنها أهل الذمة فالأمر ينقسم إلى حالين ..
الحال الأول : وهو حال الوظائف الحرة التي لا تشرف عليها الدولة .. أو بمفهومنا اليوم القطاع الخاص فهذا شأن لا يتدخل فيه الإسلام بالتمييز بين مسلم ونصرانى ومكفول لقوانين السوق وفق التنظيمات التي تحكم الطرفين جميعا
الحال الثانى : وهو موضوع السؤال والمعنى به الوظائف الرسمية .. فهذه متاحة لهم أيضا عدا بعض الوظائف المذكورة في الفقه حصرا ألا يتولاها غير المسلم ..
أما بقية الوظائف فلا حرج في توليتهم إياها حيث كان في عهد الراشدين والعهد الأموى هناك من أهل الذمة من يتولى وظائف الديوان والمكاتبات والمحاسبات ونحوها قبل تعريب الدواوين

أما الوظائف المحصورة في المسلمين فهى الوظائف التي يشترط فيها الشرع شرط الإسلام والعدالة لتوليها كالقضاء مثلا والإمامة العظمى والولاية والحكم وغير ذلك ..
والأمر فيه تفصيل كبير جدا حيث أنه يعتبر أحد أبواب الفقه الكبري ولا يمكننى الخوض فيه تفصيلا جريا على ما اتفقنا عليه في هذا المكان أن أمور الفقه نعود فيها للمتخصصين ..
وهذا الباب فيه أحكام قطعية لا تقبل الإستثناء كما أن فيه حالات استثنائية يقدرها الشرع بضرورتها ومن يفتى بذلك أهل العلم وحدهم..

السؤال الخامس والثلاثين : اعتراض وتعقيب على تفسير حديث الأئمة من قريش

جاء اعتراض على تفسيري لحديث ( الأئمة من قريش ) باعتبار أنه شرط فرعى فى الإمامة وهو رهن بالزمن الذى تحققت فيه شروطه ولا يقدح فى شرعية الخلافة أن يكون الخليفة غير قرشي

ومجمل الاعتراض

*اخي*

*هناك أمور يجب علينا التسليم بها كما هي فحديث الرسول هذا لم يأت من فراغ ولم يكن صالحا لزمان دون زمانيل هو حديث منظم يبعدنا عن التفسيرات الشخصية ويجنبنا الاختلافات والأهواء الإنسانية*

الجواب

وأقول:

نصوص الشرع أخى الكريم يجب أن ننظر لها نظرة إجمالية في مجموعها ..

فليس من الممكن أن ننظر لنص منفرد بعيدا عن النصوص الأخرى التي تعالج نفس الأمر ..

وعندنما قلت أن حديث الأئمة من قريش إنما هو حديث لمعيار الأفضلية كنت مستندا إلى النصوص الصريحة في القرآن والسنة والتى تكاثرت في تأكيد وجوب إختيار الأصلح للإمامة واعتباره الشرط الرئيسي..

أما أن نضيف شرط القرشية كشرط أساسي وليس شرطا فرعيا في اختيار الإمام فهذا لا يفض الخلاف بل يثيره

لأنه وببساطة سنهدم شرعية الخلافة التي قام بها غير العرب وغير القرشيين وهو ما لم يقل به أحد ..

فقد جاءت الخلافة العثمانية فأضاءت بنورها العالم لمدة ثمانية قرون وأعادت روح الإسلام بعد غياب رغم أن سلاطينها جميعا كانوا خلفاء من غير العرب أصلا فضلا على أن يكونوا قرشيين

وكذلك حكم بنو عبد المؤمن في المغرب وتسموا بالخلافة وهم ليسوا من القرشيين وأيضا حكم بنو عباد بالأندلس وتسموا بالخلافة الشرعية ولم يكونوا من القرشيين

وحدث هذا في عصور كانت أقطار الإسلام تعج بالفقهاء الجهابذة ومع ذلك لم يحدث أن قام فقيه أو عالم واحد بانكار شرعية تلك الحكومات استنادا إلى هذا الحديث .. لا في عهد تلك الدول ولا حتى بعد زوالها ..

الأمر الآخر الهام ..

أننا لو لم نفهم هذا الحديث كشرط فرعى للأفضلية عند توافر الكوادر المتعددة المناسبة للخلافة

ستظهر أمامنا إشكالية كبري وهى تعارض هذا النص مع نصوص القرآن والأحاديث الثابتة الأكثر صحة والتى تقطع بعدم وجود معيار أفضلية مطلقة بناء على الجنس أو الأصل

يقول تعالى:

{يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ} [الحجرات:١٣]

وقول النبي عليه الصلاة والسلام

(لا فضل لعربي على عجمى إلا بالتقوى )

ومن المستحيل التوفيق بين هذه النصوص وبين حديث الأئمة من قريش إلا بفهم هذا النص على أنه معيار أفضلية نسبي وشرط فرعى حال توافر التعدد وليس فرضا قطعيا تبطل به الإمامة إذا لم يتوفر في الخليفة ..

بل إنه حتى في زمن الخلافة الراشدة كان معيار الأهلية للحكم هو المتفوق بغض النظر عن القرشية بعد الذى نقله بن حجر عن عمر بن الخطاب بسند صحيح أنه قال لو كان أبو عبيدة أو معاذ بن جبل حيا لاستخلفته

ومعلوم أن معاذ بن جبل رضي الله عنهم جميعا كان أنصاريا وليس قرشيا ،.. ومع ذلك رشحه عمر للاختيار وقدمه باعتبار الأكفأ والأولى .. وهو نفس ما ذهبنا إليه في الشرح بالموضوع أن الأصل في الإختيار الكفاءة

وقد قال بهذا المعنى وأكده الإمام بن حجر العسقلانى حيث شرح الحديث وبين معنى الإجماع على قرشية الخليفة أنه كان رهنا بالظروف التي تمت بها البيعة وقتها وليس لازما قطعيا في كل العصور مع تفاوت الظروف والأحوال ..

يقول بن حجر معلقا على الحديث:

(على أن هذا الإجماع لوصح قد يكون سنده ارتباط المصلحة في ذلك الزمن بكون الخليفة من قريش ،لِمَا كان لهم من المكانة والغلبة على غيره ممن العرب ،أي أنهم أهل الحماية والعصبية ،كما شرح ذلك ابن خلدون في مقدمته، والإجماع إذا كان سنده مصلحة زمنية لا يكون حجَّة مُلزمة على وجه الدوام .فإذا تغيرت المصلحةالتي كانت سند الإجماع ،فلم يعد للإجماع المتقدم حجية .)

أى أن بن حجر العسقلانى رحمه الله قال بنفس الشرح وبين أن الحديث كان نصا ملزما في مصلحة زمنية وقتية لا يلزم منها أن تكون على الدوام وفى جميع العصور

## السؤال السادس والثلاثين : الصورة والإطار

*طرح أحد المفكرين سؤالا فلسفيا مؤداه .. هل يلزم الإطار قبل الصورة أو يلزم الإطار للصورة أصلا أم لا يمثل لها أهمية , وهل هذه القضية تعتبر قضية جدلية أم لا ؟!*

## الجواب

في البداية أن نحدد الفارق بين الفكر والعلم .. أو بين الفلسفة والعلم ..
لأنى رأيتك تسميها قضية جدلية وأنا أكره هذا الإسم لكون الجدل ممقوت في أغلبه ..
وأعتقد أن الفلسفة الحقيقية والفكر السليم لا يتطرق إليه الجدل كما هو عند النظرية الغربية ..
بل هو كما عند الفكر الإسلامى حوار يتكامل ..
ولهذا فالفكر يختلف عن العلم في طبيعتهما ـ كما يقول د. فؤاد زكريا رحمه الله ـ
العلم بناء رأسي : يأتى كل عالم فيضيف لبنة إلى من سبقه ولا يمكن أن يستقيم العلم بأن يأتى كل عالم فيبدأ من أول نقطة بغض النظر عما انتهى إليه من سبقه
والفكر بناء أفقي : بمعنى أنه يتراص إلى جوار بعضه البعض بغير أن يكون لزاما على المفكر اتباع من سبقه لأنها وجهات نظر ووجهات النظر بناء نسيج وحده
ولهذا فالإختلاف في الفكر لا يؤدى ـ كما هو مفترض ـ إلى ضرورة أن يكون أحد الطرفين مخطئا بل ربما تصح وجهتى نظر أو أكثر في قضية واحدة .. بشرط أن تكون قضية فكرية خارجة عن إطار الثوابت العلمية التي لا تحتمل إلا الصواب والخطأ.

### نأتى للصورة والإطار:

ومن المؤكد أنك لا تقصد الصورة والإطار فعليا بل تتخذهما كمثال لمعالجة القضية في سائر جوانب الحياة ..
ورأيي أن الإطار يجب أن يسبق الصورة .. كما يجب أن يكون موجودا قبلها بشكل حتمى..
ونبدأ أولا بقضية الإطار والصورة كرسم..
فهل الإطار هو البرواز الخطى الذى يضعه الفنان على اللوحة قبل أن يبدأ الرسم ؟!
في نظرى لا..
بل الإطار يختلف عن البرواز .. البرواز وجوده من عدمه لا يؤثر وهناك لوحات كثيرة بغير براويز وتملأ المساحة التي باللوح
أما الإطار فهو حدود اللوحة نفسها ..
فاللوحة طول وعرض يختاره الفنان تبعا لحجم لوحته التي يزمع رسمها واختياره للوحة بإطارها المحدد بمساحته وأبعاده أمر لازم وضرورى وإلا فسدت اللوحة وتبعثرت الألوان خارج المساحة ..

وتخيلوا معى فنانا لم يحدد إطارا للوحته ووضعها على الأرض وأهمل أبعاد اللوحة نفسها والتى تمثل الإطار المحكوم وظل يرسم وتعدت حدود الرسم أبعاد اللوحة إلى الأرض..
ما الذى سيحدث عندما يرفع الفنان لوحته عن الأرض لعرضها ؟!
طبيعى أن أجزاء الصورة الخارجة عن الإطار ستتلاشي من اللوحة وبذلك تفسد الصورة ..

نأخذ هذا المقياس إلى الفكر ونطبقه لنرى هل الإطار لازم لأى قضية ؟!
الجواب نعم قطعا..
ولله ولرسوله عليه الصلاة والسلام المثل الأعلى..
تأملوا معى صفحة السماء وخلق الكون ..
هذه اللوحة البديعة ستجدون أن كل جزء منها تم تحديده بإطار لا تخرج لوحته عنه مقدار خردلة وإلا اختل الكون وفسد
فكل كوكب وكل نجم وكل مجرة وكل مجموعة نجمية لها إطار محسوب وفلك محدد تجرى فيه لا تخرج عنه أبدا ..
وحدد الله لتلك الأجرام طرق جريانها قبل أن يخلقها وجعلها تلتزم به فلا تحيد
فماذا يحدث لو اختل مسار أى جرم منها ؟!
يجيب علماء الفلك أن النتيجة كارثية قطعا..
ومن الأمثلة البديعة في ذلك أن علماء الفلك حددوا درجة حرارة سطح الشمس بخمسة آلاف درجة لا تنقص ولا تزيد ولو أن الدرجة اختلت بمقدار درجتين فقط بالنقص لأحدثت عصرا جليديا على الأرض!
ومن حدود الخلق إلى قضاياهم..
أى قضية تثور أمام الإنسان لو لم يحدد مسبقا ما هو الإطار المحدد لها فلن يتمكن من حلها إلى أبد الآبدين
مثلا..
قضية الحياة نفسها .. إطارها المعروف هو السؤال المفصلي ..
لماذا نعيش ؟!
لو أننا لم نحدد هدف وجود الإنسان على الأرض وهدف الحياة ودخلنا مباشرة في الصورة نفسها وهى تفاصيل الحياة وزخمها المعتاد والبحث عن كيفية المعيشة دون النظر إلى هدفها..
ماذا ستكون النتيجة ؟!
ستكون النتيجة أن يفقد الإنسان أهم ما يميزه عن الأنعام .. حيث سيعيش لأجل المعيشة بلا هدف أو هوية ويظل مشغولا فقط بتجميع القوت وجعل حياته أكثر سهولة إلى أن يدركه الموت
فينقلب الإنسان من كائن يأكل ليعيش إلى دابة تعيش لتأكل
وكذلك سائر القضايا ..
يعتبر فيه السؤال بصيغة ( لماذا ) هو الإطار اللازم الذى لابد منه قبل الشروع في موضوع

القضية ( اللوحة ) وهو السؤال بصيغة ( كيف )
فلو أننى لم أعرف لماذا أكتب في هذا المنتدى ولما أنشغل به لكانت مشاركتى به عبثية ومضيعة للوقت والجهد مهما كنت بارعا في الكيفية وهى براعة الكتابة أو استخدام تقنيات الكمبيوتر.
ولا أبالغ إن قلت أن غياب أهمية تحديد الإطار قبل الصورة كانت ولا زالت هى الكارثة العظمى وراء تخلف أمتنا ..
لأن أمتنا توافر فيه عيب قاتل يندر أن تجد مثيله في أمة من الأمم ويعبر عن مدى الحماقة التي وصلنا إليها...
فنحن في تعرضنا لقضايانا ومشاكلنا نشرع مباشرة في رسم الصورة دون تحديد الإطار فتكون النتيجة الطبيعية أننا نستنزف مواردنا في سبيل حل قضية بسيطة .. ولا نحلها أصلا ..
فمثلا:
لو أنا منزلا يعانى من فساد الصنابير ومواسير المياه .. المفروض أن يكون الحل الطبيعى هو إصلاح العطب باستبدال الأعطال لكننا لا نشرع في ذلك بل نفضل أن نبذل عشرة أضعاف الجهد والمال في نزح المياه المتدفقة ولا نفكر في أن نصرف عشر تلك النفقات في إصلاح العطب الرئيسي الذى ينهى المشكلة جذريا ..
ولو تأملنا حياتنا الإجتماعية البسيطة وأحب كل منا أن يجد دليلا على ما قلناه ..
فما عليه إلا أن يختار أى شخص في مجتمعه ويسأله سؤالا بسيطا جدا في أى قضية .. لماذا تفعل كذا ؟!
وانظروا إلى إجابته ورد فعله ..
مثلا إذا سألنا شخصا ما هو هدفك في الحياة ؟!
سترى الأجوبة تتراوح ما بين الوظيفة المرموقة والحياة العائلية والمال الوفير والشهرة والنفوذ و .. و ,, فهل هذه الإجابات هى إجابات سليمة على السؤال ؟!
كلا بالطبع ..
لأننا سألناه عن الغاية فأجابنا عن الوسيلة ..
نحن نسأله عن الغاية من كل هذا وهو يجيبنا عن وسائل راحته التي يتمناها والتى لا تعتبر هدفا لأى مخلوق عاقل لأن الغاية كما يعرفها المفكرون ( هى النتيجة التي ليس بعدها .. بعد )
فإذا نظرنا للوظيفة المرموقة أو المال أو ما شاكلها فكلها تعتبر من الوسائل التي ما إن يصل المرء إليها حتى يفكر في استخدامها لينال غيرها ..
إذا ليست هى الهدف والغاية لأن هناك ما هو بعدها من التصرفات أو الأمنيات ..
والجواب الصحيح على السؤال تكون إجابته دائرة في مضمون مرضاة الله والجنة ورفعة الدين أو الوطن أو تحقيق نهضة أو إنشاء حضارة إلى غير ذلك من الغايات التي تعتبر آخر المطاف بالنسبة لأى شخص عاقل
ولا شك أن الإجابة النموذجية لسؤال لماذا تعيش ؟!
هو بذل الجهد لتحقيق الآية الكريمة

{وَمَا خَلَقْتُ الجِنَّ وَالإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ} [الذاريات:٥٦]
فيكون الهدف الرئيسي بلوغ الغاية العظمى عن طريق الوسيلة المتاحة وهى الحياة ..
والحياة خلقها الله للإنسان مليئة بالوسائل وجعلها مليئة بالطرق والفجاج التي تؤدى كلها إليه في النهاية ..
وما على الإنسان المؤمن الرشيد إلا أن يضع الإطار أولا فيحدد أن هدفه هو الجنة .. ثم يري في وسائل الحياة أنسبها إليه وأقربها إلى إمكانياته فيجندها للوصول إلى هذا الهدف
لهذا نقول لولا الإطار ما كانت الصورة

## السؤال السابع والثلاثين :عن حالة الطوارئ

*ما هي حالة الطوارئ التي تعيشها مصر مما يزيد على ثلاثين عاماً؟ وهل نتجت عن مقتل الرئيس السادات أم ماذا؟*

*الجواب :*

بخصوص سؤالك عن حالة الطوارئ التي تعيشها مصر منذ قرابة ثلاثين عاما وهل لها علاقة بمقتل الرئيس السادات رحمه الله ,
فهذه قضايا لا يمكن إجابتها تفصيلا من كافة جوانبها عبر صفحة أو صفحتين ,
لاتساع جوانبها وكونها تحتاج كتابا كاملا لمعالجتها ,
لكن سأحاول التلخيص وفق الطاقة لايصال الفكرة ,
في البداية نعرف ما حالة الطوارئ من الناحية القانونية ,
قانون الطوارئ أو حالة الطوارئ هى مادة قانونية شهيرة موجودة في سائر دساتير العالم ومتعارف عليها باعتبارها حالة نادرة أو مرهونة بالأزمات العاصفة الشديدة التأثير التي تقع على أى بلد مما يتسبب معه إنفلات تام وهائل في زمام الأمن العام وتتعرض فيه البلاد لحالة من الفوضي يمكن أن تفضي لنتائج كارثية
فظهرت هذه الحالة القانونية لتعالج تشريعيا هذا الباب ,
وبالمناسبة فتلك الحالة وتشريعها موجود في الشريعة الإسلامية بصور مختلفة ,
في تلك الحالة القانونية يمنح الدستور لرئيس الدولة بعض الحقوق والصلاحيات والسلطات التي تتعدى السلطات الأصلية الممنوحة له بحكم الدستور
فتتوسع تلك الإختصاصات لتشمل إصدار بعض القوانين دون الحاجة إلى العودة لمجلس الشعب فضلا على أنها تمنح الجهات الأمنية صلاحيات واسعة في انتهاك الحرية الفردية للمواطنين بالشكل الذى لا يبيحه الدستور في الأحوال العادية قطعا ..
ومن تلك الصلاحيات
حق القبض والتوقيف والتفتيش دون إذن مسبق من النيابة العامة
حق الإعتقال والحبس لمدد متفاوتة للمشتبه فيهم دون أحكام قضائية
منع التجمعات الجماهيرية وغيرها
المنع من السفر لمجرد الاشتباه
حق فرض حظر التجول لفترات تقدرها الجهات الأمنية
استخدام السلاح مباشرة في غير الحالات التي ينص عليها القانون
وهذه الصلاحيات بالطبع كما هو منصوص في سائر دساتير العالم لا يمكن استمرارها لفترة غير محدودة باعتبار أنها طوارئ شاذة ومن مسماها نستنتج طبيعتها حيث تلتزم السلطة برد الأمور إلى طبيعتها في فترة محددة وإلا اعتبرت تلك الإجراءات إساءة في استخدام السلطة

ومخالفة قانونية صارخة

وحتى في الدستور المصري لا يجوز فرض حالة الطوارئ إلى ما لا نهاية ,
لهذا فإن السلطة المصرية تلتف حول هذا النص عن طريق تجديد حالة الطوارئ كلما انقضت مدتها ، وفقهاء القانون والقضاء مجمعون على بطلان هذا الإجراء ولو أن أى فرد من الأمة أقام دعوى قضائية أمام المحكمة الدستورية العليا ( صاحبة الاختصاص ) ببطلان هذا الإجراء فالحكم الدستورى لا شك أنه الإلغاء,
وعودة إلى طبيعة حالة الطوارئ والشروط اللازمة لفرضها ,
فكما فهمنا من التعريف هى حالة استثنائية منح فيها المشرع صلاحيات هائلة للحكومات في انتهاك الحقوق المشروعة وحريات الأفراد في حالة معالجة الأزمات الكبري التي لا يمكن مواجهتها بالطرق التقليدية
ولا شك أن مصطلح الأزمات الكبري التي يخشي منها على استقرار الدولة ، هو أمر لا يصلح لوصف كل اضطراب فتتخذه السلطات ذريعة لتغويل سلطتها.,
ولهذا تعارف علماء القانون على أن الحالات المقصودة هى حالات الإنفلات الأمنى الشديد أو التمرد من الشرطة أو القوات المسلحة أو وجود خطر داهم يهدد البلاد كعملية إرهابية كبري أو ما شاكلها أو انفلات قدرة الحكومة على السيطرة
بمقاليد الأمور على نحو يخشي منه أن تتحول الإضطرابات إلى صراعات شعبية ,
وعلى سبيل المثال لتلك الحالات:
حالة تمرد الأمن المركزى المصري في الثمانينات والتى خرجت فيه بعض معسكرات الأمن المركزى متمردة على إشاعة بتمديد فترة الخدمة العسكرية للجنود سنة إضافية
فخرج الجنود وحطموا واجهات المحلات والسيارات وأحدثوا فوضي كبري تم على اثرها فرض حظر التجول ونزلت بعض وحدات الصاعقة للجيش المصري للسيطرة على المتمردين

ومن ذلك أيضا فترة اغتيال الرئيس الراحل السادات رحمه الله ,
وهى حالة لا شك أنها استحقت فرض حالة الطوارئ نظرا لأن مجريات الأحداث كان من الممكن أن تتسبب في حرب أهلية حيث تم اغتيال رئيس الدولة في حشد وحفل عسكري هائل على الهواء مباشرة , بالإضافة إلى أن الفوضي الأمنية كانت على أشدها والأجهزة الأمنية كبيرها وصغيرها كانت غائبة تماما عن الأحداث ولم تكن المعلومات متوافرة ـ ولو بالحد الأدنى ـ لمعرفة الجهة التي تقف وراء الاغتيال
نظرا لحقيقة أمنة بديهية وهى أن عملية اغتيال أى رئيس دولة لا تتم بهدف استهداف قتله فحسب بل يكون الهدف في الغالب أكبر من ذلك بكثير وعملية الاغتيال تكون جزء من مخطط شامل , وهو ما تم كشفه بالفعل بعد ذلك , حيث انطلقت كوادر جماعات الجهاد بعد الاغتيال بأيام في أسيوط واحتلت مقر مديرية الأمن نفسها بالمحافظة وقتلت عددا كبيرا من رجال أمن منها ومنهم ضابط عظيم المديرية ونائب مدير الأمن ,

فضلا على أنهم اخترقوا الشوارع أثناء صلاة عيد الأضحى وقتلوا الجنود المنتشرين بلا سلاح في ربوع المدينة وأصبخت أسيوط مدينة نارية حتى تمكنت القوات الخاصة من استعادة السيطرة على الأحداث
والكارثة الأكبر أن منفذى عملية الاغتيال نفسها وهم خالد الاسلامبولى وعبد الحميد عبد السلام وعطا طايل حميدة كادوا أن ينجحوا في الفرار من أرض العرض العكسري وهرب أحدهم بالفعل إلى منزله بميدان ألف مسكن وتم القاء القبض عليه بعد أيام

كل هذا استوجب فرض حالة الطوارئ لاستعادة السيطرة على البلاد وهو ما تم بالفعل فور وقوع الاغتيال وكان متوقعا انتهاء حالة الطوارئ بمجرد انتهاء التحقيقات وتقديم منفذى ومسئولى الحادث وعمليات الإرهاب إلى المحاكمة,
غير أن هذا لم يحدث واستمرت حالة الطوارئ بحجة بروز التنظيمات الإرهابية على الساحة وتنفيذها عددا كبيرا من العمليات
غير أن العذر لا يمثل عذرا قانونيا لأن عمليات الإرهاب المحدودة لا تعتبر بندا من بنود فرض حالة الطوارئ التي تتطلب حالة من حالات الفوضي الشاملة تشمل القطر كله أو معظمه ,
وفى الولايات المتحدة ورغم اغتيال جون كيندى أحب رئيس أمريكى إلى الشعب في حادث اغتيال مروع وغامض ووجود دلائل تشير إلى ضلوع منظمة المافيا في الاغتيال
إلا أن السلطات هناك لم تفرض حالة الطوارئ ولا حتى للحظة واحدة!
وما تفعله السلطات المصرية باستمرار حالة الطوارئ ـ لو تأملناه مليا ـ لكان شهادة رسمية من النظام القائم بفشله في حفظ الأمن والسلام الإجتماعى ,
وأى نظام وأى حكومة لا تتمكن من تحقيق الأمن والسلام الإجتماعى بغير انتهاك الحريات لا تستحق أن تبقي في الحكم لحظة واحدة لو أننا حقا بلد ديمقراطى,
بالإضافة إلى أن مبررات مد الطوارئ مبررات مضحكة حيث تتذرع السلطات أن القانون موجه لمكافحة المخدرات بينما مصر من حيث انتشار المخدرات بها لا يمكن مقارنتها مثلا بأى دولة من دول أمريكا الجنوبية مثل كولومبيا التي تعتبر المصدر الأول للكوكايين عبر العالم وبها مقر أكبر مافيا لتجارة المخدرات ومع ذلك لا يفرضون الطوارئ
ولا يمكن مقارنتها بالولايات المتحدة التي تبلغ ميزانية تجارة المخدرات بها حوالى مائة مليار دولار , ليس هذا فقط بل تعانى هناك من أكبر صورة من صور الجريمة المنظمة التي تشرف على تجارة السلاح ـ وهى أشد من المخدرات آلاف المرات ـ حيث أن تجارة السلاح في الولايات المتحدة تعدت الخطوط لحمراء بكثير لتصل إلى درجة بيع السلاح غير التقليدى والأسرار العسكرية العليا ، ومع ذلك لا يفرضون الطوارئ!
ومن المفارقات المضحكة أن تطبيق قانون الطوارئ في المخدرات لم يحقق أثرا إيجابيا ملحوظا في انهاء تجارة المخدرات في مصر ولا حتى في تخفيفها وبهذا انتفي السبب الوحيد لهذا المبرر هذه هى الإجابة باختصار

## السؤال الثامن والثلاثين : عن السامية واستغلال اليهود لها

*سؤالي حول السامية ، ونحن نعرف أن سبب تسميتها بهذا الإسم هو نسبة لسام ابن سيدنا نوح عليه السلام ، والسؤال : هل السامية هي صفة خاصة لليهود فقط ؟*

## الجواب

بالنسبة لما تعارف عليه علماء الأجناس ، فالسامية تنتمى إلى سام بن نوح عليه السلام ولا تضم اليهود بل تضم معهم العرب بكافة طوائفهم وذلك وفقا للتقسيم المشهور الذى رجحه بعض المؤرخين في تقسيم أنساب البشر

فذرية نوح عليه السلام هى التي تبقت وحدها بعد الطوفان حيث لم يعقب بقية الناجين من الطوفان خلفا إلا نوح نفسه عليه السلام وعن طريق بنيه الثلاث سام وحام ويافث

فسام ـ وفق هذا التقسيم ـ أبو العرب والجزيرة والشام ، وحام أبو السودان والأحباش ويافث أبو الروم

غير أنه جدير بالتنويه أن هذا التقسيم ـ رغم أنه الأشهر ـ إلا أنه ليس مجمعا عليه فهناك من العلماء من يعارضه بتقسيمات أخرى

إلا أن سائر التقسيمات متفقة على حقيقة أننا وبنى إسرائيل من أصل واحد

وعليه فالسامية ليست حكرا على اليهود كما يظن البعض بل هى مشتركة مع العرب وإنما جاء احتكار اليهود لها لأنهم يميزون أنفسهم على بقية شعوب الأرض كافة وليس العرب وحدهم فيرون ـ وفق عقيدتهم المحرفة ـ أنهم مخلوقون من طين وجنس خاص وفى هذا يقول الله عز وجل في القرآن الكريم مفندا هذه الدعوى الباطلة,

{وَقَالَتِ اليَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَللهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ المَصِيرُ }
[المائدة:١٨]

## السؤال التاسع والثلاثين : عن بعض مواقف العلمانية

*يقول أحد أساتذة العلوم السياسية في احدي الجامعات.. أن أحد مقومات الديمقراطية: العلمانية..ويقول: كيف أكون ديمقراطيا ولا أسمح للمسيحي أن يحكم كالمسلم ما دام مقيما ومواطنا يتمتع بالمواطنة في دولنا !..*
*ويحاول هذا الأستاذ نشر فكره بحجة محاربة التخلف!!..والمشكلة.. أنه مثقف وذكي ولماح جدا.. فإذا ما ناقشه أحد الطلاب أوقعه في شركه بذكاء ويقول عن تفكير الأحزاب الإسلامية أنه ثابت أبدا مهما تغيرت الظروف.. وانهم يقولون ما لا يفعلون ..*
*أتمنى أن تبين لنا عددا من النصائح والآليات والحجج للرد عليه*

## الجواب

ذكرتنى بحديث النبي عليه الصلاة والسلام
(أخوف ما أخاف على أمتى منافق عليم اللسان )
فهذا الإنسان الذى رزقه الله الثقافة والعلم والمجادلة ، بدلا من أن يشكر ربه سبحانه على عطائه عن طريق توظيف النعمة في محلها ، إذا به يستغلها للطعن والتشويه في المبادئ الإسلامية ,
أما قوله أنه ليس من الديمقراطية ألا أسمح للمسيحي بحكم بلاد ديانتها الإسلام ,
فهذا ما أبسط الرد عليه ومن وجهين ,
وجه من مفهوم الديمقراطية نفسه ووفق قانونها ,
ووجه من مفهوم الشريعة ,

أما الوجه الذى نلزمه به وهو وجه الديمقراطية ولن يستطيع الرد عليه مطلقا,
هو أن الديمقراطية ذاتها تؤيد ما ذهب إليه الشرع الإسلامى في تقرير ولاية الأمر للمسلمين في بلادهم ,
فالديمقراطبة معناها نزول الأقلية على حكم الأكثرية واتخاذ الأحكام بناء على الأغلبية أيضا ,
والديكتاتورية هى أى محاولة لفرض رأى لا تقره الأكثرية ,
تعالوا بنا ـ في ضوء هذا المفهوم ـ ننظر لأمر تمكين المسيحى من تسلم السلطة في بلاد أغلبيتها مسلمة ,
فهل هذا سيكون برغبة الجماهير ، ؟!
بالطبع لا ,
إذا الأغلبية هى التي ستختار وتشترط في حاكمها أن يكون مسلما ، فكيف يأتى العلمانيون

فيفرضون الوصاية على الشعوب التي لا تريد هذا الأمر
وفى بلد كمصر يبلغ عدد المسلمين فيها ثمانية وتسعين بالمائة وهى الأغلبية التي تدين بالإسلام

كيف يريدون أن يفرضوا مفاهيم العلمانية عليهم وهم لا يريدونها
فمن منطق الديمقراطية نفسه سنكتشف أن العلمانيين يضربون عرض الحائط بالمبادئ التي يزعمون الدفاع عنها
الأمر الآخر الهام ,
أن الغرب نفسه وهو مرجعية هؤلاء الأذناب يفعل نفس ما نفعله نحن ، فلا يمكن أن يصل مسلم واحد لمقعد الحكم في بريطانيا أو فرنسا أو أمريكا رغم أن عدد المسلمين في تلك البلاد عدد كبير وجالية لها وزنها
فلماذا يعيب العلمانيون علينا أن نختار حكمنا بالإسلام ولا يعيبون على الحضارات الغربية ذلك
الأمر الثالث الذى يدمر حجته:
أن البلاد الغربية تتناوب السلطة فيها غالبا حزبان كبيران والأحزاب الصغيرة رغم أن لها جماهير وأعضاء إلا أنها محكوم عليها دائما أن تكون خارج السلطة ,
فالحزب الديمقراطى والحزب الجمهورى يتناوبان السلطة في أمريكا منذ نشأة حياتها السياسية ومع ذلك لم يخرج أحد ليقول أنه من الديمقراطية الواجبة أن تحكم الأقليات أيضا وتشارك في ذلك بنصيب ,
نظرا لأن الأغلبية ليست معها
فبالمثل:
طالما أن النصاري أقلية فكيف يطلبون حقا هو للأغلبية وفقا للمفهوم الديمقراطى ,
والعلمانيون وقعوا في مأزق كبير عندما أفصحت الإنتخابات في تركيا ومصر والجزائر أن الجماهير تؤيد التيار الإسلامى بشكل ساحق وتنفر من العلمانية بكافة أشكالها ,
رغم أن التيار العلمانى له من وسائل الإعلام أضعاف ما للتيار الإسلامى
وما يثبر حقدهم أن الجماهير لم تستجب لهم وكان من المفروض لو أنهم حقا صادقين مع أنفسهم في دعوى الديمقراطية أن يستسلموا لرغبة الجماهير التي اختارت الخيار الإسلامى وتركتهم لكنهم لم يفعلوا ,
لأنهم ببساطة يحاربون الإسلام ذاته وهو هدفهم الرئيسي وليس تطبيق الديمقراطية ، ويتبعون أهوائهم في ذلك فهم يرون أن الديمقراطية هى أن نطبق وجهات نظرهم هم ، لا وجهات نظر الأغلبية ,

أما الرد من الوجه الإسلامى ,
فنقول لهذا العلمانى ,
أنت تدعى الإسلام وتتصرف كالملحدين ، وهذا جبن معنوى ، المفروض أن تعلن عقيدتك حتى يمكن لنا أن نعرف مع من نتحدث ,

فأنت تدعى الإسلام والإسلام يقول
{وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا} [الأحزاب:٣٦]
وهذا معناه أن مبادئ الشريعة وثوابتها لا تقبل أنصاف حلول
فإما أن تظل على إدعائك الإسلام ومن ثم تقبل حكم الإسلام الذى أنزله الله عز وجل وهو العالم بمراحل حياة البشر وأنزل شريعته لتناسب كل العصور
وإما أن تنزع رداء الجبن وتعلن أنك لا تعتقد بالدين وترفض أوامره ونواهيه ,
وثقوا أنه لن يجيب على هذا السؤال أبدا

## تعقيب

*إذا السامية ليست صفة خاصة لليهود فقط .. فإذن كيف استطاعوا أن يقصروها عليهم ، أو أن يقنعوا العالم بأنها لهم ؟..*

## الجواب :

أما السؤال عن كيفية استطاعة اليهود المتاجرة بالسامية وقصرها عليهم ، فهذا تفسيره بسيط , بالإعلام والضغط السياسي الإقتصادى .
واذا كان اليهود قد استطاعوا أن يمرروا خرافة حقهم في أرض المعاد بفلسطين رغم انعدام الأدلة التاريخية والمنطقية على ذلك فكيف سيقف أمامهم أمر بسيط مثل موضوع السامية ,
وهنا يجدر بنا التنبيه على ملحوظة هامة ,
مسألة اقناع اليهود للعالم بتلك الأمور ليست مسألة واقعية قائمة ,
بل هى مجرد زوبعة إعلام تسانده القوى السياسية ، ولهذا فإن أوربا والولايات المتحدة يعتبران مسألة معاداة السامية تهمة ويقررون في قوانينهم أنها كذلك ويسمحون لجمعيات الضغط اليهودى أن تستخدمها كحربة هجوم
وفى نفس الوقت تعمل آلة الإعلام على مناصرة هذا الإتجاه ,
بغض النظر عن قناعات الجماهير أو الرأى العام في العالم
ولتقريب الصورة فإن الإعلام والسلطة اليهودية في العالم أشبه بالسلطة المستبدة التي تتغنى بالديمقراطية في آلات إعلامها ليل نهار بينما الواقع يكذب ذلك كله وهم يتجاهلون ذلك ويكتفون بأن يكون الإعلام في صالحهم وضد خصومهم
ولهذا فليست هناك قناعة حقيقية أبدا في العالم الآن بدعاوى اليهود لا سيما بعد ظهور الحركات المناهضة للصهيونية من بين اليهود الغربيين أنفسهم وظهور علماء التاريخ الذين كذبوا كل تلك الأساطير لكن كتاباتهم لم تلق الرواج الإعلامى الذى تلقاه الدعاوى اليهودية لا سيما في العالم العربي

## السؤال الأربعون : نشأة الآداب والفنون

*ما رؤيتك للأدب عامة ؟! هل يمر بنفس مراحل النشأة والتكوين مثل أي نوع آخر من أنواع التعبير عن الثقافات والترويج لها*
*واختصاصها بشعب معين من الشعوب فيمكننا ان نحدد تطوره في فترات معينة ؟!*

الجواب :
بالنسبة لسؤالك عن الأدب بصفة عامة ومدى تحديد مراحل تطوره إلى غير ذلك ,
فهناك مفهوم عام للأدب باعتباره الحضارة الثقافية ، وهناك مفهوم خاص له
أما المفهوم العام فهو يعنى الثقافة العامة التي ينبنى عليها فكر شعب من الشعوب وتعالج العادات والتقاليد والمعتقدات ,
وهذه تتحقق في أى شعب أو جماعة أو قبيلة ,
لهذا عندما يعبر المؤرخون عن عادات وتقاليد شعب أو طائفة معينة يعبرون عنها بقولهم (أدبيات الشعب الفلانى)
وتعنى معتقداتهم ورؤاهم وقناعاتهم الشخصية المأخوذة عن البيئة
كأن نقول مثلا أن الفخر والاعتزاز من أدبيات القبائل العربية ، والتوحد والتكاتف من أدبيات المجتمع الصينى .. وهكذا

أما المفهوم الخاص فمعناه ميراث شعب معين في مجال الأدب من شعر ونثر
وهذا لا يتحقق بالضرورة في كل شعب من الشعوب وإن كان في الغالبية يتحقق بغض النظر عن مستواه ,
وتطور الأدب في الشعر والنثر رهين أساسا بثراء لغة الشعب نفسه ولهذا يقف الأدب العربي كأعلى وأقوى وأكبر أنواع الأدب العالمى على الإطلاق
وكمية الثراء فيه تاريخيا وحاضرا لا توجد وسيلة لحصرها ، وهو الأدب أو الحضارة الوحيدة التي تعرضت لضربات قاصمة مثل حادثة غرق مكتبة بغداد أيام المغول وحوادث التغريب في الاستعمار
ورغم هذه الحوادث فلم تنقص من قوته شيئ ,
كما أنه الحضارة الوحيدة التي عجز المصنفون والعلماء على احتواء كل ما كتب فيها ، فلا يوجد أديب أو حتى جامعة كاملة من الممكن أن تدعى أنها ألمت بالتراث العربي كله حتى لو في مجال واحد مثل الشعر مثلا ,
وذلك يرجع إلى أن الأدباء في الحضارة العربية والإسلامية يمثل عددهم الملايين ولا توجد حضارة من الحضارات حظيت بمثل هذا العدد الكبير من المواهب الأدبية عبر العصور

أما بالنسبة لمراحل التطور فهذا يعود لخصوصية وظروف كل شعب ,
ولو أخذنا الأدب العربي مثالا ، فقد أثرت فيه ظروف كثيرة وجهته إلى أعلى عليين ثم واجه ظروفا أخرى هبطت بمستواه ,
ففي البداية تأسس الأدب العربي مع لغة العرب التي فتق بها إسماعيل عليه السلام
وتتابع الشعر العربي في التطور والخطب معه جنبا إلى جنب ,
ولم يعرف الأدب العربي غير هذين النوعين حتى ظهور الإسلام ,
بعد ذلك ومع نشوء الحضارة الإسلامية التي تعتبر أكبر مؤثر استراتيجى في الأدب العربي تنوعت وتطورت آدابه وتأثيراته لا سيما مع عصر التدوين وظهور عصر المصنفات فكانت الحضارة على موعد مع حضارة أدبية من نوع خاص استغرقت الزمن الأموى والعباسي وحفلت بملايين المخطوطات والمصنفات التي تحتوى الأشعار والمقامات والرسائل والتواقيع وغيرها
ثم هبط هذا كله مع فترات المماليك والاحتلال الغربي ثم عاد للنهوض في أوائل القرن العشرين في مصر ولبنان واستمر حتى وقت قريب في شذى تلك المرحلة
وهذه المرحلة التي قادها البارودى وشوقي وحافظ وخليل مطران ومحمد حسين هيكل والعقاد وغيرهم لولاها لنجح الاستعمار الغربي في قتل الأدب العربي كله بعد أن نجح في تغريب الشمال الإفريقي والشام بلغات أجنبية ما عدا مصر التي وقف فيها الأزهر موقفا رائعا حفظ اللغة العربية وعاون الأدباء على بقاء الجمهور متأثرا بها
هذا باختصار طبعا,

*تعقيب :*
*أضيف سؤالا آخرا إلى جانب ما يتعلق بالأديب .. هل لمعتقد الأديب الديني وتوجهه وانتمائه لتيار معين شأن في التأثر بأدبه عامة بخلاف لو كان داعيا لمعتقده*
*مثلا مولانا جلال الدين الرومي فهو صوفي التوجه ولكنه ترك للادب نثرا وشعرا قيّمه بعض النقاد والقراء بقيمة عالية .. هل ننظر لمادة أدبه بمعزل عن ناحيته الدينية ??*
*وفي علم الحديث أيضا ما يخص هذا الأمر فقد يتم الأخذ عن المبتدعين مرويات الحديث بشروط معينة ودقيقة كأن لا يكون داع إلى بدعته ولا يعرف فسقه وكذبه إلى جانب شروط أخرى هذه جزئية تقودنا إلى ناحية أوسع ، حبذا لو تعالجها لنا بصيغة عامة إذا أردنا أن نتأثر بفكر شخص في إحدى المسائل العلمية نغض الطرف عن أي رأي له في قضايا أخرى لا يكون علمه بها كعلمه بتخصصه الذي له باع فيه ؟!*

الجواب :
هنا خلط بين أمرين ما كان يجب أن يتم الخلط بينهما , وهو الخلط أولا بين الأخذ في العلم وبين الأخذ في الأدب,
وأيضا هناك خلط بين الأخذ في الفكر والأخذ في العلم
ففي البداية تقولين أنه إذا أردنا أن نتأثر بفكر شخص في إحدى المسائل العلمية التي يكون خبيرا محايدا بها وله آراء فكرية ليس علمه فيها متكامل فهذا جائز ومطلوب,
مثلما نأخذ من فكر هيكل مثلا رغم أن توجهه يخالف ما نتوجهه نحن أصحاب الميل إلى الأصل الإسلامى ,
أما الفارق الذى طرحته أو القياس الذى أردت تطبيقه في مسألة الأخذ عن الأديب المنحرف فكريا كما نأخذ مثلا رواية المبتدع في علم الحديث فهذا خطأ كبير جدا ولا يمكن الأخذ بهذا القياس لسببين ,
الأول : أننا لسنا بصدد علم بل بصدد أدب والأدب يخاطب العاطفة مباشرة بينما العلم يخاطب العقل ، فالمقارنة بينهما ليست في مكانها ومن غير الممكن الأخذ فيهما بقاعدة واحدة
الثانى : أن الذى يتعاطي مع الأدب هم الجمهور بينما العلم فهؤلاء أهل التخصص وهم الذين بامكانهم التمييز والتفرقة والأخذ الحريص عن المبتدع مع الحرص منه ,
إلا أن الأدب ليس كذلك قطعا حيث يأخذه الجمهور وهؤلاء لا يمكنهم التعامل مع الأديب منحرف الفكر كمعاملة العلماء معه ، والأمر الآخر أنهم يتلقون منه عاطفة تولد تعاطفا وإعجابا به والإعجاب ينعكس على شخصيته فإذا كانت شخصيته منحرفة فسيجد الجمهور نفسه مندفعا للتعاطف معه حتى فى انحرافه الفكرى

والانحراف الفكرى أشد خطورة من الإنحراف الأخلاقي لأن هذا الأخير أمر شخصي بالأديب يمكن تفاديه كما أنه يؤثر في مجال واحد من شعره أو أدبه
مثل نزار قبانى منه من الممكن أن نرفض قصائده العاطفية ونتقبل قصائده السياسية التي لا يؤذينا فيها شعره الصريح ، أو المخالف للأخلاق ,

بينما الإنحراف الفكرى لا يمكن أن ينفصل عن الشاعر أو الأديب في أى قصيدة وحتما ستجدين الشاعر إن كان علمانيا أو شيعيا مثلا يعبر ويدافع عن مذهبه وتوجهه بشعره
مثال ذلك العديد من الشعراء العلمانيين الذين اكتسبوا تعاطف الناس لشعرهم القوى في قضايا الوطن وهم منحرفون عقديا بشكل واضح في اعتدائهم على الثوابت الدينية وأشهرهم محمود درويش
ونظرا لأن الناس لم تعبأ بانحرافه العلمانى تلقفت شعره بالقبول رغم قصائده التي تمثل اعتداء صارخا على الثوابت الدينية
وشعراء الشيعة تجديهم حتى وإن تكلموا في قضايا الوطن مثل قضية فلسطين يحتوى شعرهم على طوام بتأثير عقيدتهم وتمتلئ قصائدهم بسب الصحابة والاعتداء الجارف عليهم

لهذا نقول إن الأدب يختلف عن العلم في كونه يخاطب الشريحة الأعظم من الناس ويدخل القلوب بلا استئذان ومن هنا جاءت خطورته ولهذا فإن الأديب المنحرف عقديا يجب تفاديه مهما كانت موهبته
وللتدليل على خطورة الأدب والشعر وتأثيرهما في الشعوب انظرى إلى فعل النبي عليه الصلاة والسلام مع الشعراء الذين كانوا يؤذونه بشعرهم حيث أباح دمهم ، ولم يفعل ذلك مع المنافقين ، وبعض المعتدين
لأن تأثير الشعر كان جارفا في تأليب الشرك على الدعوة وفى إيذاء المسلمين
كذلك الشعر اليوم ,
وانظرى إلى ما تفعله اللطميات الشيعية من تأثير جارف في المستمعين وتزيد من ارتباطهم بمذهبهم المنحرف تحت تأثير تأليب العاطفة التي لا تعترف بالعقل ويستحيل تقريبا مواجهتها إلا بالسلاح نفسه
لهذا قلنا ونكرر أن واجب أدباء الأمة قائم اليوم كواجب ضروري في معالجة القضايا الدينية شعرا عن طريق الكتابة عن التوحيد ومدح النبي عليه الصلاة والسلام وصحابته وبيان فضل أمهات المؤمنين لكى تقف تلك القصائد سدا أمام شعر اللطميات التي تسب وتلعن!
والله المستعان

## السؤال الحادى والأربعين : موقف الدكتور العوا من رواية أولاد حارتنا

*خبر سمعته أمس أن الدكتور سليم العوا يشيد برواية أولاد حارتنا لأديبهم الفذ الحاصل على جائزة نوبل لذات الرواية ، هل كانت الجائزة على هذه الرواية خاصة يتضمنه نفس حوادث التغريب للاستعمار الفكرى الذى نعيش به الان ومنذ بدأ الاستعمار يدب بأقدامه على أراضينا ، وعلى أى أساس يمكننا تحديد هوية الدكتور سليم العوا المفكر الإسلامي المصري، الأمين العام للإتحاد العالمى لعلماء المسلمين ورئيس جمعية مصر للثقافة والحوار*

## الجواب :

هذه مصيبة جديدة نضيفها إلى مصائب سليم العوا ، والله المستعان
وقد استقال منذ أيام من الاتحاد العالمى الذى أسسه القرضاوى ,
وتم انتخاب أحد روافض إيران نائبا للاتحاد مكانا للرافضي التسخيري الذى كان يشغل هذا المنصب
ومن التناقضات الغريبة أن الشيخ القرضاوى رغم كشفه العلنى لنيته في الشيعة وتصريحاته إلا أنه لم يغير في سياسة الاتحاد تحت ذريعة لم شمل جميع المسلمين من كل الفرق!
وهذه لعمرى مصيبة يقف الناس أمامها بالحيرة ,
فلم نسمع بتاريخ الأئمة والصحابة من قبلهم عن عالم واحد أباح الإجتماع ـ حتى لعامة الناس ـ مع المبتدع ، لا سيما الدعى لبدعته وإن تكن بدعته غير مكفرة ,
فما بالنا بمن بدعته كهؤلاء أهل البغي والعدوان ؟!

وعودة لموضوع التغريب فنقول نعم هذه الرواية وأشباهها والتى كتبها أصحابها انتصارا لمذهب التغريب والقائم على اعتبار الأدب والمواهب الأدبية كالثور الأهوج ليس له رابط وهى عادة الغريب في سائر طباعهم ، حيث يطلقون العنان لأى رغبة وأى شهوة تحت زعم محاربة الكبت فتكون النتيجة أن ينتشر الإختلال الأخلاقي والمتع المادية والزندقة إلى غير ذلك ويتناقض الغرب نفسه مع نفسه عندما يقف فيحرم حرية الآخرين في احترام أديانهم ومبادئهم فيجبرونهم على أن يكونوا مثلهم وإلا فلا!
وهذا تناقض رهيب لأنهم يعتدون على حرية الملتزم في رغبة الإلتزام ويحاربونه بما يضاد نداء حرية المرء في الإعتقاد
فضلا على أنهم يكبتون أى محاولة لبيان الباطل كما هو الحال مع مصادرة الكتب التي تتعرض للحقائق بل ومصادرة الأفلام والمقالات التي تتحدث مثلا عن قضايا الكنيسة أو السامية وتاريخ اليهود ,

فلا شك أن الجوائز الغربية محاطة بعدد كبير من الشبهات ,
فالغرب لا يمكن أن ينسي تاريخه أبدا ولا عداوته للإسلام ، ولغتهم لم تختلف منذ الحملات الصليبية والتى خرج في عصرنا الحالى من بوش الإبن تصريح بأنه يقود حربا صليبية جديدة بما يكشف النية تماما ,
فهؤلاء من المستحيل أن يعطوا جائزة أدبية أو فكرية بالذات لمن هو مفكر حقيقي أظهر جانبا من جوانب الأصالة في التراث العربي ، بل يعطونها لمن يساهم في إحياء البدع وإحياء التراث الكفري الممتلئة به كتب الفلسفة الوجودية وأشباهها
ومثال ذلك اعتناء المطابع الغربية أشد الاعتناء بمؤلفات بن سينا ورسائل إخوان الصفا وكتب الصوفية المنحرفة التي تتحدث عن عقيدة وحدة الوجود وغير ذلك من كتب الفلسفة ,
ففي الجانب الفكري أو السياسي تعتبر جوائز الغرب وصمة عار لا مبعث فخر ,
أما الجانب العلمى فالجوائز فيه تخضع للحيادية العلمية المبنية على الاستفادة من العالم الممنوحة له الجائزة والاستيلاء عليه لصالحهم ولهذا فكل عالم أخذها من الشرق الأوسط أو الأقصي لابد أن يكون تابعا لهم

## السؤال الثانى والأربعين : الهجمات على اللغة العربية

*السؤال .. يتعلق بخصوص الهجمة على اللغة العربية .. ومحاولة إبدالها بالعامية ,, وما وصل إليه المسلمون اليوم من عدم القدرة على معرفة لغتهم ،، وعلومها الدقيقة الجمة الغنية ،، متى بدأت هذه الهجمة ؟،، هل نظام دانلوب الذي طبق في مصر والذي كان أمرا من المندوب السامي آنذاك هو أول المحاولات ؟ وهل نجح فعلا .. ! ،، وكيف يعمل من يعلم بهذه المشكلة ونتائجها .. ؟؟*

## الجواب :

نعم .. بدأت الهجمة بالاستعمار الغربي الذى تم في أواخر القرن الثامن عشر واستمر إلى نهاية القرن العشرين قائما على محاولة هدم اللغة العربية والتراث الوطنى والإسلامى ، بطريقين

الأول : محاولة تغليب اللغات الغربية على اللغة العربية في سائر التعاملات الرسمية ، ومنح الفرص المغرية بأجر عال لمن يجيد هذه اللغات وفتح الباب على أشده للهجرة إلى الغرب بنية التعليم وجلب الحضارة الغربية إلى الأوطان العربية

ونجحت تلك الخطوة نجاحا مبهرا حتى أن رجال السياسة في مصر في القرن العشرين وأواخر التاسع عشر كانوا جميعا من خريجى جامعات الغرب وقاموا بواجبهم في محو التراث العربي تماما ونقل مبادئ الغرب إلينا ,

وقامت شعوب كاملة لا سيما في الشمال الإفريقي بتغيير لغتها اليومية إلى الإنجليزية والفرنسية وعجزت السلطات الغربية في مصر أن تفعل ذلك بالنسبة للجماهير وإن كانت فعلت ذلك بنجاح مع الزمرة والطبقة العليا التي تقود المجتمع

أما الشعب المصري فقد ظل في يد الأزهر يقاوم التغريب ونجح في ذلك تماما حتى قيام الثورة قبل أن يتقلص دوره بعد قانون تطوير الأزهر

الثانى : سياسة التعليم التي وضع أسسها دانلوب الوزير البريطانى الشهير والتى تقتضي بقتل اللغة العربية في أعماق التلاميذ وتهميشها ومنح اللغات الغربية حظا أوفر وقد نجح أيضا في ذلك إلى حد بعيد حتى جاءت فترة لم يكن باستطاعة الطالب أن يلتحق بالجامعات الحكومية بغير إجادته للغات الأجنبية ، وكانت المناهج تحتوى من التغريب ما الله به عليم

وقد خلفت الولايات المتحدة بريطانيا في هدم اللغة بأوطاننا ولا زال هناك ألف دانلوب يخلفون دانلوب الإنجليزى حتى يوم الناس هذا ,

فالتعليم ليس مستقلا بل هو تعليم موجه وتشرف عليه السلطات الأمريكية بمعاونة منعدمى الضمائر المتولين للسلطة في مصر ولعلكم سمعتم مؤخرا عما قام به وزير التعليم عندما طلب من المفتى أن يخفف من المناهج الدينية ويحذف منها أكثر ليحل ثقافة التسامح مكان الإرهاب!

وكانت النتيجة أن المدارس الآن صارت تركز في الجانب الدينى على أنه لا فارق بين مسلم وغير مسلم!
بالإضافة إلى ما قام به الغرب في أثناء الإحتلال في القرن الماضي من تمجيد الشخصيات المنحرفة سواء في التاريخ أو العصر الحديث وإلقاء ألقاب التفخيم عليهم واعتبارهم عباقرة التاريخ فمجدوا بن سينا وبن رشد وإخوان الصفا وطاهر القرمطى وغيرهم ,
ومجدوا من المعاصرين لطفي السيد الذى أطلقوا عليه أستاذ الجيل وطه حسين الذى سموه عميد الأدب العربي والأفغانى الذى أطلقوا عليه لقب باعث الشرق بينما هو رافضي قح
وغيرهم ممن هم في الواقع قادة حركة التغريب وإفساد المجتمع وبث ثقافة العلمانية والإلحاد في المثقفين
في نفس الوقت الذى أهملوا فيه التراث الحقيقي وقتلوا الشخصيات الداعية له , ولإدراك خطورة ذلك يكفي أن تسألى أى مثقف عن طه حسين أو لطفي السيد أو سلامة موسي ليشهد لهم بالعبقرية ، بينما لو سألته عن أحمد شاكر أو محمود شاكر أو محمد أمين الشنقيطى فربما قال لك أنهم رءوس الحربة في منتخب مصر الوطنى!

ومن قال لك إن الفن مهمش في الإسلام ؟!
لقد ذكرت بنفسك ألوان الفن الأدبي وكيف أن الشعر الإسلامى أصل من أصول الحضارة الإسلامية في شتى الفنون ,
كذلك فنون العمارة والنحت والتصوير ,
فهناك قسم كامل اسمه الفن الإسلامى في هذا المضمار
وتمتلئ أركان المساجد والمآذن الشهيرة والمبانى الحضارية القديمة أيام الخلافة بل وحتى عهد قريب بالفنون التشكيلية على الصخر وعلى الخشب والحوائط ,
بالذات فنون الأرابيسك التي تعتبر من أشهر أنواع الفنون في مصر الإسلامية ,
بالإضافة لباب متفرد ...
تفردت فيه الحضارة العربية الإسلامية وحدها وهو فن الخط العربي والذي يعتبر هو الفن الوحيد تقريبا الذى تفوق فيه المحدثون عن القدماء حيث أن هذا الفن تطور عبر الزمان واكتمل نضجه في القرن الماضي ,
وأمامك فنون تشكيل المصاحف وإخراجها , فما الفن إذا لم تكن هذه كلها من الفنون ,
أما سؤالك هل هناك فن حرام أو حلال ، فهذا سؤال خاطئ ,
لأن الفن كمفهوم لا يطلق على حرام أبدا ، فاللوحات العارية مثلا أو التماثيل المجسمة مهما بلغت براعتها لا نطلق عليها ـ كمسلمين ـ أنها من الفن لأنها فعل محرم منهى عنه في الشرع , والشريعة حصرت أنواعا محددة من الممارسات على سبيل الحصر وسكتت عن الباقي فهو مباح كله , وفق مقتضي النصوص الخاصة كما هو الحال في التجسيم الخلقي أو التصوير الخلقي ,

أو وفق مقتضي النصوص العامة وهى التي تحرم أى تجاوز في أى مجال ,
فالشعر لا يعتبر مباحا فحسب بل هو من أعظم وأجل الفنون العربية لكن هذا لا ينطبق على شعر الزندقة أو العلمانية أو الإلحادية ، والتى شغف بها الشعراء المتأخرون وكان منهم للأسف أسماء كبري كمحمود درويش
والرسم والنحت والتصوير كله مباح إلا فيما حرمته الشريعة من تجسيم المخلوقات ,
وفنون المسرح والتليفزيون لو جاءت بغير تجاوز لأخلاقيات العامة التي يقتضيها الإسلام فلا شيئ فيها
ولكن أين هو العمل الذى يخلو من ذلك في مجال المسرح والسينما!
فمع الأسف الشديد حتى في الأعمال الإسلامية يصر المخرجون على إدخال مشاهد الرقص واللهو والطرب المبتذلة في سياق الدراما برغم التزام العمل فيما بعد هذا ,
فلماذا نفسد الأعمال الجيدة بتلك الممارسات ؟!
أما بالنسبة للموسيقا فالمحرم فيها المعازف وأباحها بعض الفقهاء كابن حزم والغزالى ,
ولكن الفقهاء مجتمعين اتفقوا على حقيقة هامة يغفل عنها الكثيرون ممن يحتجون بأن بعض الفقهاء أباحوا الغناء وأدوات العزف
هذه الحقيقة هى أن إباحة الفقهاء كانت مشروطة بعدم إثارة الغرائز وبعدم الإسفاف في التعبير والكلمات وبعدم مصاحبة ذلك لظواهر المجون ,
ونستطيع أن نقول باطمئنان أن كل الأغانى على الساحة الآن لا تحتاج تعليقا على حرمتها ولا على اعتبارها من الفساد والإفساد لا سيما في عصر الفيديو كليب والذي أصبحت فيه الأغنية مرئية لا مسموعة ,
وفتح أمثال هذه الموضوعات لا تحتاج سؤالا ولا حتى جدلا ,
فالحلال بين والحرام بين وبينهما أمور متشابهات ,
وينبغي لنا أن نحذر من دعوات من يطلقون على أنفسهم الدعاة الجدد وهم بعض مروجى الإعلانات لا أكثر ولا أقل وترينهم يدخلون في سجالات فقهية بعيدة عن الواقع ,
كما بينا في استعراض أحوال الغناء اليوم في عالمنا
ولو كان الغناء مباحا بالإجماع ، فلن تجدى فقيها واحدا يجرؤ أن يبيح أمثال ما نشاهده اليوم من ممارسات تحت ذريعة إباحة الأغانى والموسيقا والفن!
لكنهم كما قلت هم مرجو إعلانات لا دعاة ولهذا تعرفيهم من أقرانهم حيث تجدين معظمهم إلى جوار الشخصيات المسماة بالفنية ويجدون منهم الدعم والتشجيع بدلا من النصح والإرشاد

والإبتعاد عن عالم الرذيلة التي عرفنا من أصحابه أنفسهم أنه مجال لا يمكن لشخص أن يحتفظ فيه باحترامه أو بأخلاقه ,
وهذا سمعته من أحد مخرجى الإذاعة والتليفزيون قبل سنوات ، وسمعته من غيره من الصحفيين أصحاب هذا المجال ، فهو عالم قائم على خيمة أبي نواس,

## السؤال الثالث والأربعين :دور الأتراك في السياسة العالمية الحديثة

*أردت السؤال عن دور الأتراك الآن في استلام القضية الفلسطينية إلى أي مدى تطابق الصورة الواقع ؟ ! وتحمس الناس بعودة العثمانيين - كما يرون ونسمع - وهتافهم لهم وتفاؤلهم .. ومن أي منطلق يكون تصعدهم وحزب العدالة للساحة*

الجواب :

المنطقة العربية والإسلامية منذ عقود تذكرنى بالفتاة التي فاتها قطار الزواج , كلما لمحت في الطريق شابا أو سمعت عن شاب أخذتها الآمال في أن يتقدم لخطبتها!
وهذا هو حالنا اليوم بالضبط,
فشعوبنا تتوق للبطولة وتريد أن تراها متمثلة في أى شخصية أو أى نظام أو أى دولة أيا كانت في الشرق والغرب لكى تتخذ من صفات البطولة التي تراها في تلك الدولة أو هذا النظام طريقا نحو أمل يحدوها في حل معضلة فلسطين ,
ولا شك أن الإشتياق لهذا مشروع لكن ما يثير الأسي أن تنحصر وظيفتنا في البحث عن بطل دون أن نبادر بصنعه من أنفسنا
فمثلا ,
هوجو شافيز رئيس فنزويلا المتمرد على السياسة الأمريكية قام بانتقاد إسرائيل وسحب سفيره منها بعد حرب غزة وصفق له العالم العربي المشتاق لأى مقياس بطولة والرجل يستحق الإشادة

لكن الكارثة أن يكون دورنا منحصرا فقط في الإشادة بمن يتخذ موقفا والإكتفاء بذلك
والكارثة الأكبر أن يزيد رد فعلنا عن المطلوب فيتطور من مجرد تقدير الفعل الحسن إلى محاولة إضفاء صفات البطولة على من تظهر له أفعال موالية لقضايانا والطموح في آمال هى في حكم المحال ,
كأن ننظر إلى شافيز أو تركيا باعتبارهم من الممكن أن يحاربوا لنا في معاركنا!

ويخطئ كثيرا من ينظر إلى تركيا اليوم ويصل تلك النظرة بعاصمة الخلافة العثمانية , نظرا للفارق الشاسع بين تركيا العلمانية وتركيا الخلافة ,
فتركيا الخلافة كانت لها ولاية الأمر على المسلمين وكانت حروبها تقوم على نصرة الإسلام في المطلق ، بلا أى هدف آخر حتى أن دخلت في حروب ضد الدولة الصفوية الشيعية لأجل منع سب الصحابة بالقوة المسلحة بعد أن فشلت الأساليب الديبلوماسية ,
أما تركيا اليوم فهى دولة علمانية معاصرة تتعامل وفق أجندة المصالح التي تتعامل بها أى دولة في العالم فلا تتحرك بناء على المعتقدات الأيديولوجية بل تتحرك وفقا لما يخدم مصالحها وفق

السياسة المشروعة لدول اليوم ,
ومن السذاجة أن نتوقع من تركيا أن تكون ردود أفعالها ضد إسرائيل قائمة فقط لأجل نصرة الإسلام والمسلمين أو تعاطفا مع الشعب المستضعف ، فهذه نظرة تصلح لأفلام الكارتون!
ولو لم تكن تلك المواقف تفيد مجمل السياسة التركية أو على الأقل لا تتضارب مع مصالحها لما أقدمت تركيا عليها أبدا ,
ونحن نحمل حكومة الحزب الإسلامى بقيادة أردوغان فوق طاقته عندما نتصور منه قائدا بديلا عن القيادات العربية الفاشلة لأن الرجل وإن كان قائدا يستحق التشجيع إلا أن وضعه في غير موضعه أو تحميله أكثر مما يحتمل هو من الحماقة بمكان ,
لأن الحزب الإسلامى وحكومته لا يملك أن يغير في السياسة التركية وثوابتها ، بل مسموح له فقط أن يلعب في المتغيرات السياسية ,
والفارق بين الثوابت والمتغيرات ,
أن الثوابت لا يمكن أن يغيرها رئيس حكومة أو رئيس دولة مهما بلغت قوته طالما كان بلده دستوريا ديمقراطيا ,
بينما المتغيرات هى التي تسمح بها البلاد لرئيسها أن يلعب في حدودها
مثال ذلك الثوابت الأمريكية القائمة على اعتبار إسرائيل الولاية الحادية والخمسين للولايات المتحدة ، فهذه من الثوابت الغير قابلة للتغيير ولو أراد أى رئيس أمريكى أن يغيرها لما استطاع ولوقفت المؤسسة التشريعية والعسكرية منه موقفا حازما ,
كذلك في السياسة التركية فدستورها قائم في أول مادة من مواده على أن نظام الدولة علمانى وأن الذى يحمى علمانية النظام هى القوات المسلحة ,
أى أن الدولة الرسمية في تركيا أعطت لقائد الجيش حق الإنقلاب العسكري في حالة إذا ما قام أى حكومة من الحكومات بمحاولة إعادة تركيا كبلد إسلامى صرف أو محاولة تغيير توجهات الدولة تجاه نصرة الإسلام بغض النظر عن المصالح التركية
ولهذا فإن رجب طيب أردوغان والذي دافع عن مستضعفي غزة هو نفسه رجب أردوغان الذى استمر بنفس السياسة التركية القائمة منذ عقود على اضطهاد الأقليات الكردية واعتبار حزب العمال الكردستانى الإسلامى حزبا مارقا!
كذلك العلاقات والمصالح السياسية العسكرية والإقتصادية القائمة بين تركيا وإيران منذ نشأة دولة أتاتورك رغم أن العلاقة مع إيران أيام الخلافة كانت علاقة عداء مستفحل انقلب إلى تبادل منافع وصداقة عميقة بين الجانبين بعد سقوط الخلافة على يد أتاتورك ,

أما تفسير الحالة التركية الإسرائيلية ,
فمع احترامنا لمواقف أردوغان المشرفة إلا أنها كانت ولا زالت تحركات سياسية تخدم مصلحة تركيا في المقام الأول وذلك ما فسره محمد حسنين هيكل عندما تعرض للعلاقات بين إسرائيل وتركيا على أنها علاقة تنافسية حميمة على زعامة دول المنطقة بعد انسحاب دور مصر التي

كانت في الخمسينات والستينات والسبعينات هى قائدة المنطقة ,
فلما خلت الساحة دخلت إسرائيل وتركيا حلبة المنافسة ، وهى منافسة أقرب إلى منافسة الأصدقاء منها إلى منافسة الأعداء لأن التعاون الإسرائيلي التركى بلغ حدا بعيدا جدا في النواحى العسكرية والإقتصادية والتطبيع بينهما شبه كامل ,
ولهذا فإن رد فعل تركيا على الحادثة الأخيرة لقافلة الإغاثة كان متمثلا في إلغاء بعض العقود التجارية الموقعة بين البلدين واعتبرت تركيا أن هذا الإجراء رد فعل مناسب على تعدى إسرائيل على سياستها وعدم احترامها للعلم التركى ,
بما يعنى أن إسرائيل لو كانت قامت بالتنسيق مع تركيا فيما تنتويه بغزة أو بخصوص قوافل الإغاثة لما اعترضت تركيا
فالخلافات بينهما هى تنافس على زعامة ورياسة العمل الدولى في المنطقة ليس أكثر ,
تماما كالعلاقة التنافسية بين الإتحاد السوفيتى وأمريكا فالمساعدات التي كانت تقدمها السلطات السوفياتية لمصر مثلا لم يكن لأجل خاطر عيونها أو لأن مصر بها أبو الهول!
بل كانت مجرد رد فعل لأن أمريكا الخصم اللدود يدعم خصم مصر وهى إسرائيل ,
ولو انقلبت الولايات المتحدة ساعتها على إسرائيل ودعمت مصر كان الإتحاد السوفياتى سينقلب أيضا داعما إسرائيل
وهكذا هى قواعد لعبة الشطرنج على الخريطة العالمية,

## السؤال الثالث والأربعين : دور المعتزلة في التاريخ الإسلامي

*يقول أحد الأساتذة الباحثين عن المعتزلة: أنه مع أننا ننكر عليهم كثيرا من معتقداتهم وأفكارهم.. لكن يمكننا القول أنّه لولا المعتزلة لما كان هناك فكر سياسي إسلاميّ ... ما رأيكم؟ وما مدى صحّة الكلام؟*

## الجواب :

هذا كلام بلا دليل ، فضلا على أنه على غير أساس من الواقع بمجرد النظر إليه ,
لماذا ,
لأن الفكر السياسي في الإسلام معناه الفكر المؤسس لأعمال الحكم والرياسة ورعاية المصالح في الدولة ,
وهذى كلها عبارة عن أحكام فقهية في الأصل قائمة على القرآن والسنة ,
ودونتها كتابات الفقه بعد أن أخذتها كقواعد عامة منذ عهد الراشدين ,
فلو أننا قلنا بمثل قول هذا الباحث لكان معناه أن الحكم الراشد وما بعده من دولة بنى أمية كلها والعصر العباسي حتى حكم المأمون ، كان كل هذا حكم مبنى على غير فكر سياسي ,
وهذا لا شك أنه جهل عارم قبل أن يكون تجنيا معتزليا ,
ومثل هذا القول لا يقوله إلا معتزلى ,
لأن المعتزلة كانوا ذوى ثقافة علمانية ترى في الأحكام الفقهية أمرا محصورا في العبادات والمعاملات أما فكر الدولة ففي نظرهم يخضع للعقل ، هو وفكر العقيدة ,
وبالتالى فإن هذه النظرة تضارب ما هو معلوم من الدين بالضرورة ,
لأن دين الإسلام عندنا حاكم على سائر شئون الحياة وقواعد القرآن والسنة لا يمكن تجاوزها بأى تنظيم أو حكم بشري يخالفها ، وإلا كان حكما طاغوتيا ,
فالنبي عليه الصلاة والسلام كان رجل شريعة ، وكان رجل دولة ,
فكما أدى رسالة الشرائع في العبادات والمعاملات ,
أدى كذلك وظيفته في رياسة الدولة كتسيير الجيوش وقيادتها وترتيب علاقة الدولة مع جيرانها وإبرام المعاهدات وإقرار نظام الشورى في انتخاب أولياء الأمور وتعيين الولاة والقضاة وتصريف الأموال العامة في العطاءات والزكاة .. الخ
وهذه كلها ممارسات سياسية محضة أسسها النبي عليه الصلاة والسلام وقامت عليها دولة الراشدين من بعده ثم بقية دول الإسلام ,
بل وقام الفقهاء الأعلام بصياغتها في نظريات سياسية حملت أحكام الفقه الجهادى والفقه السياسي وشئون الحكم وازدحمت بها كتب الفقه الأصلية منذ عصر الأئمة الأربعة ,
فأين كان المعتزلة من كل هذا ؟!

لقد جاءوا بعد كل هذه الإنجازات ، وليتهم أضافوا إليها بل عملوا على تقويضها بتقويض الإحتجاج بالقرآن والسنة على شئون الحكم وشئون العقيدة ,
فكيف يقال أن المعتزلة هم مؤسسوا الفكر السياسي ؟!
هذا لا شك أنه باطل ,
ويهدف إلى هدم شرعية دولة الإسلام الراشدة ونظريات الفقه في الحكم السياسي الذى أسسها الفقهاء على مر العصور
ولو أننا طالعنا أحد كتب الفقه الجامعة مثل المغنى لابن قدامه مثلا ، لوجدنا أبوابا كاملة تنظم كل كبيرة وصغيرة في شئون الحكم والرياسة مبنية على القرآن والسنة ,
بينما لو طالعنا كتب المعتزلة فلن نجد إلا الفراغ الفلسفي البارد ، مثل كتاب شرح الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار المعتزلى والذي حشد فيه أفكار الإعتزال في العقيدة والحكم بأسلوب عقلانى فلسفي غير مفهوم ومستحيل التطبيق فضلا على مضاربته لأحكام الشريعة,
وأخيرا ,
الحسنة الوحيدة للمعتزلة كانت في أنهم دعوا الغرب من الروم وغيرهم إلى الإسلام عن طريق الحوار والمناظرات الفكرية فانضم للإسلام خلق كثير منهم ,
أما ما عدا ذلك فتاريخهم مملوء بالجرائم الفكرية التي ارتكبوها في حق السنة,

## السؤال الرابع والأربعين : أسئلة منوعة

*من هم الملالي من الشيعة هل هم رجال الدين وما الذي تمثله الملائية ؟*
*ما هو تشريع الإسلام في نظام الضرائب الذي تفرضه الدول الآن في الحالات العادية والطارئة ؟ وفيما يخص المراهنة فهي كما نعلم محرمة ، فهل الإستثناء من ذلك المراهنات في الخيل وسباقاتها*
*هل فقط الشفاعة الثابتة في الإسلام هي الشفاعة بالإذن كما ذكرها الله سبحانه في كتابه دون مثلا شفاعة المحبة والقرب , أو شفاعة الجاه وإلى غيرها*
*ما قيمة استشهاد الشيعة بتصحيح أهل السنة للأحاديث التي يتوهمون منها فرضية الإمامة كذكر الخوميني لتصحيح الطبري لسند حديث الغدير وتأليفه مجلدين في صحته وأبي المعالي الجويني أيضا*

## الجواب :

### السؤال الأول:

الملالى هم رجال الدين , ومفردها الملا ، وهو لقب شائع الإستخدام على رجال الدين في منطقة الشرق الأقصي وليس قاصرا على الشيعة وحدهم وإنما يختص الشيعة بلفظ آيات الله , وكذلك يعرفون بلفظ الملالى في الأدبيات السياسية فيقال لنظام الحكم في إيران ( نظام الملالى )

### السؤال الثانى :

بالنسبة للمراهنات هذا سؤال فقهى أرى أن تتوجهى به للمختصين ,
ومعلوماتى أن المراهنة كلها حرام لا يستثنى منها الخيل أو غيره ، طالما توافرت فيها شروط المراهنة المالية والمقابل المادى ,
أما إذا كانت المسابقات لا يتوفر فيها شرط المقابل الذى يدفعه الخاسر فتلك بعضها مباح وبعضها غير مباح لقول النبي عليه الصلاة والسلام ( لا سبق إلا في حافر .... الحديث )

### السؤال الثالث:

عن الضرائب والمكوس فهذا أيضا سؤال فقهى لا أدخل فيه
والذي أعرفه أن المكوس والضرائب محرمة لأن الدولة لها حق تحصيل الزكاة فقط أما الضرائب الجبرية ـ غير الإختيارية ـ فتلك حرمها الإسلام والمسألة فيها تفصيل فقهى يجب أن نعود لأهل العلم فيه

### السؤال الرابع:

الشفاعة الثابتة هى شفاعة الإذن فيما يخص الآخرة ، ويجب أن نفرق بين الشفاعة في الآخرة عند الله وحده وبين الشفاعة في الدنيا للبشر عند بعضهم البعض ,
فالشفاعة في الآخرة لا تكون إلا لمن أذن له الرحمن وقال صوابا ولا اعتبار هناك لجاه أو قرابة

أو خلافه , بل بالإذن الإلهى وحده، لقوله تعالى
{اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الحَيُّ القَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ} [البقرة:٢٥٥]

والشفاعة في الدنيا هى للبشر فيما بين بعضهم البعض وهى أمر مطلوب مرغوب فيه بشروط حددتها الشريعة وهى ألا تكون في حد من حدود الله تعالى أو لتبطل حقا أو تحق باطلا ,

السؤال الخامس:
ما قيمة استشهاد الشيعة بتصحيح أهل السنة للأحاديث التي يتوهمون منها فرضية الإمامة كذكر الخوميني لتصحيح الطبري لسند حديث الغدير وتأليفه مجلدين في صحته وأبي المعالي الجويني أيضا
ليس لهم أدنى فائدة من هذا لعدة أسباب ,
أولا:
حديث الغدير لا يحتاج تصحيح الطبري أو غيره لأنه ثابت أصلا بغيره وأقر علماء السنة بصحته بدون الزيادات الواردة فيه ,
أى أن الحديث الصحيح المتواتر ) من كنت مولاه فعلى مولاه(
وصحح أهل العلم الزيادة التالية وهى ) اللهم والى من والاه وعاد من عداه ( فهى حسنة ولا ترقي لمرتبة المتن الأول
أما بقية الزيادات كلها مثل ) وانصر من نصره واخذل من خذله .... الخ ) فهى مكذوبة قطعا باجماع المحدثين
ثانيا :
استشهاد الشيعة بالطبري ينبغي لنا أن نلاحظ فيه نقطة هامة وهى أنهم يدلسون في أسماء العلماء فالطبري الذى يذكرونه ليس هو بن جرير الطبري الإمام المؤرخ المفسر بل يعنون طبريا آخر هو بن رستم الطبري وهو شيعي لا يعتد به ,
كذلك يعتدون ويحتجون ببعض العلماء من غير أهل السنة وينسبونهم إلى أهل السنة بينما هم من المعتزلة أو الصوفية أو غيرهم بل ويحتجون ببعض علماء الشيعة المعروفين بتشيعهم على أنهم من أهل السنة فينبغي الإنتباه لذلك
ثالثا:
ليست المشكلة في صحة الأحاديث أو ضعفها بقدر ما في دلالة الأحاديث والآيات ,
فالشيعة يعجزون لليوم على أن يأتوا بآية أو حديث يكون قطعى الثبوت قطعى الدلالة لأن هذا هو شرط ثبوت العقائد ,
وعقيدة الإمامة التي يعتقدونها يقدمونها على الصلاة والزكاة وسائر الأركان!
فكيف يثبت القرآن والسنة هذه الأركان بنصوص تعدت ثلثمائة آية وعشرات ومئات الأحاديث

ولا يوجد حديث واحد أو آية واحدة قطعية الدلالة في النص على الإمامة ,
ومعنى ثبوتها القطعى ودلالتها القطعية أن تكون الآية أو الحديث لا يحتمل أدنى معنى آخر بل يحتمل معنى واحد فقط ويدل عليه ,
مثال ذلك قوله تعالى ) وأقيموا الصلاة ( قطعى الدلالة في فرض الصلاة .. وهكذا ,
أما الإحتجاج بالمتشابه فهذا لا تثبت منه أركان ولا عبادات من الأصل

رابعا:

كل الأحاديث التي يحتجون بها ـ ما صح منها ـ تدل فقط على فضل أهل البيت وهذا لا ينازع فيه أحد من أهل القبلة ,
وهم يستغلون دلالة الفضل على أنها دلالة على الإمامة المبتدعة التي من المستحيل أن تثبت بالقرآن أو السنة لأن الدين اكتمل وهم يرون أن الإمام ينسخ الشريعة ويعطلها ويخصص العام ويعمم الخاص وكل هذه الأمور التي تعارض بدهيا حقيقة اكتمال الدين

خامسا : والنصيحة الأخيرة ألا يقرأ المرء في كتب الشيعة شيئا ما لم يكن متخصصا وعارفا بأسلوبهم في الكتابة ,
وأسلوبهم معروف وهو الكذب والتدليس المستمر ولا يوجد كتاب شيعي واحد لأى عالم من علمائهم يخلو من التدليس والكذب في النقل والإستشهاد لهذا ينبغي الحرص

## السؤال الخامس والأربعين :الإيمان والفن

*رأت هذا المقال.. في جريدة الغد الأردنية وأردت التثبّت من صحة وجواز الآراء الواردة فيه فأرجو منك أستاذنا التعقيب عليه هنا لحرصي على النهج السليم وهو على هذا الرابط*

*http://www.alghad.com/?article=18414*

الجواب :

لا حول ولا قوة إلا بالله ,
لست أدرى في الواقع ماذا يريد هؤلاء الناس ,
المقال بالطبع علمانى يتظاهر بالإعتدال ويمتلئ بالمغالطات الفاحشة ,
أولا : يقول العنوان أن الإيمان بحاجة للفن!
وتلك مصيبة ,
لأن الإيمان ليس بحاجة إلى شيئ ولا يحتاج لشيئ يل يُحتاج إليه ، والمقولة عكسها صحيح ,
وهى أن الفنون تحتاج الإيمان ,
مثلها مثل أى عمل بشري يحتاج الإيمان لكى تردع القائم به عن نواقض الإيمان والإسلام ,
ثانيا: في شهر رمضان بالتحديد ، تكثر الدعوات لنبذ التشدد , وتلك مقولة مغرضة للغاية ومقصودة لأكثر من سبب
فبينما نحن الآن في عصر التفكك والإنحلال اللانهائي وفى الوقت الذى أصبح فيه شهر رمضان شهر المسلسلات والفوازير بعد أن كان شهر القرآن!
يأتينا آت فينادى بنبذ التشدد! ,
وكأن الناس في الشوارع والبيوت تشد الأحزمة من العبادة!
وهذا ضد المنطق قبل أن يكون ضد الدين ,
فليس هناك عاقل يدعو منحلين إلى شيئ من التحرر وترك التشدد!
وكأن هؤلاء الدعاة إلى النار لا يكفيهم ما نحن فيه من تفريط في شهور العام فيقصدون إلى تكريس الإنحلال بالذات في رمضان وعن عمد وعن قصد ,
وهم بحق دعاة إلى النار ,
لأن الأئمة والعلماء قديما كانوا يتركون كل شيئ حتى العلم ويقبلون في شهر رمضان على القرآن والذكر والقيام ,
أى أنهم كانوا يتركون الفرائض لما هو أفرض وأوجب منها في هذا الشهر المعطاء ,
فإذا بهؤلاء يريدوننا أن نترك كل هذا إلى المباحات وهى مجرد مباحات ,
ثالثا : زادوا كثيرا من التبجح في زمن الغربة الذى نعيشه ، فلم يكفهم أن يبيحوا الفسق والفجور باسم الفنون ، بل عمدوا إلى جعلها فريضة ومما يحتاجه الإيمان!

مع أن الإسلام أباح الفنون بشروطها ، وحتى لو كانت كلها مباحات ,
أكرر لو فرضنا أن الغناء وسائر أنواع الفنون مباحات كلها حتى بصورتها المبتذلة التي يقدمها عالم اليوم
فكيف يمكن أن نركز عليها في رمضان وهى مجرد رخصة!
ونترك الفرائض التى نصت النصوص على الإكثار منها
رابعا : من أين يأخذ هؤلاء القوم دينهم بالضبط ؟!
فنحن نرى الراقصين والراقصات هذه الأيام تتصدى للفتوى بالحلال والحرام بلا حياء وكأن الدين قد أصبح حرما مستباحا لكل أفاك ,
وكل عاص أصبح همه هذه الأيام أن يحلل معصيته!
وليت أنهم اقتصروا في القول بحلال أو حرام على الفروع أو محل الإجتهاد!
بل عمدوا إلى الثوابت الناصعة بالقرآن والسنة والإجماع فأنكروها ببساطة!
بل حرموها أيضا ,
أى أنهم جعلوا الكبائر فروضا ، وقلبوا الفرائض معاص وتشددا
وإلا ما معناها الهجمة والبراءة من النقاب وهو في أقل الأحوال فضيلة!
وما معنى الدعوة إلى ترك القرآن والركون للفنون في شهر الصيام وهى مجرد مباح

حسبنا الله ونعم والوكيل

## السؤال السادس والأربعين : دعوى واتهام السلفيين بتحجر العقل

*تكثر الشكاوي من الكثيرين بأن المسلمين الملتزمين السلفيين متحجرو العقل وتأتي الدعوات للتجديد كيف نفهم الموضوع ونرد عليه؟ وما الفرق بين التجديد ومواكبة العصر؟*

## الجواب :

هذا الأمر لا يعدو كونه طنطنة معروفة من ذيول العلمانية واتجاه العصرانية وريثة المعتزلة في العصر الحاضر
وأقدم لك ولكل قارئ نصيحة بسيطة تكفل لأى جدل من هذا النوع أن ينتهى تماما وبأقل التعبيرات والجهد
ففي أى قضية ينبغي العودة إلى التأصيل قبل التفصيل ,
أى أنه من الضرورى أن نؤصل لما نتحدث فيه فنعرف معنى المفاهيم ومعنى المصطلحات ,
ثم نضرب بالأمثلة حتى لا يصبح الكلام عاما ومفرغا ,
والعلمانيون يهربون دائما من العنصرين لأنهم يناقشون بهوى ولو نزلوا للواقع فلن يجدوا بدا من الإعتراف بعلمانيتهم ,
وهو ما لا يرغبون فيه
خلاصة القول أن التجديد في الإسلام بل وكمصطلح عام أيضا ,
هو إعادة البناء على ما كان عليه في حاله الأول وإزالة الشوائب التي علقت به على مر الزمن ,
من خلال هذا التعريف يتضح لنا عدة نقاط هامة للغاية ,
أولها : أن التجديد لا علاقة له بالفروع بل هو خاص بالأصول وفى مجال الشريعة يعنى التجديد أن نرد أمر العقيدة والأصول ـ لا الفروع الفقهية ـ إلى ما كان عليه عهد الرسالة الأول نقيا وخالصا ,
ويستفاد هذا المعنى من خلال النصوص الشرعية المتمثلة في حديث النبي عليه الصلاة والسلام ( يبعث الله على رأس كل مائة سنة لهذه الأمة من يجدد لها دينها )
فالمقصود هنا من لفظ ومصطلح التجديد أن يرد العالم المجدد أمر العقيدة والأصول إلى ما كانت عليه الرسالة في عهدها الأول
ثانيها : من خلال هذا التعريف يتضح أن التجديد ليس معناه ابتكار بناء جديد أو هدم البناء القديم وإحلال بناء آخر مكانه
بل يعنى رد أمر العقيدة والأصول إلى صورتها الأولى خالية من الشوائب والبدع
وهو هنا يختلف تماما عما يقصده العلمانيون لأنهم يريدون إبراز قواعد مدنية جديدة تحل محل الشريعة وتضرب أصولها ويقولون أن هذا من قبيل التجديد بينما هو هدم لبناء الإسلام الأول وترسيخ بناء تشريعي آخر ,

ثالثها : أن التجديد لا علاقة له بالفروع الفقهية وهى المسموح فيها بالإجتهاد ,
لأن هذه الأمور الفقهية هى من قبيل المتغيرات لا الثوابت ,
والمتغيرات بطبيعتها تواكب عصرها باستمرار فليس منطقيا أن تحتاج إلى تجديد
فالذى يحتاج التجديد ( أى إزالة شوائب العصر ) هو مجال العقيدة ومجال الأصول ,
ومثاله قواعد الإيمان والإسلام ووجوب تنقيتها من البدع لأنها أمور وقفية لا اجتهاد فيها وينبغي درء أى تعديل يطرأ عليها باستمرار تحاشيا للبدع الذى حذر منها النبي عليها الصلاة والسلام ,
والأصول وهى الفرائض من العبادات ، وتلك بطبيعتها لا يمكن قبول أى إضافة أو شائبة فيها كأركان الإسلام الخمسة من صلاة وصوم وحج ,

نخلص من هذا إلى أن التجديد ليس معناه هدم قاعدة أصولية في الشريعة واختراع قاعدة جديدة بحجة مواكبة العصر ,
لأن مواكبة العصر مجالها محدود فقط بالفرعيات لا الأصول ,
وكما أن الصلاة والصوم وغيرها لها قواعد مضبوطة بالشريعة لا يستطيع أحد اللعب فيها بالزيادة والنقصان ، فكذلك سائر القواعد الفقهية التي أرساها الإسلام كأصول لا تقبل الإجتهاد
فكما أرسي الإسلام أن الصلاة ركوع وسجود
أرسي كذلك أن الإمامة والحكم والقضاء للرجال دون النساء
فإذا تصورنا قابلية فرض الصلاة للتعديل ، عندئذ يمكن قبول تغيير قواعد الحكم.. ,

فهؤلاء الذين ينادون بالتجديد وهم راغبون أصلا في هدم قواعد الإسلام الأصلية لا ينادون بتجديد بل بهدم ، لأن التجديد ليس معناه تحديث القواعد بل معناه ردها لأصلها الأول الذى نزلت به

أما التحديث ومواكبة العصر فهذا أمره إلى ما دون الأصول مثل الفروع الفقهية وشئون حياة الناس التي تركها الله عز وجل خاضعة لقواعد عامة شمولية وترك الحرية فيها مفتوحة للبشر ينظمونها كيفما شاءوا
فمثلا شرع الله عز وجل قاعدة تحريم الربا وأباح التجارة ,
هنا قاعدة عامة تشمل أمر التجارة بوجه عام وتترك حرية اختيار ممارسة التجارة ونوعيتها وأساليبها لتشريعات البشر
فليمارس كل من شاء أمر تجارته بحرية كاملة طالما كان في حلال ووفق القاعدة العامة
وقنن الله عز وجل أمر الحكم بوجوب تطبيق حدود الله وشريعته كقواعد عامة وترك أمر وطريقة الحكم لما يناسب ظروف كل عصر ولم يجبرهم على شكل وتنظيم حكم معين برلمانى أو دستورى أو جمهورى أو ملكى ,

من هنا نخلص إلى أن الحرية المسموحة للبشر في الإسلام حرية بلا حدود وهى حرية تنظمها قواعد عامة تحرم وتنظم في إطار عام يبتعد عن التفاصيل الدقيقة ويترك المجال فيها واسع للفكر الحر ، ولم يتدخل الشارع الحكيم بالتقنين والتضييق إلا في قواعد محدودة هى لصالح البشر وحفظ النظام العام ,

ومن هنا نصل إلى أن التجديد ينبغي فهمه فقط في إطار العقيدة والأصول أما الفقه فمفتوح الباب إلى يوم القيامة ,
وهذا هو عين ما ينادى به السلف من قديم الزمن
وفى العصر الحالى ينادى السلفيون بفتح باب الإجتهاد وترك بدعة المذهبية والتقيد بعالم معين ,
وهذا هو عين التجديد ومواكبة العصر في ظل إطار مواكبة العصر بمعناها الحقيقي ,
وينادون بتجديد أمر العقيدة والأصول وردها إلى ما قبل عصر البدع
فهذا هو التجديد الحقيقي,

## السؤال السابع والأربعين .. طريقة اختيار الحاكم فى الإسلام

*طريقة اختيار الحاكم في الإسلام.. كانت قديما بالشورى ورأي أهل الحل والعقد ..والحكم نفسه .. اتخاذ القرار راجع للحاكم وحده بعد مشاورة أهل الحل والعقد ومن يؤخذ برأيهم.. فإن شاء أخذ بالرأي وإلا طبّق ما يراه مناسباً..يرى الدكتور محمد عابد الجابري رحمه الله.. أن الديمقراطية الليبرالية هي الحل الأفضل للتخلص من استبداد الحاكم.. وهي ضرورة ملحة للأمة الإسلامية والعربية في الحاضر..*
*ويرى أنه لو اخترنا الحاكم بنفس الطريقة القديمة وحكم بنفس الوسائل.. ربما يمنّ الله علينا بحاكم عادل وربما يأتي من بعده من ليسوا بعادلين ويذيقوا الأمة الويلات مرة أخرى*
*ويرى أن الديمقراطية تلزم الحاكم بالدستور.. وهو المأخوذ من الشريعة الإسلامية عندنا... وتمنعه من الاستبداد والحياد وأنها لا تخالف الشريعة .ما رأيكم؟*

## الجواب :

نفهم من كلام المذكور أنه حتى لا يؤيد الإختيار الإسلامى بالشورى رغم أنه اختيار ديمقراطى ويحقق العدل ويبنى الدولة على أسس سليمة
ويفضل عليها البناء الليبرالى باعتباره يمثل ضمانا لوجود حكام عادلين دائما
وهذا لعمرى حماقة كبري وتناقض علمانى مفضوح!!

للأسباب التالية ,
أولا : اختيار الحاكم بالشورى والبيعة الحرة فى الإسلام هو الذى بنى المفهوم الديمقراطى للحكم قبل نشوء ما يسمى بالليبرالية بأربعة عشر قرنا!
فما هو الداعى لنشتبث بالمسميات الغربية والنظم الغربية وهى صورة مشوهة من النظام الإسلامى السليم ؟!
وهذا وحده يكفي لاثبات أن هؤلاء العلمانيون مغرمون بالتغريب دائما ,
وكذلك الشيوعيون الذين يتصورون أن الشيوعية اختراع من كارل ماركس بينما هى صورة مشوهة لنظم تدخل الدولة فى الإقتصاد والتى أرساها الإسلام
وهذا باعتراف واحد من كبار الإشتراكيين فى مصر وهو محمد حسنين هيكل الذى اطلع على حديث النبي عليه الصلاة والسلام القائل
( ثلاث للناس جميعا .. النار والكلأ والماء)

وعلق عليه قائلا أن هذا التعبير عبارة عن نظرية لتأميم وسائل الإنتاج الحيوية فى الدولة أرساها هذا الحديث قبل ماركس بأربعة عشر قرنا ! ( انتهى كلام هيكل )
فلماذا تتركون ما أنزل الله إلى ما أنزل ماركس !

ثانيا : لست أدرى كيف يمكن أن تكون الليبرالية ضمانا لعدم وجود حاكم ظالم والشورى الإسلامية ليست ضمانا ؟!
فظهور الحاكم المستبد لا علاقة له بوجود الدستور أو عدمه وإنما علاقته صميمة بوجود القوة والتواطؤ الذى يهدم الشورى ويهدم الديمقراطية على حد سواء
وعلى سبيل المثال جاء أدولف هتلر باختيار ديمقراطى ليبرالى ليس فيه شك وخاض الإنتخابات ونجح فى تولى منصب المستشارية الألمانية ( رياسة الوزارة(
ومن موقعه هذا سيطر على الجيش والشرطة ثم أعلن النظام النازى الديكتاتورى ولم يستطع النظام البرلمانى الوقوف فى وجهه
وكذلك موسولينى جاء إلى الحكم باختيار شعبه ثم قلب نظام الحكم ديكتاتوريا محضا
تماما كما حدث فى التاريخ الإسلامى عندما انتهت خلافة معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه باعتبارها آخر بيعة شورى وتلاها بيعة يزيد وكانت بيعة شورى كذلك ولم يجبر معاوية أحدا على البيعة وبموت يزيد التهب الصراع على الحكم وانتهى النظام الديمقراطى واستولى بنو مروان على الحكم بالقوة
ثم أصبح شوريا بعد ذلك بالتدريج واكتسب الشرعية بموافقة أهل الحل والعقد
فالنظام الليبرالى لا يمثل ضمانا من أى وجه مهما كانت قوة الدستور ويستطيع أى حاكم مستبد أن يسيطر على مفاتيح القوة ويغير النظام الدستورى

ثالثا : لا يمتلك النظام الليبرالى ميزة فى مواجهة النظام الشورى الإسلامى بل العكس هو الصحيح لأن الليبرالية مأخوذة من نظم الشورى الإسلامية أصلا
وليست معروفة فى التاريخ الأوربي كله القائم منذ بدايته على نظام الحكم الإلهى باعتبار الحاكم نائب الإله
لكن هؤلاء العلمانيين يتشبثون بالليبرالية ويرفضون الشورى لسبب واحد ووحيد يتمثل فقط فى أن الديمقراطية تختلف عن الشورى فى أن دستورها بشري ويمنح الأمة حق اتخاذ أى قانون أيا كانت بنوده بالأغلبية
بينما الدستور الإسلامى هو القرآن والسنة وحكم الله عز وجل ولا تستطيع الأمة أن تتخذ القوانين المخالفة للشريعة بل تستطيع فقط أن تتخذ القوانين الموافقة لها والمتسقة مع الشريعة

رابعا : يتصف النظام الليبرالى أنه كنظام بشري دائم الحاجة إلى التعديل وهذا مسجل بنظم القانون الفرنسية التى تعتبر هى أم القوانين العلمانية فى العالم

فتجدها قوانين لا تتميز بالثبات وتمثل ضغطا على الأمة من الممكن أن تتغير فيه القوانين حسب مصالح وأهواء الفئات أصحاب النفوذ
بينما الإسلام لا يسمح بذلك

فمثلا:
فى النظام الأمريكى استطاع أصحاب المال الوفير ورجال الإقتصاد أن يصدروا تشريعات لصالحهم تفتح السوق للمنافسة الحرة الفوضوية وتكون الكلمة العليا فيها للقوة الإقتصادية وأكبر دليل على ذلك أن كل رئيس أمريكى لا يجيئ إلا بدعم الشركات الكبري ويؤدى مقابل ذلك تخفيض الضرائب عن أكتاف العمالقة وترك السوق لهم يبتلعون أصحاب التجارات الصغري
ونجم عن هذا أن أصبح الأغنياء أكثر غنى والفقراء أكثر فقرا وهو الأمر الذى أدى إلى الإنهيار الإقتصادى الهائل الذى ضرب الغرب العام الماضي
واعترف المشرعون الغربيون بأن النظام الإسلامى يعتبر هو النظام الأمثل لأنه وسط بين الشيوعية المنغلقة التى تمنع التجارة وبين الرأسمالية التى تدع السوق لأباطرة المال
فالإسلام أوجب على الدولة التدخل لمنع الإحتكار ومنع المتاجرة بالسلع الرئيسية فى زمن الأزمات كأزمة الجوع مثلا ، وفى نفس الوقت شجع الإسلام التجارة واعتبرها تسعة أعشار الرزق ولكن فى شروط وضوابط لا تملك الأمة أن تغيرها حتى بالأغلبية
وهى الضوابط التى تحفظ السوق من جبروت أصحاب المال الكبار وتمنعهم من ابتلاع الصغار أو المتاجرة بأقوات الناس والتحكم فى الأسعار

وآخر القول ,
أنه يبدو غريبا جدا فى الواقع مشهد العلمانيين العرب وهم يدافعون عن النظام الغربي فى نفس الوقت الذى خرج فيه بعض مفكرى الغرب أنفسهم ينتقدون هذه النظم ويتهمونها أنها تسببت فى الكوارث التى يعانون منها الآن
وما فشلت الدول العربية اليوم إلا بسبب أنها اتبعت التشريعات الغربية وسارت فى ركابها بينما عندما كنا فى نظم الإسلام كنا أباطرة العالم
فعلى العاقل أن يتأمل كيف كنا فى ظل تشريعات الإسلام وكيف أصبحنا عندما استوردنا نظم الغرب المشوهة
والله المستعان

تعقيب ..

*د .الجابري لا يعارض الشورى بل يدعو للأخذ بها كوسيلة ديمقراطية إسلامية ..وصالحة.. لكنه يجعل من الديمقراطية الوسيلة الأمثل لخروج العرب من واقعهم ويرى أن الإسلام لا يعارض أي وسيلة تؤدي إلى حفظ حقوق الإنسان في السياسة والاقتصاد والحكم وغيرها..*

الجواب :

ليس القصد هو الوقوف على رأى الأشخاص ، أنا أنقد الفكر نفسه فحسب
ولا مشاحة في الإصطلاح فإن كان يعنى بالديمقراطية نفس مسمى الشورى .. فليكن ,
أما إن كان يقصد بالديمقراطية استيراد نفس مفهومها المأخوذ عن الفكر الرومانى باعتبارها حكم الشعب بالشعب واعتبار الشعوب هى مصدر التشريع فهذا هو المرفوض قطعا ,
لأن الإسلام يرهن التشريع لمصادره بالوحى وحدها,

## السؤال الثامن والأربعين رأيك بالديمقراطية كمنهج حكم ومدى اختلافها عن الشورى في الإسلام

*كنت أريد أن أعرف رأيك بالديمقراطية وإن كنت تعرف كتبا تنقدها وتبين محاسنها ومساوئها من وجهة نظر إسلامية .. فمعظم الكتب بين يدي من نوع كتاب الدكتور الجابري "الديمقراطية وحقوق الإنسان" وقد أثار بعض ما فيه حفيظتي وأنا أريد أن أعرف إن كان عندك علم بالموضوع*

الجواب :

الديمقراطية باختصار هى مصطلح رومانى مأخوذ عن كلمتين ( ديموس ) و ( كراتوس )
وتعنى حكم الشعب بالشعب وتقوم فكرتها الحديثة وفق ما أعلنته مبادئ المفكر الفرنسي جان جاك روسو على أن الطريقة المثلي في الحكم هى تنظيم علاقة الحاكم بالمحكوم عن طريق العقد الإجتماعى
والعقد الإجتماعى هو أساس كل نظريات القانون الفرنسي الذى يعتبر أبو القوانين الوضعية كلها

ويعنى أن الدولة كمفهوم هى هيئة تملك السلطات وتنظم شئون الشعب وتنقسم إلى ثلاث سلطات البرلمانية أو التشريعية وتتكون من ممثلين مقتدرين للشعوب بيدهم الحل والعقد وإقرار القوانين وإصدارها والرقابة على السلطة التنفيذية ( الحاكم وحكومته ) ومحاسبتهم على أفعالهم
والسلطة القضائية وتعنى بالفصل بين الأحكام التي تقع في منازعات الأفراد وبعضهم البعض وبين الأفراد والحكومة
والتنفيذية ويقع على رأسها حاكم أو رئيس الدولة بغض النظر عن نظام الحكم رياسيا كان أو ملكيا

هذه الدولة هى الطرف الأول في العقد والطرف الثانى هو الشعب الذى يتنازل للدولة عن حقه في الإنفراد بحياته ويخضع لسلطانها في مقابل قيامها بالواجبات العامة وحماية حقوقه وفق القوانين الدستورية ,

وتختلف النظم الديمقراطية عن النظم الشورية التي نظمها الإسلام في نقطة وتتفق في نقطة أخرى
أما نقطة الإتفاق
فهى ضمان الحقوق الفردية للمواطنين وحريتهم في إبداء رأيهم وخضوع الحاكم للشريعة وفق ما يخضع له الأفراد تماما على حد المساواة ,
أما نقطة الإختلاف الجوهرية فتتمثل في إختلاف مصادر التشريع ,

ففي القانون الوضعى تعنى الديمقراطية أن مؤسسة التشريع البرلمانى الممثلة للشعب هى صاحبة الحق في إقرار القوانين جميعا بدء بأعلى رتبة فيه وهى الدستور وحتى آخر رتبة وهى اللوائح الإدارية
بينما في الإسلام تعنى الشورى حرية الأفراد وضمان حقوقهم في مواجهة السلطة استنادا إلى مصادر التشريع التي لا تقرها البشر بل هى حق أصيل للمشرع الإلهى عز وجل وتتمثل مصادر التشريع في الإسلام في نوعين ,
أولهما المصادر الأصلية : وتلك ليست للحكام أو غيرهم سلطة تغييرها أو تبديلها أو تعطيلها وهى القرآن والسنة الثابتة والإجماع
وثانيهما المصادر الفرعية : وهى التي تملك المؤسسات التشريعية في الدول الإسلامية كالبرلمانات والقضاء سلطة تغييرها والإجتهاد فيها وتعطيلها في ضوء ثوابت القرآن والسنة
كذلك هناك نقطة خلاف أخرى رئيسية بين الديمقراطية الغربية والشورى الإسلامية تتمثل في أن الشريعة الإسلامية تصون حرية الفرد أكثر من نظم القانون الوضعى
حيث تعتبر نظرية العقد الإجتماعى سالبة لتلك الحريات الأصيلة لصالح الدولة ولا يملك المواطن تعطيلها أو استعادتها بعكس الشريعة الإسلامية
مثال ذلك حق القصاص فهو حق أصيل للأفراد في الشريعة الإسلامية يملكون بمقتضاه طلب القصاص من القاضي أو الدية أو العفو ,
بينما في القوانين الوضعية لا يملك الفرد المطالبة بهذا الحق الذى تقوم به الدولة عوضا عنه ولا يملك التنازل عنه أيضا ولا يملك تعديل الحكم بل الأمر كاملا حق للدولة ممثلا في القضاء ,
وأيضا هناك اختلافات في طبيعة القوانين حيث تقر القوانين الوضعية تشريعات إجتماعية مجحفة لحق الأسرة فترفض ولاية الآباء على الأبناء والأزواج على الزوجات وغير ذلك من النظم التي أثبتت باعتراف مشرعي الغرب خطورتها على بنيان الأسرة

ولو أردت المزيد حول القانون الوضعى وأنواعه فعليك بالمقررات الدراسية التي يدرسها طلبة كليات الحقوق في مصر وغيرها حيث تحتوى مادة القانون الدستورى والقانون الإدارى هذه النظريات كاملة

## السؤال التاسع والأربعين : أساليب الدعوة في الإسلام وأكثرها تأثيرا

*كان معرض النقاش يتناول شخصيتين من الدعاة كل منهم مختلف في طريقته لعرض أفكاره*
*الشخصية الأولى عملية التفكير وتكتفي بالمنطق والتحليلات والاحصاءات وتطبيقها على الواقع ومقارنتها بغيرها أي انها تخاطب العقل فقط*
*والشخصية الأخرى على العكس ، تكتفي بالعاطفة والكلام المنفعل وتعتمد على التأثير في المستمعين والإشادة بالتاريخ القديم وعرضه فاختلفنا أي الأسلوبين أكثر فاعلية وترويجا للأفكار والاقناع بها وهل العقل مقدم على العاطفة في مخاطبة الناس*
*قول الله سبحانه وتعالى أيضا : " ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة"*
*وكيف التوفيق بينهما بشكل لا يخل بأحدهما واستخدام كل منهما في موضعه..*

## الجواب :

بشأن هذا الموضوع أرى أنكم وقعتم في خطأ منهجى ينبغي إيضاحه
خطأ التخيير بين مخاطبة العقل والقلب باعتبار ضرورة اختيار أحدهما ، بينما هما متلازمان كما أشارت الأخت رياح الشمال
والخطأ الثانى يتمثل في ربط وصول الرسالة من الخطاب على الأسلوب وليس على الصدق في البداية لا يوجد شيئ اسمه مخاطبة القلب منفردا ومخاطبة العقل منفردا فالخطاب الواعى ينبغي له أن يجمع ـ إلى حد ما ـ بين العنصرين ,
ولا يتصور نجاح خطاب يتوجه إلى القلب بالعاطفة البحتة أو إلى العقل بالفلسفة البحتة وإلا لم يؤدى لدوره
فلابد لخطاب القلب أن يتمتع بشيئ ما من العقلانية المتمثلة في الأدلة والخطاب المنطقي المرتكز على أسس قوية من المنطق وإلا أصبح مجرد حديث انفعالى لا يقدم أو يؤخر
وأمثال هذا الخطاب يعرفها الجمهور على أنها خطابات الإستثارة التي لا تهدف للتوعية بل تهدف للتعمية!
وحتى لو تميزت بالصدق فإنها تكون همجية في رد الفعل لأنها تفتقد التنظيم والترتيب ، وتفتقد الجدية
ومثال ذلك الخطابات الإنفعالية التي اشتهر بها بعض الزعماء العرب ولا تأخذ منها أدنى فائدة فعلية ، لأنها مجرد متاجرة بشعارات براقة هدفها استثارة الجمهور لا أكثر

وبالمثل الخطاب العقلانى لابد له من مراعاة الجانب الإنسانى وإلا استحال الوصول إلى أذن السامع لأن الجمهور ليس جمادا حتى تتم مخاطبته بلغة جامدة كلغة الكمبيوتر
وبدون الجانب الإنسانى يصبح الجمود هو سمة الخطاب ويستحيل عليه الوصول للجمهور ويبدو فيه الخطيب كما لو كان آلة صوتية تردد ما تقرأ دون انفعال!

ومثال ذلك المحاضرات الجامعية التي تعتمد على الحفظ والاستظهار دون التركيز على الفهم والاستيعاب
ومثالها خطباء المساجد الذين لا يمتلكون موهبة الخطابة فتجد انفعاله متساويا في الترهيب والترغيب ! وحديثه عن الجنة أو النار لا يفرق بينهما السامع

والنقطة الثانية ,
هى ما أود التنبيه فيه إلى أن معيار وصول الخطاب ليس هو الأسلوب الذى يتوجه به الخطاب للعقل أو للعاطفة ، فالأسلوب هو عامل مساعد
ويتبقي الصدق هو العامل الرئيسي
والمقصود بالصدق هنا ليس صدق القول أو المعلومات التي يبثها الخطيب
بل المقصود صدق اعتقاد الخطيب بحقيقة هذه المعلومات أى النية الصادقة
ولو افتقر الخطيب للاقتناع الشخصي بما يخطب به فمن المستحيل أن يصل لقلب مستمعيه
مثال ذلك خطاب المنافقين مثلا لو تحدثوا بلغة الإيمان والورع
فمحتوى حديثهم صادق لكن ايمانهم بهذا الحديث غير متوفر وبالتالى لا يصلون لقلب السامع أبدا
ومثال ذلك خطاب العلمانيين الذين يبشرون الناس بمفاهيم الحضارة في غياب الدين ، فهؤلاء لا يصلون للجمهور لأنهم أنفسهم يعلمون أن ما يتاجرون به إن هو إلا دعوة للتغريب هدفها لا علاقة له بالنية المخلصة في توجيه الجمهور

## السؤال الخمسون رواية الفاسق والمبتدع

*هل تقبل رواية الفاسق ببدعته إذا لم يستحل الكذب لتأييد بدعته ؟ أو لم يكن داعيا إليها ؟*

## الجواب ..

هذان سؤالان لا سؤالا واحدا
فلا يوجد شيئ اسمه فاسق ببدعته فهما أمران منفصلان لكل منهما معالجة
فهناك الفاسق وهناك المبتدع ولكل منهما احكام ,
نعم هناك حكم اسمه التفسيق بالبدعة أو البدعة المفسقة او المكفرة
لكن فى احكام قبول الرواية ينفصلان فللبدعة احكام ولخوارم المروءة احكام أخرى

وكقاعدة عامة ,
يشترط لقبول الرواية أن يكون الراوى عدلا
واشتراط العدالة لا يقاس عليه ولا يستثنى بعكس شرط الضبط والحفظ حيث من الممكن أن يتم التساهل بهما
ولهذا فرواية الفاسق لا تقبل ,
بل إنه حتى شهادة الفاسق فى القضاء لها محاذير

أما المبتدع فلا تقبل روايته كقاعدة عامة لها استثناء بشرط وضوابط محكمة
منها الا تكون البدعة مكفرة كالتجهم والرفض وما شاكلها ,
ومنها ألا يكون داعيا للبدعة مهما كان هوان شأنها
وأهم شرط ,
أنه مهما بلغت درجة صدقه فلا نقبل منه ابدا رواية تنصر بدعته
بل نقبل الرواية فى غيرها ,
بالإضافة إلى أن رواية المبتدع بشروط القبول تظل أيضا فى مرتبة أدنى من رواية العدل فلا يتساويان
ولذا فان البخارى فى روايته عمن فيهم تشيع تحرى الشروط وضم اليهم غيرهم ,
والله اعلم

تعقيب
*الفارق بين الفاسق والمبتدع ...*

لو رجعت لحديثي السابق وما قمت بنقله ستجديهما متطابقين ولكن سوء الفهم راجع إلى أنك لم تنتبهى لما أحببت لفت نظرك إليه
فقد سالت عن حكم الفاسق المبتدع , هكذا معا
فأحببت أن أوضح لك أن هناك فاسق .. وهناك مبتدع ولكل منهما حكم فى مسألة الرواية ,
نقطة الخلط تقع فى أن البدعة لها حكمان
حكم تفسيق بالبدعة ، وحكم تكفير بالبدعة
أى أن ذكر الفسق هنا مندرج تحت حكم البدعة
وهو يختلف عن حكم الفسق المستقل , لهذا قلت فى إجابتى السابقة

فلا يوجد شيئ اسمه فاسق ببدعته فهما أمران منفصلان لكل منهما معالجة
فهناك الفاسق وهناك المبتدع ولكل منهما احكام .
نعم هناك حكم اسمه التفسيق بالبدعة أو البدعة المفسقة او المكفرة
لكن فى احكام قبول الرواية ينفصلان فللبدعة احكام ولخوارم المروءة احكام أخرى

وهذا يتضح عندما نعلم أنه ليس كل فاسق مبتدع بالضرورة!
وليس كل مبتدع فاسقا
فالفسق والبدعة أصلا منفصلان وإنما يترابطان فى أحكام معينة لا تخل بالقاعدة العامة ,
وأكبر ما يتضح به الفارق هو أن الفاسق المحكوم بفسقه غير مقبول الرواية مطلقا
بينما صاحب البدعة المفسقة فيه قولان من الرفض المطلق أو القبول بشروط
وهذا إلى أن الفاسق المطلق يتضمن اتهامه بالكذب والإفتراء قطعا وهو ما يسقط شهادته وعدالته وبالتالى تصبح روايته مرفوضة للكذب ، وعدم الأمانة

أما فى حالة البدعة المفسقة فلفظ الفسق هنا لا يعنى البهتان أو الكذب أو رمى المحصنات وإنما وصف الفسق هنا وصف لممارسة البدعة ذاتها كالرفض أو الخارجية
الفارق دقيق نوضحه بمثال ,
لنبين أن الفاسق مطلقا له حكم مستقل وهو مرفوض الرواية بلا استثناء
فالفاسق بالبهتان أو رمى المحصنات تسقط عدالته وشهادته مصداقا لقوله تعالى
( ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا)

أما الفاسق بالبدعة فأمر آخر وحكم آخر

ذلك أن وصف الفسق هنا ليس معناه ارتكاب موجبات الفسق بالكذب والبهتان ( جريمة القذف( وإنما كان وصف الفسق لوصف حدود تجاوز البدعة فى أمر عقدى لا شأن له بالقذف ككبيرة من الكبائر

ولهذا كان الإختلاف بين المحدثين فى قبول روايته بشروط أو رفضها مطلقا

## السؤال الحادى والخمسين : مدى الفارق بين الأمل والوهم

*سؤالى كان على الأمل بذاته لأي حد يمكننا مسايرته وحرز نتائج ملموسة وهو ما هو إلا شيء في الشعور يخبو ويبرق وعليه تكون الاستجابة والتأثر*
*يقولون انه قد تقعد الأماني بصاحبها و تنجيه الحقيقة ' ويقول الشاعر : ما أضيق العيش لولا فسحة الأمل*

## الجواب

التماس الأمل وتحقيقه بالعزائم حتى فى إطار الدنيا ليس امرا مشروعا فقط
بل هو فى قمة المطلوب
فلولا الأمل لتاهت العزائم ونكثت ,
لا سيما فى المطالب المشروعة كالتفوق العلمى وتربية الأبناء وإنشاء الأسرة .. الخ
ولا يعاب الأمل الدنيوى إلا إذا كان المرء تنتهى به الآمال على الدنيا دون الآخرة

أما قول القائل بأن الأمل يقعد بصاحبه!
فهذا غير صحيح ,
بل العكس هو الصحيح انعدام الأمل هو الذى يدفع لليأس والقعود
ومن قال ذلك يخلط بين مفهوم الأمل ومفهوم الأمانى ..
والفارق ضخم..
فالأمل هو الحلم الممكن تحقيقه .. والمتوافرة عناصره مهما كانت صعوباته ,
أما الأمانى فهى الأحلام فى المطلق والتى تكون للتعبير فحسب ويستحيل تحقيقها غالبا ,
كما يمكن إطلاقها بمفهوم الأمل
ولهذا فالأمانى الفارغة هى التى قد تقعد بصاحبها عن العمل فى انتظار مجيئ الأمانى
أما الآمال فمفهومها يلزم له العمل ..

فالفارق بينهما هو فى مقياس إمكانية التحقيق والعمل عليها ,
فالأمل عمل إيجابي والأمانى شعور سلبي
ولهذا قال النبي عليه الصلاة والسلام مثلا ..
(لا تمنوا لقاء العدو وسلوا الله العافية)
ولم يقل لا تأملوا لقاء العدو
لأن الحديث هنا عن شيئ من المفروض ألا يسعى المرء لتحقيقه بل ينتظره كقدر,

## السؤال الثاني والخمسين : اجتهاد النبي عليه الصلاة والسلام

*لو يمكنني السؤال, هل كان النبي عليه الصلاة والسلام يجتهد في الاحكام؟*
*في الحديث : " لولا ان اشق على امتي لامرتهم بالسواك عند كل صلاة " قيل ان ذلك معناه ان النبي عليه الصلاة والسلام كان يجتهد وليست جميع الاحكام التي لديه منطلقة من النص*

الجواب :
في هذا الحديث أى مثال على مسألة اجتهاد النبي عليه الصلاة والسلام ,
فالحديث يتحدث عن أمر آخر تماما وهو باب المستحبات التي كان يتمناها رسول الله عليه الصلاة والسلام لأمته دوما ولكنه لم يفرضها لعدم نزول التشريع بها
أما اجتهاد النبي عليه الصلاة والسلام فثابت أيضا ,
وهو أحد قسمين ينقسم إليهما أفعال النبي عليه الصلاة والسلام وكلاهما تتوافر فيه العصمة ,
فالأول : هو الوحى ، والعصمة فيه تكون من بدايته ، حيث يكون النبي عليه الصلاة والسلام هنا مبلغا وناقلا
والثانى : وهو الإجتهاد فيما لم ينزل به النص ، وهو معصوم فيه انتهاء ، أى بعد حدوثه ، حيث أن الله عز وجل إما أن يقره أو يعدله ، وبالتالى يصبح الفعل المجتهد كالتبليغ تماما ,
وكمثال آخر له أيضا أفعال الصحابة التي يفعلونها على مرأى ومسمع منه عليه الصلاة والسلام فإنه إن سكت عنها فإنها تصبح سنة تلقائيا ، وإن عدلها فالتعديل هو السنة,

## السؤال الثالث والخمسين : هل يستوجب التشريع إستجابة الكافر أيضا ؟!

*هل ينضوي تحت التشريع وجوب استجابة الكافر له ؟*
*في حديث النبي عليه الصلاة والسلام : " من غسل ميتا فلغتسل ذكرا كان أو أنثى مسلما كان او كافرا" فهل اوجب الشارع على الكافر الاستجابة لعض الاوامر التشريعية ؟!*

## الجواب

لقد تم فهم نص الحديث خطأ ..
فالحديث هنا يوجه الأمر للمسلم الذى يقوم بتغسيل أى ميت فعليه بالغسل بعدها ، سواء كان هذا الميت نفسه مسلما أو كافرا ..
فالضمير في الحديث يعود على المغسل المسلم وحده ,
وبطبيعة الحال ليس على كافر واجب بعد إخلاله واجب الإيمان ,
وليس المقصود ما فهمته أنت من أن المغسل قد يكون كافرا وعليه الغسل ، فالمقصود من لفظ مسلم أو كافر هو الميت نفسه وليس المغسل

## السؤال الرابع والخمسين : التقليد فى العقائد

*هناك سؤال فيما يخص صحة إيمان المقلد ( من يأخذ الدين دون دليل ) ، عند أهل العلم وأن إيمانه غير صحيح*
*أليس المجتمع الاسلامي فيه العامة من الجهلة وأهل العلم وطلب العلم مقتصر على اهله فبعض فروعه المتطلبة لمعرفة الدليل لا تحسنه فئة معينة من المجتمع ؟*

## الجواب :

التقليد إنما يؤخذ به فى مسألة الفقه ، وفيها يأخذ المقلد عن العلماء الثقات ,
أما فى مسألة العقيدة ، فليس العامى يوصف بأنه مقلد أو أنه يأخذ الدين بلا دليل
فالعامى هنا وثق فى صدق الرسالة ، وإيمانه وتصديقه بالرسالة هو الدليل الذى جعله يقبل الدين كله بعد ذلك
ولهذا فإيمان العوام هو أفضل أنواع الإيمان لأنه إيمان لا تشوبه شائبة
وقد ورد فى الأثر قول بعض العلماء
(للهم أمتنى على عقيدة العجائز )
حيث أن العجائز والعوام يأخذون الأمر فى الدين بالتسليم المطلق
ومن هنا..
فلا يقال أن العوام أخذوا الدين بلا دليل ، لأنهم استدلوا بايمانهم بوجود الله وتسليمهم برسله ومن ثم جاء الإقرار
وليس مطلوبا من العوام ولا حتى العلماء أن يناقشوا المسائل العقدية وأن يؤمنوا بها فلسفيا أو عقليا بل هو أمر منهى عنه

## السؤال الرابع والخمسين ..حول رأفت الهجان

*كم عدد الناس الذين يعلمون ان هذه العمليات التي قامت بها المخابرات المصرية هي حقيقة واقعة و ليست من شطحات فكر الروائي صالح مرسي؟*

الجواب :

مشكلتنا الحقيقية أننا لا زلنا نصدر الأحكام إما بعاطفة وإما بعدم خبرة ,
والسبب في ذلك عملية التجريف الثقافي التي قادتها الأنظمة السياسية في العالم العربي ونتج عنها أنها استبدلت أهل الخبرة بأهل الثقة فتمركز في منابع تربية الوعى جملة من الكتاب والصحفيين لا يصلحون حتى للعمل كحراس أمام الصحف!
وهم الذين جعلوا من توزيع الصحف القومية مهزلة حقيقية حيث عزف عنها الناس عزوفا تاما بعد أن أصبحت نشرات للأحزاب الحاكمة ,
واستبدلوا بها الصحف المعارضة والمستقلة التي تقوم عليها مواهب شابة حقيقية ,
إلا أن الداء المستعصي سواء في الكتاب الموهوبين أو غيرهم هو أن بعضهم يلجأ إلى الدخول في مجالات لها أهلها ويدلى بدلوه دونما خبرة أو معرفة ودون أن يكلف نفسه عناء البحث ,
ولست أدرى ما السبب لذلك هل هو الكسل أم رغبة الشهرة ,
ولك الحق فى أن النعى على هذه الظاهرة الغريبة

القصد ,
المفروض أن كل قارئ لصالح مرسي في رواياته عن المخابرات يعلم تمام العلم أنها مبنية تماما على وقائع حقيقية قامت بها المخابرات المصرية لسبب بسيط
أن كل رواية من هذا النوع تجدين على غلافها عبارة) ( من ملفات المخابرات العامة )
فهذه العبارة تعنى أن ملف هذه العمليات تم التصريح به للكاتب ,
وليس في هذا سر أو بدعة بل هو استراتيجية معترف بها في العالم كله حيث تصرح أجهزة المخابرات ببعض عملياتها للنشر وتعطى الحق في ذلك لبعض الكتاب الكبار المحترفين وذوى الأهلية لتقديمها إلى القراء ,
وملفات المخابرات الإنجليزية والأمريكية في الحرب العالمية الثانية تم نشرها وتقديمها حتى للسينما ,

فكل قصة تصدر في مصدر وعليها هذه العبارة ـ وهى محدودة طبعا ـ تعنى أن القصة ليست من
خيال الكاتب بل هى من ملف العملية المقصودة حتما وإلا تعرض الكاتب للمحاكمة العاجلة ,
والمخابرات المصرية صرحت لعدد محدود من الكتاب ببعض تلك العمليات وأشهرهم صالح مرسي ، نبيل فاروق ، ماهر عبد الحميد
وإذا كانت العملية أو القصة هى من بنات أفكار الكاتب فعندئذ لا يستطيع كتابة هذه العبارة عن قصته ، وقد كتب صالح مرسي رواية خيالية اسمها ( الصعود إلى الهاوية ) ولم تكن العبارة موجودة بها ,
هذا فضلا على أن الروايات التي نشرها ولها أساس واقعى كتب الرجل في مقدمتها ما يشي بذلك وهى روايات رأفت الهجان التي تعالج قصة رفعت الجمال ورواية دموع في عيون وقحة التي تعالج قصة أحمد الهوان (جمعة الشوان )
وقصة (سامية فهمى ) التي تعالج قصة الصحفية ليلي عبد السلام وقصة الحفار التي تعالج عملية الحج التي نفذها محمد نسيم في نهاية الستينات ,
ومن هؤلاء الكتاب أيضا الكاتب الشهير د. نبيل فاروق والذي لا يعرفه الكثيرون أن الرجل له ماض مع المخابرات العامة حيث تم استخدامه في عملية خداع للمخابرات الإسرائيلية في لندن, وردت المخابرات له الجميل بإعطائه حق نشر بعض العمليات التي أشار صراحة إلى أنها عمليات ذات أصل في ملفات المخابرات العامة وهى منشورة جميعا في مقالاته الشهيرة في مجلة ( الشباب ) الصادرة عن مؤسسة الأهرام ، وتم نشر تلك العمليات مجمعة فى كتاب مستقل كما سمحت له بعملية أخرى تم نشرها في سلسلة الأعداد الخاصة بعنوان) (سري للغاية)

وكما قلنا إذا تهور كاتب فوضع عبارة (من ملفات المخابرات العامة )ون أساس فسيتعرض للمحاكمة حتما وهو ما كاد أن يحدث بالفعل لنبيل فاروق عندما نشر إحدى القصص في مجلة الشباب وظن المحرر الذى يصمم صفحته أنها عملية لها أساس كما هى عادة نبيل فاروق في المجلة ,
فوضع العبارة دون استئذان نبيل فاروق الذى فوجئ باستدعاء المخابرات العامة له وتم نشر تنويه وتصحيح الخطأ ,
وهذا ما يحدث أيضا في حالة أية معلومات لها طابع عسكري ، حتى لو كانت منشورة ومعروفة ، وذلك للحفاظ على مصداقية رفع الروح المعنوية,

*تعقيب ..*

*بداية قبل أن ندخل الى رأفت الهجان / رفعت الجمال لا بد من أن أطلب منك - و أنت أدرى- توطئة عن المخابرات المصرية و الوضع السياسى و التاريخى فى تلك الآونة*
*بسم الله نبدأ*

الجواب :
هذه الفصول كتبتها قبل عدة أعوام كبداية فى دراسة متعمقة عن جهاز المخابرات المصري وتاريخه وهى تصلح لإلقاء الضوء على بداية الجهاز وتكوينه وعملياته

## حالة ولادة عسيرة..

بهذه العبارة البسيطة يمكن إيجاز الظروف التى واكبت فكرة وتأسيس جهاز المخابرات المصري عقب قيام ثورة يوليو والتى تعد مسألة تأسيس المخابرات المصرية من أوجه الحسنات التى لا جدال فيها لنظام الرئيس عبد الناصر ..
بدأت الفكرة والحاجة الملحة لوجود جهاز مخابرات للبلاد عقب تفهم ضباط الثورة بحكم خبراتهم
العسكرية لما تؤديه تلك الأجهزة من مهام قد تقلب موازين حروب كبري وتغير من مصير أمة بأكملها ..
وهو الأمر الذى اتضح بجلاء فى الحرب العالمية الثانية على يد عدد من العمليات التى خاضتها المخابرات
البريطانية ضد المخابرات الألمانية وغيرت بها مسار الحرب نهائيا بعد أن أدولف هتلر قد اكتسح سائر أوربا ولم يتبق له إلا الأسد البريطانى المتهالك من ضربات قنابل الألمان فوق جزيرتهم
فاستعادت المخابرات البريطانية توازنها وخبرتها وكان تشرشل رئيس وزراء الحرب يعرف جيدا ما الذى يمكنه عمله عن طريق مخابراته فنجحت المخابرات البريطانية فى القيام بعدة عمليات لا زالت مسجلة باسمها باعتبارها من أقوى عمليات التخابر فى التاريخ تأثيرا على الأحداث ..
حيث تمكن رجل المخابرات البريطانى آيان فيلمنج ـ وهو نفسه مؤلف ومبتكر شخصية جيمس بوند فيما بعد ـ من تكوين فرقة انتحارية يكون هدفها العمليات المستحيلة فى مسار الحرب وانجاز بعض من الأعمال التى تؤدى الى انفلات الثقة الألمانية بجيشها ونجح بالفعل عن طريق فرقته فى الهجوم الخاطف على عدد من مقرات الجيش

الألمانى بأوربا بأساليب عسكرية غير معروفة وغير مطروقة إضافة إلى تكوينه لما سماهبالإذاعة الألمانية وهى إذاعة موجهة للشعب الألمانى أخذت فى بث روح الحماسة والتأييد للجيش الألمانى على نحو أعطاها ثقة الشعب والجيش بل وهتلر نفسه التى ظنها إذاعة صنعها وقام ببثها شباب أوربا المحب والمبهور بهتلر

وكانت الإذاعة تكيل السخرية والسب لبريطانيا لتكتسب المزيد من الثقة واستمرت فترة على هذا النحو ثم بدأت شيئا فشيئا فى دس السم فى العسل فبدأت تورد أخبارا من شأنها ضرب الروح المعنوية للألمان وإفقادهم الثقة فى قادتهم فبثت الإذاعة أخبار هوس الجنرالات الألمان بالغنائم الحربية فى أوربا وإسرافهم الشديد وميلهم للحفلات الماجنة إلى غير ذلك من الأمور التى كانت تثير صغار الضباط والجنود والشعب أيضا

كما تمكنت المخابرات البريطانية من حسم أهم المعارك التى تحول بسببها مجرى الحرب عندما تأهبت قوات الحلفاء للنزول على إحدى الجزيرتين " كورسيكا أو سردينيا " بالبحر المتوسط وكان الألمان يوزعون قواتهم على الجزيرتين ولا يعرفون فى أيهما ستكون الضربة فقامت المخابرات البريطانية بأخذ جثة شاب بريطانى توفي غرقا منذ أيام قليلة وألبسوها حلة عسكرية لضابط جو وأتقنوا الخدعة إلى أقصي حد عندما أدخلوا إلى جيب الحلة العسكرية خطابا عسكريا مختوما يحمل توجهات تخالف النية التى عقدها الحلفاء

وقاموا بدفع الجثة إلى الشواطئ الأسبانية إمعانا فى الخداع ليظهر الأمر وكأن الضابط قد مات غرقا عندما فشلت عملية إنزاله فى البحر ليؤدى مهمته بإبلاغ الوثيقة للقوات البريطانية المتأهبة للقتال ولأن أسبانيا كان هواها مع هتلر فقد منحت الجثة للألمان وابتلع الألمان الطعم وحشدوا قواتهم فى إحدىالجزيرتين ليأتيهم الهجوم صاعقا من الجزيرة الأخرى وتكبد الألمان فيها خسائر مهولة لأول مرة منذ بدء معارك الحرب

أما أخطر ما قامت به المخابرات البريطانية على الإطلاق فهى قيامها بخداع حليفتها الصدوق الولايات المتحدة الأمريكية لدفعها لتعلن الحرب على ألمانيا

وكانت القصة قد بدأت عندما بذل تشرشل جهودا خرافية لإقناع روزفلت الرئيس الأميركى بدخول الحرب مع الحلفاء وعدم الإكتفاء بالتمويل وهو الأمر الذى كان يرفضه روزفلت ويرفضه الشعب الأمريكى الذى لم ير فى نفسه حاجة إلى أن يدخل حربا ضروسا ليس له فيها مصلحة تقتضي التضحية بالجيش أمام القوةالألمانية واليابانية

ولم يجد تشرشل أى وسيلة لإقناع روزفلت بدخول الحرب والذى تشبث بأن الشعب لن يرضي الدخول فى حرب تبعد عنه آلاف الأميال لمجرد مناصرة أصدقائهم بأوربا

ففكر تشرشل فى أن الرئيس والشعب الأمريكى لن يدخل الحرب إلا إذا نالهم من نارها ضرر مباشر

وأعطى تعلمياته لجهاز المخابرات البريطانى بتدبر الأمر ,

وبالفعل تمكن البريطانيون من زرع معلومة خاطئة وتسريبها للمخابرات اليابانية عن نية الأسطول الأمريكىالقيام بضربة وشيكة ضد القوات اليابانية فى المحيط الهادى وبمنتهى الحماقة وخفة العقل ابتلع اليابانيون المعلومة واقتنعوا بها ليقرر القادة اليابانيون القيام بضربة إجهاض بسلاح الجو اليابانى ضد الأسطول الأمريكى القابع فى المحيط الهادى

وقامت الطيران اليابانى بالفعل بمهاجمة الأسطول الأمريكى فى بيرل هابر ودمره عن آخره فى دقائق معدودة

ولم يستطع الأسطول الدفاع عن نفسه مع الهجمة المفاجئة بأى مقياس عسكري إضافة إلى براعة اليابانيين

المعروفة فى أسلوب عملهم بالطيران حيث أن فرق الكاميكاز كانت يقوم طياروها بالهجوم بجسم الطائرة

نفسه على الهدف لينفجر به إذا استعصي عليه ضربه بالقذائف

وكانت خسائر الولايات المتحدة فوق تصورهم واهتز الرأى العام الأمريكى للحادثة ولم يكن صعبا أن

تدخل الولايات المتحدة الحرب بكل قوة بعد أن أصبح لها فى قلب الحرب معارك وضحايا!

وبالطبع بقي دور بريطانيا سرا مغلقا لمدة تزيد عن خمسين عاما حتى تم كشف الوثيقة بمضي مدة سريتها

ليثير الإعلان عن العملية ضجة عالمية كبري

والمخابرات السوفيتية أيضا فى معاركها مع الألمان واليابانيين

لم يحسمها بحق إلا جهاز المخابرات السوفياتى عن طريق ثانى أشهر وأقوى الجواسيس فى تاريخ المخابرات وهو الملقب بالأستاذ ..

ريتشارد سورج ألمانى الجنسية خان وطنه عن اقتناع بالمذهب الشيوعى فجندته المخابرات السوفيتية لحسابهاوعمل فترة بألمانيا قبل أن ينقل نشاطه وشبكته إلى الصين ثم إلى اليابان مزودا السوفيات بكنوز من المعلومات التى دفعتهم إلى تدارك موقفهم المؤسف على جميع الجبهات مع ضربات الألمانيين واليابانيين وكان مسك الختام هو آخر ما بعث به ريتشارد سورج لقادته فى المخابرات السوفياتية يؤكد لهم بما لا يدع مجالا لأى شك أن هناك اضطرابات فى الجيش اليابانى تمنع منعا مطلقا فتح جبهة له أمام الأراضي السوفياتية ليقوم السوفيات بناء على تلك المعلومة البالغة الخطورة بنقل أكثر من نصف مليون جندى على الجبهة اليابانية الى الجبهة الألمانية فى مواجهة هتلر الذى توقف على بعد خمسين كيلومترا من موسكو وقام الجيش السوفياتى بالهجوم المضاد فى ظل جو قارس بالغ البرودة تجمدت له أطراف أصابع الجنود الألمان لتفشل

حملة هتلر ضد السوفيات بفضل براعة جاسوسهم ريتشارد سورج الذى كشفته المخابرات اليابانية بعد ذلك وتم إعدامه,كذلك تعتبر عملية (كيم فيلبي) درة التاج في عمليات المخابرات السوفياتية التي قهرت بها سمعة جهاز المخابرات البريطانى عندما تمكنت من تجنيد كيم فيلبي وهو نائب رئيس جهاز المخابرات البريطانى نفسه والرجل الذى كان على وشك أن يكون رئيس الجهاز, وعندما تم اكتشاف أمره وحامت الشبهات حوله فر هاربا إلى روسيا هو ومساعدي ( برجس ) و(ماكلين ) لتصبح فضيحة كبري للمخابرات البريطانية العريقة وبالإضافة إلى أدوار المخابرات فى الحرب العالمية الثانية ظهر جليا لقادة الثورة المصرية مدى ما فعله جهاز المخابرات الإسرائيلي ليساعد على قيام الدولة وهو أول جهاز من نوعه يتم تكوينه قبل أن تتكون دولته حتى أنه من المعروف بين مؤرخى المخابرات أن الدول تنشئ المخابرات وإسرائيل أنشأها جهاز المخابرات ..

وفى بداية الخمسينيات وبالتحديد بعد اكتشاف فضيحة لافون التى تبين أنها عملية أفشلتها المباحث المصرية وكانت وراءها شبكة يهودية يشرف عليها أبراهام دار ضابط الموساد الشهير لتلغيم وتفجير عدد من المصالح الأمريكيةفى مصر لكى يضع الإسرائيليون مأزقا لا يتم تجاوزه أمام تطور العلاقات المصرية الأمريكية

وكانت عملية لافون وما احتوته من مفاجآت دافعا رهيبا لسرعة تأسيس جهازالمخابرات لمواجهة تلك الحروب التى تتم خلف الستار ويكون لها أخطر الأثرعلى الأمن القومى

وقرر جمال عبد الناصر فى بداية عام ١٩٥٣ م إسناد مهمة الجهاز إلى رفيقه زكريا محيي الدين والذى جمع عددا من أبرع وأخلص رجال الجيش المصري فى ذلك الوقت وارتدوا الزى المدنى استعدادا للحفر فى الصخر والبحث من ثقب إبرة عن كيفية تأسيس الجهاز على أسس صحيحة فى ظل عالم يستهدف بلادهم ويتميز عنهم بخبرة فائقة لها أكبر الأثر فى هذا المجال الحساس

والأنكى من ذلك أن القاهرة تحولت فى ذلك الوقت وما قبله منذ عام ١٩٤٧ م لمرتع جواسيس بلا ضابط حيث توافر فيها ضباط ورجال المخابرات من إسرائيل وبريطانيا وألمانيا وفرنسا يؤدون مصالح أوطانهم دونما توتر أو قلق .. فلم يكن هناك ثمة جهاز أمنى يتصدى لتلك العمليات إلا المخابرات الحربية

وهى بطبيعتها قاصرة وغير مختصة بأساليب التخابر العلمية..

وكانت البداية عندما تقدم أحد الأشخاص - كما يرويها الأستاذ محمود صلاح الصحفي المصري - وقام

بعرض شراء أحد المستشفيات النفسية التى هجرها صاحبها دونما عودة ..

وكان المبنى أشبه بفيلا فى منطقة سكنية تحيطها أرض فضاء تم التعاقد على شرائها

أيضا لتصبح أحدالمقرات السرية لجهاز المخابرات الوليد وتمت تغطية العمل الحقيقي للمبنى بستار سري تحت مسمىإدارة تابعة للحكومة تحمل اسم "إدارة البحوث و الإنشاء" كما تم اتخاذ مقر المدرسة العسكرية بضاحية مصر الجديدة كمقر آخر للجهاز

و بدأ رجاله فى التوافد على نحو لا يلفت النظر ليبدأ الجيل الأول من مؤسسي الجهاز فى قراءة مراجع علمالمخابرات ودراسة بعض العمليات التى تم نشرها وتم استقطاب تلك المراجع على وجه السرعة منأوربا وغيرها بالإضافة إلى التماس أساليب جهاز القلم السياسي الذى كان دوره فاعلا قبل الثورة .. وكان الرعيل الأول من مؤسسي الجهاز عشرة أشخاص منهم زكريا محيي الدين الذى كان أول رئيس للجهاز

وهؤلاء القادة هم:

كمال رفعت

تولى في جهاز المخابرات شئون الانجليز، حيث لم يكن الاحتلال الانجليزي قد غادر منطقة قناة السويس، ولهذا تأسست شعبة في جهاز المخابرات باسم شئون الانجليز، يكون هدفها الأساسي هو تحديد الوسائل التي تجبر الانجليز على الخروج من مصر..

مصطفى المستكاوي

وقد تولى الدور الاعلامي في المخابرات العامة، وتولى رئاسة تحرير صحيفة المساء فيما بعد

سعد عفرة

فكان نموذجا حيا للقراءة والاطلاع والسعي بحيث أصبح أحد جوانب المرجعية فى هذا العمل

فريد طولان

فتمرس على جمع المعلومات من جميع المصادر، والعمل داخل مصر، بصورة فنية دقيقة، وباتقان في تتبع ما يهم عمل المخابرات من دراسات مهمة في الشأن الداخلي، وفعل ذلك لخدمة العمل السري للمخابرات، وأيضا العمل العلني، وذلك بلا خلط بين الاثنين.

أحمد كفافي

فكان ضابط سلاح الفرسان، ومتخصصا في مجال الاقتصاد، حيث تخصص في شئون الاقتصاد اللازمة لصالح عمل المخابرات

محمود عبدالناصر

الذي كان مع كمال رفعت في مواجهة القوات البريطانية في القناة،

عبدالقادر حاتم

الذي تولى الاعلام وحمل على عاتقه مهمة توضيح أهداف الثورة داخليا وخارجيا.. وهو الذى تولى رياسة الوزارة فى مصر فيما بعد وحاليا يعمل كعضو فى المجلس لقومى المصري لحقوق الإنسان

محيي الدين أبوالعز
الذي تولى مهمة الرقابة على الوزارات، وكانت هذه المهمة هي النواة الحقيقية لجهاز الرقابة الادارية.
فتحي الديب
فرع الشئون العربية في الجهاز،تكون مهمته ربط الوطن العربي بكل ساحاته بالقاهرة، تمهيدا لممارسة مصر دورها الايجابي في تحرير باقي الأجزاء المحتلة من الوطن العربي وهو أيضا الذى تولى إنشاء إذاعة ( صوت العرب )

وفيما بعد بمرحلة أو اثنين انضم لهؤلاء الزمرة المنتقاة كل من..

*عبد المحسن فائق وهو الذى يمكن أن نقول عنه أنه ولد كرجل مخابرات بالفطرة كان أحد النوابغ الذين أضافوا لهذا العلم وسطروا تاريخهم بحروف من نور وأول عملياته كانت عملية انتقاء رفعت الجمال " رأفت الهجان " وزرعه داخل اسرائيل ليصبح بعد ذلك أول وأشهر العملاء فى تاريخ المخابرات حتى اليوم حيث أنه العميل الوحيد الذى ظل يعمل حتى اعتزاله ثم وفاته دون أن ينكشف أمره أو أمر شبكته وهو ما لم يحدث مطلقا من قبل
*محمد نسيم أشهر رجال المخابرات العامة فى تاريخها وبطل العديد من العمليات الناجحة وهو الذى تولى إعادة تأهيل وتدريب رفعت الجمال ليصبح مستواه متقدما حتى بلغ مستوى ضابط حالة ..كما كان قائد عملية الحفار وكذلك عملية إنقاذ عبد الحميد السراج
وانضم فى نفس الفترة يضا كل من شعرواى جمعه الذى تولى رياسة الخدمة السرية بالجهاز ثم تولى وزارة الداخلية بعد ذلك وأيضا انضم طلعت خيري ثم أمين هويدى الذى تولى رياسة الجهاز بعد النكسة وصلاح نصر الذى تولاه لمدة عشر سنوات انتهت عام ١٩٦٧ ويعتبر صاحب أفضل انجازات الجهاز بالرغم من انحرافاته التى حوكم عليها فيما بعد
وعلى صبري الذى تولى رياسة الجهاز خلفا لزكريا محيي الدين ثم سلم القيادة لصلاح نصر بعد ذلك

وكان مهام هذا التشكيل العملاق عملاقة هى أيضا حيث تلخصت فيما يلي:
أولا .. تغيير جميع الشفرات التى تستخدمها مصر فى ذلك الوقت.
ثانيا .. إنشاء جميع مكاتب المخابرات المصرية فى أوروبا..
ثالثا .. فحص وانتقاء متدربين كنواة لجيل تالى فى رجال المخابرات مع العمل على انتقاء العملاء والمتعاونين من خارج الجهاز
هذا بخلاف تولي مهام أي جهاز مخابرات محترف ، في ظل ظروف حساسة ، و تهديدات عظمى.
والعمل المتسارع لزرع أكبر وأكفأ عدد من العملاء فى البلاد المطلوبة وعلى رأسها إسرائيل

وكانت المهام ثقال والوقت أشد ضيقا أمام انجاز أى عمل وسط أعداء بلغوا القمة فى الخبرة بهذا المجال الذى لا يزال رجال المخابرات المصرية على عتباته وليس معهم الوقت الكاف لمجرد الدراسة والبحث
فكيف تمت وكيف تفوقت المخابرات المصرية وسط تلك الظروف .. عندما صدر قرار إنشائها رسميا بصدور القانون رقم ٣٢٣ لسنة ٥٥ والصادر يوم ٢٦ يونيو ١٩٥٥م,

## البداية .. عملاقة

كما أسلفنا ..
كانت هناك حالة ولادة عسيرة للغاية بدأت بها محاولات إنشاء جهاز المخابرات المصري فى وسط أعمال تنتظره تعد هى أول باب ظلم تم فتحه أمام الجهاز الوليد. ..
فمصر فى تلك الفترة كانت محط رجال المخابرات من شتى الأجهزة التى تنتمى للمخابرات الغربية والشرقية المعنية بالشرق الأوسط وكلها أجهزة خاضت غمار العمليات السرية على نحو جعلها أمام المخابرات المصرية أشبه بغول يتراقص أمام قط أليف

لكن وبالرغم من أن كل المقدمات تشي بنتائج غير مطمئنة إلا أن المخابرات المصرية نجحت فى صنع أول بطولاتها من خلال عدد من العمليات الناجحة كان من المستحيل تبعا للمنطق أن تكون فيها الغلبة لهذا الجهاز الوليد..
غير أن التفسير المنطقي لهذا تبعا لما حققه مؤرخو المخابرات الغربيون تحديدا من أمثال المؤرخ السياسى ( راكواف كاروز) صاحب موسوعة " تاريخ المخابرات العربية"
والسبب كان راجعا إلا أن المخابرات المصرية تستعين على قلة الإمكانيات ببراعة الرجال وحسن تدريبهم ومواهبهم الفطرية التى تمكنت من التغلب على الخبرة ..

ولتقريب الصورة أكثر ..
فمجال المخابرات تشكل الخبرة فيها عاملا مهما دون شك لكن العامل الرئيسي للتفوق يكون للمهارة والبراعة وحسن التدريب .. مثال ذلك مجال الكمبيوتر والإنترنت فالخبرة لا تشكل عامل تفوقه الرئيسي بينما الموهبة والقدرات الشخصية هى المعيار الحقيقي فيه ولذلك نشاهد العديد من نوابغ إختراق الشبكات والتعامل التقنى بالغ الرقي مع الكمبيوتر وهم بعد أحداثا أو شبابا صغار السن

وكان نزول المخابرات المصرية للساحة عقب عملية " سوزانا " التى عرفت فيما بعد باسم

فضيحة لافون واكتشفتها المباحث المصرية وكانت عاملا من أهم العوامل فى سرعة إنجاز مشروع جهاز المخابرات بعد أن ظهر للعيان مدى ما يمكن أن تحققه عمليات المخابرات من تهديد للأمن القومى تعجز عنه الحملات العسكرية ..
وفى فترة زمنية قصيرة بدأت عام ١٩٥٦ تمكن جهاز المخابرات المصري من إحباط عملية مؤثرة للمخابرات الأمريكية(cia)
معروفة باسم أحد الدبلوماسيين الأمريكيين وهى عملية " بروس تايلور أوديل " وهى العملية المؤسفة التي اكتشفت فيها المخابرات المصرية أن الصحفي الشهير مصطفي أمين مؤسس دار أخبار اليوم جاسوسا أمريكيا منذ الأربعينات!
وقد حوكم وتم الإفراج عنه إفراجا صحيا في عام ١٩٧٤ م ضمن دفعة من الجواسيس الأمريكيين والإسرائيليين الذين تم الإفراج عنهم بناء على مفاوضات السادات مع هنرى كيسنجر مستشار الأمن القومى الأمريكى وقتها ,
والغريب أن مصطفي أمين ادعى بعد ذلك أنه برئ وأن التهمة ملفقة رغم الإعترافات والتسجيلات ورغم صفقة الإفراج الصريحة إلا أن هذا لم يجد شيئا بعد أن نشرت المخابرات الأمريكية مؤخرا كتابها الشهير عن عمليات الشرق الأوسط التي تم التصريح بكشفها وخصصت فصلا كاملا لنقد رجل المخابرات الأمريكية بروس تايلور أوديل باعتباره أنه استهتر بأمن العميل الفذ مصطفي أمين مما تسبب في كشفهما معا

كما قامت بعمليات ذات دوى هائل ضد المخابرات الإسرائيلية وأشهرها عملية العميل الألمانى " لوتز " الذى كلفته المخابرات الإسرائيلية بالعمل على إرهاب العلماء لألمان الذين استعانت بهم مصر فى تقدمها الحربي علميا .. ومثال تلك العمليات تم تدريسه فى معهد المخابرات الدولى وكان نجوم العمليات من الرعيل الأول من منشئي جهاز المخابرات المصري
وكررت إسرائيل عملية لوتز مرة أخرى وحاولت إرهاب العملاء الألمان من الخارج عن طريق إرسال الشحنات الناسفة إلى مكتب بريد المعادى حيث يتجمع العلماء الألمان وكشفت المخابرات المصرية مصدر الرسائل بألمانيا ونجحت فى التصدى للمؤامرة كلها
كما تمكن عبد المحسن فائق من إتمام أول عملية زرع ناجحة لعميل مصري فى قلب المجتمع الإسرائيلي وهو رفعت الجمال الشهير باسم " رأفت الهجان " وهى العملية التى امتدت بنجاح كامل من عام ١٩٥٦ م حتى انتهت رسميا باعتزال رفعت الجمال عام ١٩٧٣ م بعد أن أدى واجبه فى حرب أكتوبر..

وتم تسجيل إسمه فى السجل الذهبي للمخابرات عقب إعلان عمليته إعلاميا باعتبار شبكته هى الشبكة الوحيدة فى العالم حتى الآن التى نجحت نجاحا مطلقا ولم يتم كشفها نهائيا بالرغم من أن النجاح المطلق لا وجود له فى علم زرع العملاء واعترفت إسرائيل مرغمة بهذه العملية عقب إنكارها لبعض الوقت بعد أن ردت المخابرات المصرية بإعلان ملف العملية كله بأسمائه

الحقيقية وبعنوان شركة سي تورز التى أسسها الجمال فى تل أبيت باسم جاك بيتون وكذلك صور الجمال مع أرفع شخصيات إسرائيل موشي ديان وجولدا مائير وإدناه مارش وغيرهم

كما تمكنت المخابرات المصرية من إحباط عدد كبير من محاولات الإغتيال للرئيس عبد الناصر أشهرها عملية " جروبي " بالإضافة إلى كشفها لعميل الموساد المميز الهولندى موريس جود الذى تم تكليفه باختراق القوات المسلحة المصرية ..
كما كان للجهاز الفضل الأول فى إحباط عدد من المؤامرات السياسية التى استهدفت سياسة المد العربي التى التزمها الرئيس عبد الناصر وتمثل دور الجهاز فى حمايته من محاولات الإغتيال التى جاءت من دول صديقة وأنظمة حليفة فضلا على قيام محمد نسيم بإنقاذ واحد من أخلص أصدقاء مصر وهو المناضل السورى عبد الحميد السراج الذى تعرض للإعتقال فى سجن المزة عقب قيام الإنقلاب العسكري الذى أطاح بالوحدة المصرية السورية وكان للسراج العديد من الخصوم داخل وخارج سوريا وعندما تمكن من الهرب بمعاونة رجاله لم يستطع تجاوز الحدود وخفت العديد من الأجهزة الأمنية خلفه فسافر محمد نسيم إلى لبنان وتابع خطة تهريبه حتى عاد به سالما إلى مصر

كما أحبطت المخابرات المصرية مؤامرة عملاقة للموساد عندما حاولت إغتيال عبد اللطيف البغدادى وكمال الدين حسين عضوى مجلس قيادة الثورة أثناء تفاقم خلافاتهما مع عبد الناصر بحيث يبدو الإغتيال كما لو كان عملية مدبرة من عبد الناصر للخلاص من زميليه وهو الأمر الذى كان سيهز النظام بأكمله مع حسن التدبير الإعلامى الذى تميزت به المخابرات الإسرائيلية فى أكثر عملياتها ضد الجانب المصري
كما أخذت المخابرات المصرية على عاتقها مهمتين بالغتى الخطورة فى السياسة المصرية عندما تم تكليف الجهاز بتنفيذ مراقبة حرب اليمن ومراقبة النشاط البريطانى بها بالإضافة للمهمة الحساسة التى قامت بها عندما اختصت وحدها بمسألة دعم الثورة الجزائرية بشحنات السلاح وتهريبها تحت أنف الأسد الفرنسي
هذا بالإضافة للدور الإقتصادى التى قامت به المخابرات المصرية أثناء أزمة القمح التى عصفت بالسوق المصري فى فترة نهاية الخمسينيات وبداية الستينيات والتى تسبب فيها مصطفي أمين الذى نقل للمخابرات الأمريكية تدنى إحتياطات القمح واعتماد مصر على استيراد القمح الأمريكى فاستخدمته الولايات المتحدة كوسيلة ضغط

هذا ملخص بسيط لفترة العشر سنوات التى واكبت بداية الجهاز وحمل مسئوليتها الرعيل الأول والذى تخلف بعضه عن الركب بالإنتقال لمناصب أخرى واستمر الباقون فى مناصبهم وتميز فى تلك الفترة تحديدا كل من عبد المحسن فائق وشعراوى جمعة ومحمد نسيم وصلاح نصر الذى تولى تأسيس الجهاز من جديد وتطوير أجهزته عقب الإنشاء الأول وإليه يرجع الفضل فى

الهيكلة الإدارية والنظامية التى اعتمد عليها الجهاز بعد ذلك .. كما تم فى عهده إنشاء مكاتب الجهاز فى أوربا وتنسيق السبل التعاون مع الدول الصديقة

ولا نغفل أيضا أنه فى وسط الإنشغال بالمهام الجسيمة الملقاة على عاتقه ومنها مهام لا ضرورة لتوليها بمعنى وجود أجهزة بديلة فتم التقصير فى مهام من صلب مهامه يعد أخطرها حماية العلماء المصريين بالخارج المتخصصين فى الطاقة النووية والفكر وهم الزمرة التى قصدت البلاد الغربية لمواصلة أبحاثها فكان نصيبها الإغتيال على يد أجهزة الأمن الإسرائيلية والأمريكية فى غيبة من أجهزة الأمن المصرية ومن هؤلاء العلماء الأستاذة الدكتورة سميرة موسي التى تم اغتيالها فى الولايات المتحدة الأمريكية وسبقها عام ١٩٥٠ م أستاذها الدكتور مصطفي مشرفة وهو كما هو ملاحظ تم اغتياله قبل الثورة فيمكننا إخراجه من مسئولية الأمن المصري
وبعد سميرة موسي التى اغتيلت عقب إعلانها العودة إلى مصر لمواصلة البحوث ودعم الأمن القومى المصري تواصلت الجهود المعادية فاغتالت أيديهم الدكتور سمير نجيب الذى صنفته جامعة " ديترويت " الأمريكية العالم الأنبغ فى اختبارها السنوى من بين مائة عالم أمريكى وبمجرد أن ختم أبحاثه وطلبته الجامعة للاستمرار فيها فرفض و تم اغتياله عن طريق حادثة سير مدبرة
وتبعتهم أيضا الدكتورة سلوى حبيب التى تم اغتيالها بطريقة بشعة فى قلب منزلها بالقاهرة عقب إعلانها عن بحثها الشهير " التغلغل الصهيونى فى إفريقيا " وهو الأمر الذى كان ينبه على خطوات إسرائيل الجادة فى إفريقيا وهى المحاولات التى تمت بالفعل وتمكنت إسرائيل من توطيد العلاقات بينها وبين الدول الإفريقية بما يخدم مصالحها .. فتم اغتيال الدكتورة سلوى حبيب ذبحا فى منزلها بشكل غامض
واستمر التقصير الأمنى مع الأسف الشديد تجاه قضية اغتيال العلماء المصريين حتى بعد تلك الفترة التى يمكن التماس العذر فيها بعدم الإنتباه لهذا الأمر وسط خضم الصراعات ..
فلم يكن هناك دور للمخابرات المصرية فى حماية الدكتور يحيي المشد الأب الروحى للمشروع النووى العراقي فى السبعينيات والذى اغتاله الموساد فى باريس بغرفة فندقه وهو فى رحلة علمية وكان مقيما بالعراق ساعتها وغفل عنه جهاز الأمن العراقي وكذلك الأمن المصري
وتم اغتيال الدكتور نبيل القلينى أحد المتفردين فى علم الذرة والذى أتم أبحاثه فى التشيك ثم تلقي مكالمة غامضة بشقته فى براغ واختفي بعدها تماما فى أحد أيام عام ١٩٧٥ م
وتتابعت القائمة كذلك باغتيال العالم الفذ الأستاذ الدكتور سعيد السيد بدير الذى احتل بأبحاثه المركز الثالث عشر على مستوى العالم عقب رفضه أيضا للعروض الأمريكية ونيته فى العودة لبلاده فتم اغتياله عام ١٩٨٨ م..
وانضم إليهم المفكر المصري العملاق جمال حمدان صاحب الدراسة الخرافية عن مصر التى تم نشرها بعنوان " شخصية مصر " وهى دراسة فى عبقرية المكان الجغرافي وعلاقته بالتاريخ

الذى حكم مصر فقتل بشقته فى حريق غامض فى بداية التسعينيات
وكان آخر المغتالين العالم المصري الشاب الدكتور أحمد الجمال الذى تم اغتياله فى النصف الثانى من التسعينيات بالعاصمة البريطانية لندن
وهذا الجانب .. جانب الحماية الأمنية للتقدم العلمى والعلماء المصريين بالخارج لا يزال جانبا غامضا فى مسألة عدم تدخل الأمن القومى المصري لحمايتهم مع الوضع فى الحسبان أن هناك مهمات حماية تمت بالفعل لبعض العلماء والمفكرين المصريين وإن كان لم يعلن عنها بصفة رسمية..
ومن بين العلماء البارزين الذين أمنتهم المخابرات المصرية الدكتور عبد الوهاب المسيري صاحب موسوعة ( اليهود والصهيونية واليهودية )
كما أنه ترددت بعض الأنباء عن عملية إسرائيلية أحبطتها المخابرات المصرية وكانت تستهدف عملية إطلاق القمر الصناعى المصري الأول " نيل سات ـ ١٠١ "
فجرى تأمينه فى سائر مراحله سواء بفرنسا حيث تم التصنيع أو بأمريكا الجنوبية حيث تم الإطلاق

وعودة إلى الترتيب الزمنى لتاريخ المخابرات المصري فقد أظهرنا المهمات التى تولتها فى العشرة أعوام الأولى لإنشائها وكانت فترة ذهبية تمكن فيها اللواء صلاح نصر من بناء الجهاز على أساس علمى متقدم

أما أبرز إنجازات المخابرات المصرية على الإطلاق وهو الإنجاز الذى وضعها فى زمرة أرقي أجهزة المخابرات فهو نجاحها فى عملية الخداع والتمويه الناجحة لحرب أكتوبر وتمكنت من إحكام قبضتها على الإستعدادات العسكرية بخطة طويلة المدى رغم الإمكانيات الهائلة التى يتمتع بها جهاز المخابرات الإسرئيلية والأمريكية والأقمار الصناعية التى ترقب كل شاردة وواردة ,
ومع ذلك وقع كلاهما فى الفخ وكان آخر تقرير بعثت به الموساد لجولدا مائير ـ قبيل الحرب بساعات ـ أن الحرب الشاملة غير متوقعة إطلاقا وجزم بذلك إيلي زاعيرا مدير الموساد وقتها ،
ولم تمض ساعات حتى كانت الطائرات المصرية تدك حصون العدو فى سيناء لينتهى مصير جيل كامل من أجيال الموساد بإحالته للتقاعد
وبالمثل طلب هنرى كيسنجر تقريرا فى الخامس من أكتوبر ـ قبل الحرب بيوم ـ من المخابرات المركزية عن إحتمالية الحرب فجاء رد المخابرات بالنفي المطلق !!
ويراجع الإعتراف العلنى بالهزيمة من الجهازين فى مذكرات إيلي زاعيرا المنشورة باسم ( حرب يوم الغفران ) , وكذلك مذكرات هنرى كيسنجر المنشورة بعنوان ( سنوات القلاقل )
وأيضا تقرير لجنة أجرانات المنشور باسم ( المحدال ) أو ( التقصير ) وهو التقرير الذى أصدرته لجنة التحقيق المشكلة من الكنيست مع قادة أسرائيل ,
ومن الملاحظ بالطبع أن الظلم الأول الذى تعرض له جهاز المخابرات فى بدايته تمثل فى أنه لم

يواجه ظروف عادية فى بداية تكوينه بالإضافة إلى أنه تعرض لظلم المواجهة عندما نزل للساحة دون أى وقت كاف للتدريب بالرغم من مواجهته لعمالقة الأجهزة العالمية فى التخابر فى ظل نظام سياسي تحيط به العواصف ويواجه تحديات خارجية وداخلية تعجز أمامها أجهزة الدولة التقليدية ..
ومع ذلك كانت نسبة نجاحه فائقة..

## السؤال الخامس والخمسين عن عبد المحسن فائق وتفكيره فى عملية زرع الهجان

*ما هي الدوافع التي دفعت عبد المحسن فائق لاختراع العملية برمتها و كيف بحث عن الشخص المطلوب ليتم زرعه في النسيج الاسرائيلي في فلسطين المحتلة*

الجواب :

سأجيبك هنا بكلام وتفكير اللواء عبد المحسن فائق نفسه ، ومرجعنا فى هذا سيكون بإذن الله موسوعة المخابرات العربية لراكوف كروزو مؤرخ المخابرات الشهير ,
كذلك ملف العملية الأصلي الذى نشره الكاتب الصحفي الكبير حسنى أبو اليزيد بتصريح من المخابرات العامة ,
وأيضا مؤلفات سعيد الجزائري وفريد الفالوجى وكلاهما من أعمدة الكتابة فى هذا الفن
وكل ما سنورده الآن وفيما بعد سيعتمد بإذن الله على هذه المراجع وغيرها فعلى من شاء الزيادة العودة إلى إليها

وعودة إلى السؤال وهو الدافع الذى حدا بعبد المحسن التفكير فى ذلك ، وأيضا المبرر ,
ونبدأ بالمبرر ,
فهو مبرر أمنى معروف لأن نظم المخابرات فى أى دولة العالم تنقسم إلى نوعين ,
نظم الأمن الحربي وتختص بها أجهزة المخابرات العسكرية وتكون تابعة لوزارة الدفاع وهى مخابرات متخصصة بمعنى أنها لا تتعدى المهمة التى تكلف بها وهى معالجة الأمن الحربي فى الداخل والخارج ,
وتمثلها فى مصر المخابرات الحربية التى تؤمن ظهر الجيش ضد محاولات الإختراق وتأمين سلامة الأسرار العسكرية وأيضا العمل على جلب الأسرار العسكرية الأخرى من خارج البلاد,

والنوع الثانى أعم وأخطر:
وهو نظم الأمن العام ، ويختص به نوعان من الأجهزة داخليا وخارجيا ,
أما داخليا
فتقوم به أجهزة الشرطة المحلية عبر أجهزة على أعلى مستوى تدريبي تكون أشبه بجهاز مخابرات داخلى مهمته حماية أمن البلاد القومى من محاولات التخريب الداخلية سواء قامت بها عناصر داخلية أو خارجية وتمثلها فى مصر مباحث أمن الدولة وفى إسرائيل الشين بيت ، وفى أمريكا المباحث الفيدرالية وفى فرنسا جهاز مكافحة الجاسوسية وفى بريطانيا جهاز الشرطة البريطانى العريق سكوتلانديارد

ومهمة هذه الأجهزة قاصرة على العمل داخل البلاد وإذا كانت هناك عملية خارجية فإنها تحيلها للجهاز المختص وهى جهاز المخابرات العامة ,
أما الأمن الخارجى
فمهمته تقع على أجهزة المخابرات العامة فى كل البلاد ويمثلها فى مصر جهاز المخابرات العامة ( م م ع ) وفى إسرائيل ( الموساد ) وفى الإتحاد السوفياتى السابق ( كى جى بي ) والذى ورثته روسيا الإتحادية وأصبح ( الإس في آر ) وفى الولايات المتحدة ( المخابرات المركزية ) وفى بريطانيا ( المكتب السادس إم آى ٦ )

ووظيفته تنقسم إلى جانبين
الأول : النشاط السلبي وهو مقاومة تسلل العدو إلى الداخل وتعيين الجواسيس وحماية الأسرار الداخلية الضارة بالأمن القومى بالتنسيق مع أجهزة الأمن الداخلى
الثانى : وهو صلب نشاط تلك الأجهزة وهو العمل على زرع العملاء ( وطنيين أو مجندين ) للحصول على الأسرار التى تهم الأمن القومى من البلاد الأخرى ,
ولكى تتم هذه الوظيفة على أكمل وجه فلابد لها أن تقوم بمحاولات زرع العملاء أو تجنيدهم ,
أما الزرع
فهو اختيار العناصر الوطنية وزرعها فى البلد العدو تحت ستار وتغطية مناسبة ويقوم هؤلاء العملاء باختراق المجتمع العدو وإرسال المعلومات الهامة لأجهزة بلادهم ، وهى أشهر أساليب أجهزة المخابرات وتألق فى هذا المجال رفعت الجمال الذى يحتل المركز الأول باعتبار أن شبكته هى الوحيدة فى العالم أجمع ـ حتى الآن ـ التى قامت بوظيفتها كاملة طيلة عشرين عاما ولم يكتشف أمرها قط ,

وأما التجنيد
فهى محاولة استمالة عناصر من البلد العدو بإغراء الوسائل المادية أو وسائل الضغط النفسي أو غيرها وأشهر عمليات التجنيد هى عملية تجنيد الألمانى ريتشارد سورج الذى تعتبر شبكته أقوى الشبكات حتى اليوم فى تجنيد العملاء وكان دورها رهيبا فى الحرب العالمية الثانية عندما جندته المخابرات السوفياتية ضد الألمان ، وانتهى أمرها بكشفه وإعدامه
وكذلك عملية تجنيد نائب رئيس المخابرات البريطانية كيم فيلبي والتى تعتبر أكثر العمليات تأثيرا فى جهاز المخابرات البريطانية وجندته المخابرات السوفياتية لصالحها وانتهى عمله بفراره إلى موسكو بعد انكشاف أمره ,

بالإضافة إلى عمليات التجنيد والزرع تقوم المخابرات بالحصول على معلوماتها أيضا من مصادر علنية وسرية عن طريق رجالها الذين تبثهم تحت ستار ديبلوماسي أو تجارى للعمل فى أجواء البلاد المطلوبة ,

وذلك عن طريق دور الصحف والنشر الكبري التى تقع مصادرها على معلومات رهيبة فى بعض الأحيان تتسرب فى غفلة من أجهزة الأمن فى البلاد ، وكذلك من محاولات سرقة وتصوير الوثائق السرية ,
وأشهر تلك الحوادث ما قام به أحد الصحفيين السوسريين من نشر كتاب كامل يحتوى كافة تشكيلات الجيش الألمانى ومواضع فرقه العسكرية فى جبهات أوربا وأسماء قواد الجيش ورتبهم

وحصل على تلك المعلومات الرهيبة من الصحف الألمانية ! حيث تقوم صفحة الوفيات فى تلك الصحف بنشر التعازى متضمنة أسماء المعزين من القادة وبياناتهم كاملة مما حدا بجهاز المخابرات الألمانى للإنتباه لتلك الثغرة التى صار الإهتمام بها قانونا فى أجهزة المخابرات فيما بعد .,
وهذه المهمات تتم عن طريق ضباط مخابرات محترفين يقومون بتلك المهمات ويعودون إلى بلادهم بعد إتمامها أو عن طريق رجال السلك الديبلوماسي المقيمين فى البلد المستهدف ,
وأشهر هذه الأمثلة رجل السلك الديبلوماسي المصري فى إسرائيل الذى وضعته مؤلفات تاريخ المخابرات فى مراجعها باعتباره أبرع رجال هذا المجال وهو يشغل الآن منصب سفير بوزارة الخارجية المصرية ,

من هنا نستطيع القول أن مسألة زرع عناصر وطنية تحت ستار مناسب داخل البلاد المستهدفة هو العمل الرئيسي لأى جهاز مخابرات فى العالم ,
وعندما بدأ عبد المحسن فائق فى عمله كان جهاز المخابرات وليدا ليس له أى مصادر داخل بلاد العدو ، وبدأ التفكير الجدى بالبحث عن عنصر مناسب وزرعه فى المجتمع اليهودى بمصر ثم ترحيله إلى إسرائيل باعتباره مهاجر يهودى مصري ,
وكانت هذه هى الطريقة المثلي لاختراق المجتمع الإسرائيلي ,
وقام عبد المحسن فائق بالبحث عن هذا العنصر ولاقي فى ذلك صعوبات شديدة لأن المخابرات العامة كانت فى بدايتها ولم يتكون فيها بعد قسم زرع العملاء الذى تشكل فى مرحلة لاحقة
وكانت مهمته انتقاء العناصر الصالحة للزرع من شباب مدرسة المخابرات وهو القسم 3 ) ج أ (أخطر إدارات وأقسام جهاز المخابرات وأكثرها سرية وفيه يمارس المرشحون حياتهم كما لو كانوا داخل المجتمع الإسرائيلي بالفعل فلا يستخدمون إلا اللغة العبرية ويتناقشون فيما بينهم كما لو كانوا مواطنين إسرائيليين وذلك لمدد طويلة متفاوتة بحيث يكونون جاهزين للزرع وقت الحاجة ,

قام عبد المحسن فائق بالعمل فى ظل الإمكانيات المتاحة ,
ولأنه ـ رحمه الله ـ كان أسطورة وموهبة خرافية فى هذا المجال فقد رسم المواصفات التى يطلبها فى الشخصية المرشحة وهى مواصفات الملامح التى تشي باليهودية كذلك اللغة والصفات الشخصية التى اشترط فيها الإحتيال والذكاء بالإضافة للوطنية والإخلاص ,

وسعى عبد المحسن فائق إلى البحث فى القوات المسلحة وكذلك فى المجتمع المصري وكلف عددا من أصدقائه فى جهاز المباحث التابع للشرطة أن يرسلوا له ملفات المحتالين والنصابين الذين يمكن أن تنطبق عليهم المواصفات المطلوبة ,
وكان من ضمن من تم تكليفهم بذلك الصاغ ( الرائد ) أحمد رشدى رئيس مباحث الإسكندرية ـ والذى أصبح فيما بعد اللواء أحمد رشدى وزير الداخلية فى نهاية الثمانينات ـ
ويروى اللواء أحمد رشدى فى لقائه مع الصحفي محمد مصطفي حيثيات وقوعه على رفعت الجمال ، حيث تم ترحيل الشاب رفعت الجمال من الحدود المصرية مع ليبيا وكانت المباحث بعد ترحيله إليها عاجزة تماما عن معرفة جنسيته أو تحديد شخصيته ففي تلك الفترة كان إثبات الشخصية مرهونا فقط بجوازات السفر فلم يكن قانون البطاقات الشخصية قد صدر بعد
واحتار الرائد أحمد رشدى فى الشاب الجالس أمامه والذى يملك ثلاثة جوازات سفر بجنسيات مختلفة ويتحدث ثلاث لغات لا يمكن تحديد لغته منها لبراعته الفائقة فيها جميعا

فاتصل أحمد رشدى بعبد المحسن فائق وأخبره بالأمر ,
واستلمه عبد المحسن فائق وبدأ تحرياته الدقيقة حوله وبمراجعة جوازات السفر فى سفاراتها الأصلية بمصر تم اكتشاف تزويرها جميعا ولم يكن هناك جواز سفر حقيقي باقي إلا الجواز المصري باسم رفعت على سليمان الجمال
وبعد أن تحرى عبد المحسن بنفسه عن عائلة الجمال فى دمياط أيقن أنه أمام هذا الشاب المصري رفعت الذى ينتمى لتلك العائلة وعرف ظروف حياته كلها ثم جلس معه جلسات طويلة وطلب منه أن يروى له حقيقته
وهنا كان عبد المحسن يختبر صدق الشاب لأن عبد المحسن تمكن بالفعل من معرفة كافة المعلومات عنه
ونجح رفعت فى الإختبار ,
ثم تم زرعه فى المجتمع اليهودى بمصر عن طريق اعتقاله كيهودى فى تلك الآونة مع بقية اليهود المعتقلين ونجح رفعت الجمال ـ الذى كان يتصور أن مهمته تقتصر على يهود مصر فقط ـ نجاحا بارعا,

وحانت لحظة المصارحة من عبد المحسن فائق وقبل رفعت الجمال المهمة ,
وهنا تم تدبير أمر هجرته إلى إسرائيل عن طريق إيطاليا باعتباره ( جاك بيتون ) اليهودى المصري الذى فر من معتقلات الثورة وتم صنع الغطاء المناسب له فى إسرائيل وأسس فيها مكتبا متواضعا للسياحة باسم ( سي توزر ) فى شارع بيريز فى تل أبيت وهو المكتب الذى تحول فيما بعد إلى شركة عملاقة باسم ( سي تورز )
هذه باختصار ظروف عملية الزرع وبدايتها,

## السؤال السادس والخمسين : كيفية إعداد الجواسيس

*هل لك ان تحدثنا عن كيفية إعداد الجواسيس بشكل عام و تدريبهم؟*
*ثم كيف تمت عملية تدريب رفعت الجمال ليدير العملية في الكيان الصهيوني في وقت كانت فيه الامكانيات المادية تكاد تكون شحيحة و التطور التكنولوجي لم يصل إلى ما نحن عليه في هذه الايام؟*

*الجواب :*

بالنسبة لسؤالك الجديد
فينبغي أولا تقسيمه إلى جزءين ,
جزء خاص بإعداد العملاء عامة ، وجزء خاص بإعداد عملية الجمال ,
وقبلها مقدمة أراها ضرورية للتمهيد في هذا المجال ,

هناك فارق ضخم بين الجاسوس أو العميل وبين رجل المخابرات العامل ,
فرجل المخابرات العامل هو ضابط المخابرات المحترف الذى يقوم بعمله بعد تدريب هائل مكثف ,
أما العميل فهو شخص من خارج أجهزة المخابرات عادة يتم تدريبه لزرعه في وسط العدو
والفارق هنا هو في المقياس التدريبي حيث يكون تدريب وخبرات رجل المخابرات المحترف أضعاف أضعاف الجاسوس أو العميل لأن الجاسوس يخضع لدورات تدريبية تؤهله لمهمة التقاط المعلومات ,
أما رجل المخابرات فيتم تدريبه على أساليب التخابر نفسها وطرق العمل وتجنيد العملاء والمراقبة والتحرى فضلا على عشرات المعارف حول أساليب جهازه في العمل
لهذا فإن سقوط أى جاسوس أو عميل مهما كانت خطورته ومكانته لا يساوى عشر معشار سقوط رجل مخابرات في يد العدو ويقيم الخبراء سقوط رجل المخابرات بعمل عامين كامين كاملين لو تمكن الجهاز العدو من استخلاص المعلومات منه
وفى الحرب العالمية الثانية تمكن جهاز المخابرات الألمانى من الإيقاع برجلى مخابرات من رؤساء الأقسام في المخابرات البريطانية وكان من جراء ذلك أن قامت المخابرات البريطانية بتغيير أسلوب عمل الجهاز وتقسيمه وتغيير كافة عملاء الجهاز وكانت خسارة فادحة للبريطانيين مات في إثرها رئيس الجهاز من قوة الصدمة ,

وعملية الزرع في قلب العدو من الممكن أن تتم لجاسوس أو عميل وأيضا من الممكن أن تتم لرجل مخابرات عامل ,
ومن أمثلة الجواسيس رفعت الجمال ، ومن أمثلة الضباط العاملين إيلي كوهين رجل المخابرات

الإسرائيلي الذى تم زرعه في سوريا وكشفته المخابرات المصرية عن طريق رفعت الجمال نفسه وتم إعدامه في دمشق ,
وهناك معلومة جوهرية ينبغي للقارئ أن ينتبه لها ,
وهى أننا في حديثنا عن طرق التجنيد والزرع إنما نتحدث عن الأساليب القديمة التي بطل إستخدامها منذ ثلاثين عاما على الأقل ولا يستطيع أى كاتب أو محلل أن يتحدث عن أسلوب من أساليب الزرع إلا إذا كان هذا الأسلوب قد استغنت عنه أجهزة المخابرات منذ وقت طويل لأنه من المستحيل الوصول للأساليب الحديثة ,
فمثلا:
كانت عملية تجنيد العملاء في الستينات والسبعينات تعتمد على استقطاب العملاء بطريق خداعهم وإيهامهم في البداية أن يعملون لحساب مؤسسات صحفية أو شركات عابرة للقارات تحتاج لمعلومات اقتصادية وما شاكلها ، وبعد أن يتورط العميل تتم مصارحته بأنه يعمل لحساب جهاز مخابرات وتتم السيطرة عليه عن طريق خط يده في المعلومات التي أرسلها وشيكات المقابل المادى التي حصل عليها ,
وهذا الأسلوب بطل استخدامه واستهلكت السينما والروايات وغيرها ,
أما الأساليب الحديثة للتجنيد فالله أعلم بطرقها اليوم ,

نعود لعملية زرع العملاء وهى على وجهين
إما الزرع لعملاء وطنيين يضحون بحياتهم لخدمة أوطانهم وهؤلاء في حالة نجاحهم يتم تأمين مستقبلهم ومكافأتهم وتكريمهم بعد الاعتزال مثلما حدث مع الجمال ومع أحمد الهوان ) جمعة الشوان ( ومع ليلي عبد السلام ) سامية فهمى(
وإما عن طريق التجنيد المباشر لعناصر خائنة لأوطانها وهؤلاء تقتصر مكافأتهم على الأموال فقط مثل الدكتور إسرائيل بيير مستشار وزارة الدفاع الإسرائيلية الذى جندته المخابرات السوفياتية وكانت مصر تعلم بهذا التجنيد وجندت هى بالمقابل عشيقته ) ريناتا ( التي نقلت لنا كافة معلومات إسرائيل بيير ، أى أنه كان يعمل لصالح المخابرات المصرية دون أن يدرى!

وبالنسبة لعملية زرع العملاء الوطنيين فهذه تخضع لمقاييس تخطيط عالية التركيز حيث يتم اختيار شخصية مناسبة ليتقمصها العميل الذى يتم زرعه في المجتمع المرغوب فيه ويتم تأهيل وإختراع تاريخ مناسب له لتغطية شخصيته الأصلية
مع الوضع في الإعتبار أن يكون هذا التاريخ مقبولا منطقيا وله أدلة ظاهرة حال التحرى عنه وقد نفذت المخابرات المصرية هذا الأمر بالنسبة لرفعت الجمال وعمرو طلبة وعشرات غيرهم وتم دسهم في المجتمع الإسرائيلي بتاريخ ملفق بمنتهى البراعة
فالنقيب عمرو طلبه تم زرعه على أنه يهودى مغربي يحمل اسم موشي زكى رافي وتم تجنيده في الجيش الإسرائيلي كأحد شباب إسرائيل وظل هناك منذ زرعه وحتى قيام حرب أكتوبر حيث

ضحى بنفسه وكشف هويته عندما علم بقيام الحرب فعليا وراسل مصر على الموجات المفتوحة وظل يرشدهم إلى نقاط ضعف العدو في قلب سيناء والتى تم نقلها للقوات الجوية المصرية مما حقق لها هذا النجاح الساحق في ضرب مراكز قيادة العدو ,
واستشهد عمرو طلبة الذى رفض مغادرة موقعه وفق خطة تأمينه وفضل أن يبقي وسط النيران لإرشاد الطائرات المصرية حتى استشهد رحمه الله

أما رفعت الجمال فقد تم زرعه عن طريق اختراع شخصية يهودى مصري من المنصورة يحمل اسم جاك بيتون وزرعته المخابرات المصرية في اليهود المصريين وتمت مطاردته من الشرطة المصرية فعلا وواقعا وتمكن هو من الهرب حتى قام اليهود بمعاونته على الفار من مصر ودخل إسرائيل على هذا الأساس
وفى إسرائيل قامت الموساد بالتحريات الدقيقة عنه ووجدت أن قصته كلها حقيقية تماما!
وهذا يشي بمدى براعة عملية صياغة ماضي رفعت الجمال باعتباره شخصية يهودية تماما ,
وكان عبد المحسن فائق وحسن بلبل ضابطى المخابرات الذين أعدا العملية بالغى البراعة في تدريب رفعت الجمال على نسيان شخصيته تماما وتقمص الشخصية اليهودية إلى درجة النخاع وكانا يعتمدان على موهبتهما في ظل نقص الخبرات لديهما في ذلك الوقت فكان تدريب رفعت يصل لدرجة إعادة التدريب عند حدوث أى خطأ عفوى منه ,
فمثلا لو ناداه أحد الأشخاص باسم رفعت وعلى نحو مفاجئ واستجاب رفعت للنداء كان التدريب يُعاد حتى ينسي رفعت اسمه الأصلي ولا يرد ـ ولو بطريقة عفوية ـ على اسمه لو تم نداؤه به ,
هذا فضلا على السرية التامة حتى أن حقيقة العملية لم يتم كشفها خارج الجهاز ولا حتى على سبيل المعاونة فتم تعريض رفعت الجمال لخطر مطاردة الشرطة حقا وواقعا باعتباره يهوى مشاغب وتم تدريب رفعت على طرق الفرار منهم

وفى إسرائيل بعد أن تم الزرع فعلا صدرت الأوامر لرفعت الجمال بأن يلتزم السكون التام فلا يقوم بأى نشاط تجسسي لمدة معينة حتى يتم تثبيت أركان شخصيته الجديدة وحتى تمر فترة تحريات الموساد عنه بسلام ,
وهى الطريقة التي تمت معرفتها فيما بعد بأسلوب ) الجاسوس النائم ( وهى المرحلة من مراحل عملية الزرع حيث يظل الجاسوس كامنا بلا أدنى نشاط لفترة محسوبة ثم يستيقظ أى يبدأ نشاطه وبعد مرور ثلاث سنوات على زرعه وبعد أن نجح رفعت الجمال في الحصول على معلومات الهجوم الإسرائيلي خلال العدوان الثلاثي قبل موعده بثلاثة أشهر كاملة ,
تم اتخاذ القرار بضرورة ترقية تدريب رفعت الجمال وهى الفترة التي تولى تدريبه فيها اثنان من أكفأ وأخطر رجال المخابرات في مصر وهما (محمد نسيم ) نديم هاشم ( ورفعت جبريل ) الرجل الذى كان ملقبا باسم الثعلب وقدم شخصيته نور الشريف في مسلسل شهير حمل اسم الثعلب تحت اسم مستعار وهو شوكت فهمى

واستمر تدريب رفعت على مراحل نظرا لتصاعد خطورته وبعد أن تم تكوين شبكته التي كانت لها أعظم دور خلال حرب أكتوبر وبلغت تدريبات رفعت الجمال حدا جعله يبلغ مستوى ضابط الحالة أى رجل المخابرات المحترف ,
هذه باختصار إجابة سؤالك

تعقيب : الفوارق بين القصة الحقيقية للهجان وقصته مع صالح مرسي
*حبذا لو حدثتنا عن القصة الاصلية لرأفت الهجان كما ذكرت في المصادر التي استقيت منها فهناك التباس كبير مع القصة المكتوبة و المتلفزة*

الجواب :
ليس هناك تضارب ,
فالقصة تشير إلى أن التغطية التي تمت للهجان تمت على أساس أنه يهودى من المنصورة ،
وهذا ما ذكره صالح مرسي بالفعل
أما ما ذكره عن حكاية المغرب ,
فقد اختلط الأمر عليك
لأن القصة تحدثت عن رأفت الهجان كيهودى مصري هاجر للمغرب قبل الحرب العالمية الثانية وهناك انتهت عائلته وعاد لمصر ـ موطنه الأصلي ـ وحده
فلم يذكر في القصة أنه كان يهوديا مغربيا بل ذكر أنه مصري هاجر للمغرب فترة مؤقتة ثم عاد بعد ذلك

وقد توصل عبد المحسن إلى تلك التغطية عقب معرفته بأن رفعت الجمال ألقت الشرطة الحدودية القبض عليه على حدود ليبيا وهو يحاول الهرب بجواز سفر مزور
ورحلته إلى الإسكندرية حيث ادعى أنه يهودى مصري وتم حبسه مع عدد من اليهود المصريين ,
وهذا كله طبعا قبل تجنيده ولقائه بعبد المحسن فائق
فراعى هذا الأخير في قصة التغطية ضرورة أن يكون هناك تبرير لقصة إلقاء القبض عليه على الحدود الليبية لأنها أصبحت منتشرة عنه وعلمها اليهود المحبوسون معه ,
وعثر عبد المحسن فائق في ملفات اليهود المصريين بالفعل على عائلة يهودية مصرية الأصل هاجرت للمغرب واندثرت هناك عقب دخول قوات المحور إلى هناك
وتمت العملية على هذا الأساس

*تعقيب ..*
*كيف استطاع ان يركز دعائمه في داخل المجتمع الاسرائيلي ليكون شخصية مرموقة ومهمة و ليكون عميلا مهما للمخابرات المصرية*

الجواب :
كانت البداية مع الجمال في إسرائيل بداية وعرة وشديدة الصعوبة ، لعدة أسباب,
لكنها تتلخص في شيئ واحد وهو قلة الخبرة وقلة الإمكانيات التي كانت متوافرة للجهاز في ذلك الوقت ,
ولم يتلق الجمال تدريبا عاليا قبل رحيله إلى إسرائيل بل كان تدريبه عاديا ويعتمد بصفة أساسية على فطرته الطبيعية وذكائه المتوقد الذى استشف فيه عبد المحسن فائق قدرة فائقة على الخداع والتلون ,
ولم يكن هناك معيار خطورة أبدا في تلك المرحلة لأن الجمال في فترته الأولى وكما تقتضي قواعد عملية زرع الجواسيس لا يتم تكليفه بالقيام بأدنى نشاط في عمله لأن المرحلة الأولى هى مرحلة الشك والتحرى والتى يجب أن تتم بهدوء كامل بعيدا عن أى شبهات أيا كان نوعها أو صغرها ولهذا كانت الأوامر صريحة ومشددة على أن يقضي رفعت الجمال الفترة الأولى في حالة كمون وسكون وينشغل فقط بتثبيت مكانته في المجتمع الإسرائيلي وفى تأسيس شركته السياحية التي بدأت كمكتب صغير
ونفذ الجمال الخطة بنجاح ونجح أيضا في أن يرفع مكانته في مجتمع تل أبيب بسببين هامين
الأول : أنه لم يأت مهاجرا فقيرا من السفارديم ) يهود الشرق ) بل رحل ومعه مبلغ لا بأس به من المال مما أهله لأن يفتتح عمله الخاص ويصبح إلى حد من رجال الأعمال في المجتمع اليهودى مما منحه وضعية خاصة
الثانى : التوصيات التي أرسلها يهود مصر بشأنه بعد أن نجحت المخابرات المصرية في أن تجعله بطلا قوميا لدى اليهود بعانى من الإضطهاد المصري مما زاد من رفعته بين المجتمع اليهودى في إسرائيل
وبدأ المكتب السياحى عمله بشراكة قامت بين الجمال وبين شريكه رجل الأعمال اليهودى ( ايمى فريد ) والذي قدمه صالح مرسي في القصة تحت اسم مستعار وهو ( أورلو زوروف)
ولأن شخصية الجمال كانت آسرة بطبيعتها ويتمتع بجاذبية شخصية لا تقاوم وبكاريزما مجاملة فقد نجح في أن يصبح واحدا من أكثر الشخصيات المجتمعية ذات الشعبية خلال فترة قليلة ,
وبمعاونة معارفه في ذلك الوقت من حزب الماباى الحاكم من أمثال موشي ديان وجولدا مائير وكانا في ذلك الوقت شخصيات مرموقة في تل أبيب باعتبار أن ديان كان جنرالا كبيرا في جيش الدفاع وجولدا أحد ركائز الحزب الحاكم
فضلا على شخصية ( إدناه مارش) وهى إحدى ركائز اتحاد العمال الإسرائيلي ( الهستدروت ) والتى تعلقت بالجمال وفتحت أمامه باب التعارف على كبار المجتمع
وقد قدمها صالح مرسي في القصة تحت اسم مستعار هو ( سيرينا أهارونى)

هذا عن الفترة الأولى التي امتدت من عام ١٩٥٤ م حتى عام ١٩٥٨ م ,
وخلال هذه الفترة بدأ الجمال نشاطه منفردا فلم يكن قد تلقي تدريبا جديدا يؤهله لتكوين شبكة كالتى صنعها فيما بعد ,
ونجح الجمال في إمداد القيادة المصرية بموعد وخطة حرب العدوان الثلاثي قبل موعدها بثلاثة أشهر كاملة ,

وبعد حرب ٥٦ م تدهورت أحوال الجمال نظرا لأن السياحة في إسرائيل مرت بأزمة خانقة عقب الحرب مما أثر على نشاط مكتبه وتخلى عنه شريكه اليهودى وعانى الجمال في تلك الفترة من تدهور في أحواله المالية دفعته لطلب الدعم من الجهاز في مصر ,
وفى تلك الفترة لم يحسن الجهاز استغلال الجمال كما ينبغي حتى تولى ملف العملية ضابط مخابرات جديد في ذلك الوقت وهو عبد العزيز الطودى ـ الذى قدمه صالح مرسي باسم عزيز الجبالى ـ وهو رفيق عمر الجمال حيث أصبح الطودى مسئولا عن ملف العملية كله كضابط حالة وتمكن من إعادة تأهيل الجمال تماما ,
وفى البداية أمكنه أن يتعرف على الظروف الضاغطة التي يتعرض لها الجمال في تل أبيب ونقص الخبرة والتدريب الذى يعانى منه ، ومن هنا اقترح إعادة تدريبه على أعلى مستوى في ذلك الوقت خاصة بعد أن أصبح جهاز المخابرات المصري في عهد صلاح نصر مديره الشهير منظما على أعلى المستويات
وتم إعادة ترتيب إدارات الجهاز بالشكل الذى وفر الإمكانيات المادية والعلمية ليكون الجهاز منافسا قويا على الساحة
وبالفعل قام محمد نسيم ورفعت جبريل بإعادة تدريب وتأهيل رفعت الجمال على أرقي مستويات التجسس والحصول على المعلومات كما وفروا له أعمالا مميزة مغطاه لشركته السياحية مما جعلها تصبح واحدة من أكبر الشركات في تل أبيب
كما زودوه بأحبار سرية مبتكرة من القسم العلمى لإدارة المخابرات المصرية وكان يتم تغيير الأحبار كل فترة بسيطة لزيادة معامل الأمن
وقد تفوقت المخابرات المصرية والإسرائيلية في ذلك المجال على سائر أجهزة المخابرات في العالم نظرا لقوة المنافسة بينهما
وبدأ الجمال تحت رعاية محمد نسيم في تكوين اللبنة الأولى لشبكته الموسوعية فى تل أبيب وبدأت الأعمال الإحترافية تترى من تلك الشبكة
ونجح الجمال في زيادة تعميق شخصيته في المجتمع الإسرائيلي حتى وصل الأمر إلى أن رشحوه في الكنيست وأصروا على طلبهم , وأرسل الجمال يستشير فجاء الرد بالرفض القاطع وذلك لأن وجود الجمال في دوائر السلطة بصفة رسمية يعنى أن تركيز الأضواء سيشتد عليه وكذلك الرعاية الأمنية والرقابة المشددة مما يعرضه لخطر كشف أمره ,
وفيما بعد عام ٦٥ م أصبح رفعت الجمال واحدا من أكثر شخصيات المجتمع الإسرائيلي بروزا وفوق مستوى الشبهات للدرجة التي مكنته من معرفة تصرفات أجهزة الأمن الإسرائيلية

وتحرياتها عنه في فترته الأولى بتل أبيب حيث صارحه ضباط الأمن الداخلى بما يشبه الدعابة أنهم وضعوه تحت الرقابة فترة طويلة وأتت النتائج سلبية في صالحه طبعا

وظل على هذا الحال يتقدم اجتماعيا بين الفترة والأخرى حتى قيام حرب أكتوبر واستئذانه من الجهاز في إنهاء عمله عام ١٩٧٤ م ,
وتم ذلك بالفعل بعد زواجه من فالتراود بيتون وتصفية أعماله في تل أبيب والهجرة إلى ألمانيا , هذا باختصار مجمل الحالة الإجتماعية للجمال خلال فترة زرعه,

## السؤال السابع والخمسين : مصر بعد ثورة ٢٥ يناير

*أولا بشأن مصر ، ماذا بعد الثورة ؟*
*ولماذا يتم التغيير فقط في الوزارات المحلية مع الاحتفاظ بوزراء الداخلية والخارجية*
*إلى أي مدى سيتم تحقيق المطالب التي رفعت*

*الجواب :*

لا يوجد قلق على مصر الآن ,
والأسئلة الفرعية التى تتناول الأوضاع لا ينبغي أن نطرحها باعتبارها مؤشرا على اسقرار الأوضاع من عدمه
بل يجب أن ننظر نظرة عامة للوضع لأن التفاصيل تتغير يوميا
وبالتالى النظرة العامة تشي بالإطمئنان لأننا نلاحظ تسارع الأحداث وعلو الإستجابة لمطالب الشعب بشكل دورى ,
وهذا يعنى أن الضغط الشعبي والمطالب الشعبية أصبحت هى المعيار المؤسس فى الحكم
ولهذا يجب أن نتفاءل طالما تحققنا من وقوع هذه الحقيقة ,
أما التفاصيل فأمرها متروك لأهل الإختصاص وهى لا تمثل فارقا فى تناولها بالتحليل من عدمه

## السؤال الثامن والخمسين : أحداث ليبيا وثورتها ضد نظام القذافي

*كيف نفسر هذا الصمت الآثم الذي يغض الطرف عن ليبيا ينقذه من براثن هذا المختل عقليا القذافي والذي كان مبارك بجانبه لطيفا ؟*
*وكيف يكون موقف مجلس الأمن متخاذلا هكذا هذه جرائم حرب؟ هل تسكت عنها المنظمات الدولية لحقوق الإنسان وتكتفي بالإدانة والتفكير في العقاب شيء يثير الحنق والقهر حقا*

## الجواب :

بالعكس
الذى ينبغي أن يثير الدهشة هو سؤالك نفسه
لأنه من العبث أن نظن خيرا بالمنظمات الدولية أو ننتظر منها ردا إيجابيا بعد كل ماضيها الآثم الذى فضح طبيعة القانون الدولى وأنه ليس قانونا أصلا وإنما هو معبر عن تشابك للمصالح الدولية ويتحرك وفق مصالح الغرب وحده
ولهذا يعتبر من الحالمين من يظن أن المنظمات الدولية أو الغرب تتحرك من باب الإشفاق أو أنها تتحرك فعلا لصالح حقوق الإنسان
والذى ينبغي أن يعلمه كل مواطن وكل إنسان ,
أن المنظمات والاتفاقيات الدولية وشعارات حقوق الإنسان لا تمثل إلا طريقا للدول العظمى فى تنفيذ سياستها الخارجية ، ومن المستحيل أن تتحرك بدافع إنسانى ,
ولتراجعوا إن شئتم مذابح بورندى والصرب والبوسنة ,
بل وراجعوا كيف أن الغرب ساند نظم مبارك والقذافي وكل أنظمة القمع عندما كانت تملك زمام السلطة وغضت الطرف عامدة عن عشرات الآلاف من الضحايا فى سبيل المحافظة على مصالحها
وما أثير من تأييد الغرب للثورات العربية ليس غضبا لحقوق الإنسان كما يتصور البعض بل هو مجرد تخلى منطقي عن مركب النظم القمعية بعد غرقها
فمن العبث حقيقة أن نأمل فى تحرك لما يسمى بالمجتمع الدولى تجاه أى قضية إنسانية تحركا جديا أو إيجابيا والذى ينبغي أن نعول عليه فقط هو الإرادة الشعبية المستندة إلى توفيق الله لشعوب انتفضت لتحقيق حريتها
وليسقط الشهداء والضحايا أيا كان عددهم
فسقوطهم هنا رفعة لأوطانهم ولأهلهم أى أنه سقوط له ثمنه ودماء لها مقابل غال
بعكس الدماء التى أسيلت فى العصور الماضية ولم يعلم أحد عنهم شيئا فى فترات فتوة تلك الأنظمة حيث كانت ضحاياهم أضعاف الضحايا الآن ، وسقطوا بلا ثمن لأنهم استسلموا لمصيرهم
القصد أن الشهداء اليوم لا ينبغي أن يثيروا فينا إلا الفخر

فالحرية غالية ولها ثمن
ومهما وصل عدد الضحايا فالمقابل أكبر
ومهما وصل عدد الضحايا فما سقط من الشعوب طيلة السنوات السابقة أكبر كثيرا
لقد قتل القذافي فى حادثة واحدة عام ١٩٩٢ حوالى ١٢٠٠ سجين قتلا غادرا ,
وسقط الآن آلاف الشهداء فى طلب الحرية
فأيهما أحق وأيهما أجدى ,
على الأقل سقوط الضحايا اليوم له مقابل ثمين نسعى إليه
نسأل الله تعالى أن يفك عن الشعب الليبي بنصر مبين وكل شعوب المسلمين

تعقيب :
*التدخل العسكري الذي فرضه المجتمع الدولي إلى أي مدى ممكن أن يصل ؟!*

*الجواب*
لن يصل إلا إلى الضربات من الخارج بالجو والبحر ، ومعاونة الثوار بحمايتهم من الأسلحة الثقيلة للقذافي ، فضلا على محاولة استقطاب القواد الموالين للقذافي حتى يتركوه أو يسلموه ولو زادت العملية فلن تتعدى عمليات إنزال وإبرار جوى لقوات الكوماندوز لتنفيذ عملية اختراق لحصن باب العزيزية

## السؤال التاسع والخمسين : هل يتكرر مسلسل العراق فى ليبيا ؟

*هل هناك تكرار لحالة تحرير العراق من صدام حسين وعود وزارة الخارجية الأمريكية ان القوات لن تنتشر برا ؟!*
*ومشاركة الجهات العربية كالكويت في هذا التدخل العسكري لرؤيتهم ان هذا واجب هل ممكن فعلا أن يقلل من هذا الاجتياح الأوروبى*

الجواب :

لا لن يحدث ذلك
والقائل بهذا لا يدرك أصول الصراع الدولى وسياسات الدول العظمى
ولكى نفهم الأمر يجب شرحه باختصار من بدايته..
القصة كلها فى العلاقات الدولية ـ كما ذكرنا ألف مرة ـ تعتمد اعتمادا مطلقا على المصالح البحتة للشعوب ، ومصطلحات الصداقة والشرعية الدولية والأمم المتحدة وحقوق الإنسان إلى غير ذلك عبارة عن أصباغ لتجميل وجه القوة ليس أكثر
ولهذا فالصداقة بين الدول الأطراف فى المجتمع الدولى تنقلب عداوة والعكس بالعكس وفق المصالح الوقتية
وقد كان أبلغ تعبير عن هذا الأمر مقولة منسوبة لأحد الساسة البريطانيين المشاهير فى القرن الماضي عندما قال
(ليس لبريطانيا العظمى صداقات دائمة ولا عداوات دائمة ، بل لها فقط مصالح دائمة )
وبناء على هذا تتقاسم الدول المصالح المتبادلة ، وليس هناك أى معنى لمفاهيم الصداقة ولا يوجد شيئ يمكن أن يتم دفعه دون مقابل تحت أى ظرف
حتى ما يسمعه الناس عن المنح والمساعدات التى لا ترد ، فهذه كلها من أدوات الضغط ليس إلا ويتم تحصيل ثمنها بأساليب مختلفة تخدم سياسة الطرف المانح

وبترول منطقة الخليج وإيران والعراق ، هو مصدر البترول الأمريكى , بينما بترول ليبيا هو مصدر الطاقة الأوربي
لهذا قلنا أن التدخل فى ليبيا لن يكون بالشكل الذى تم فى العراق إطلاقا ، وانما هو بالفعل تدخل محدود وليس من أهدافه احتلال ليبيا بل إعادة الاستقرار اليها فحسب حتى يتدفق البترول الى اوربا بانتظام
وذلك بعد أن راهن الغرب على انتصار التغيير حتما فباع القذافي فى أول محطة وناصر القوة الجديدة المتمثلة فى الثوار

والغرب يسعى بكل شكل لمعاونة الثوار واكتساب مودتهم وهؤلاء لا يرضون بتدخل مباشر..
أما فى العراق فالأمر مختلف ، لأنه لم يكن يخص أوربا بل يخص الولايات المتحدة وفيه عدة فوارق
الأول : أن أمريكا هى زعيمة العصابة الدولية التى لا تحتاج إذنا لفعل شيئ ، كما أنها لا ترضي لأتباعها إلا الطاعة الجبرية وليس الإختيارية
أما الدول الأوربية فهى شريكة فحسب للقوة العظمى الأمريكية بشرط ألا تقطع أمرا دون مباركة الولايات المتحدة ,
والولايات المتحدة لا تسمح بأن تقلدها دولة أخرى من حلفائها بشكل منفرد وإلا كان انفرادا بالنشاط العسكري فى المنطقة وهو أمر غير مسموح لهم
والسيطرة الأمريكية على أوربا تعتمد على أنها توفر لأوربا احتياجاتها ولكن تحت رعايتها
وقد يتساءل البعض كيف سمحت امريكا لاوربا بأن يتجاوز اليورو قيمة الدولار دون أن يدركوا أن هذا تم بصفقة امريكية أوربية تستطيع الولايات المتحدة نقضها لو أرادت ، وقد سمحت بها حتى تسمح لاوربا بتحصيل فوارق الثمن كأرباح تتناسب مع السيطرة الأمريكية المطلقة على منطقة الخليج
أى أن أمريكا ورثت الخليج بكامله من أوربا فى مقابل هذا الربح المتمثل فى خفض الدولار أمام اليورو وبالمقابل لا تطالب أوربا بشيئ من منطقة الخليج ولا تحاول العبث فيه كمنطقة نفوذ امريكية خالصة
واكبر دليل على أن الدولار هو مقياس الاقتصاد العالمى أن أوربا تأثرت بشكل مباشر ومماثل تماما للأزمة الإقتصادية الأمريكية ، وهذا ما لا يتناسب مع القوة المصطنعة لليورو

ثانيا : لم يكن الهدف فى العراق البترول فحسب بل كان الهدف الأساسي تحطيم الجيش العراقي ضمانة لأمن إسرائيل وهى أحد ثوابت السياسة الأمريكية ، وما كان ليتم هذا لولا التدخل العسكري
هذا بالإضافة قطعا إلى أن الولايات المتحدة نظرا لأنها تستورد ثلاثة أرباع احتياجاتها من النفط من الخارج ، فهذا لزم له أن يكون هناك ضمان عسكري قوى لتأمين مناطق النفط , فلا يمكن أن تغامر الولايات المتحدة ببقاء منابع النفط تحت سيطرة قوة اخرى اقليمية يمكنها أن تغير سياستها باى وجه
وقد دخلت القوة الأمريكية طواعية إلى دول الخليج ,
ولكن العراق بكل المخزون الهائل فيه من النفط لم يكن تحت السيطرة ، ومرقت العراق أو حاولت المروق ومن ثم تم استدعاء العسكري الإجباري الذى يسمح للقوات الأمريكية بحماية مواردها

ثالثا : احتلال ليبيا ليس ورادا على أى أجندة غربية لانعدام المقابل ، فالمقابل الوحيد فى ليبيا هو النفط ، وهم يحصلون عليه طواعية دون جهد عسكري ولا توجد مخاطر لتهديده ، فلماذا يتورط الغرب فى حرب كهذه تكلفتها تقصم ظهر الإقتصاد الغربي ، لا سيما بعد أن ركع الإقتصاد الأمريكى بتكلفة تريليون دولار ( ألف مليار ) فى حرب العراق
ولهذا فالغرب لا يحتاج إلى احتلال بل الى تدخل عسكري او لوجستى لحماية استقرار ليبيا فقط وضمان تدفق النفط مع أى فريق كان
ولو كان القذافي يمتلك مقومات البقاء فعلا وكفه راجحة لسانده الغرب على شعبه على الفور لكن رياح التحرير هبت على المنطقة وكان لابد من الرهان على الجواد الرابح ولهذا تخلى الغرب كعادته عن خيوله العاجزة المتمثلة فى أمثال مبارك وبن على والقذافي وعلى عبد الله صالح
بل ونافق الشعوب الثائرة عن طريق دعم ثوراتها سياسيا ومحاربة أصدقائه القدامى ومطاردتهم وتجميد أرصدتهم وكأنهم لم يغنوا بالأمس معا!!

تعقيب

*هذه الجامعة العربية لماذا لا يكون لها دور فعال حقيقي يعالج شؤوننا كعرب أم ان المطالبة أيضا بهذا الأمر من أحلام اليقظة ؟!*

الجواب :
طبعا من احلام اليقظة ,
وهل فى ذلك شك
الجامعة العربية لو عدت لتاريخها ستجدين أنها منشأة بريطانية أصلا ، وأسستها بريطانيا وجميع الدول التى انضمت اليها كانت تحت الإحتلال الأجنبي
فقد أنشأها الاستعمار لخدمة أهدافه لا أكثر ولا أقل
وبعد الاستقلال الظاهرى للدول العربية ظلت الجامعة عبارة عن نادى اجتماعى لا حول له ولا قوة واستعيدى موقفها فى حرب الخليج الأولى والثانية وفى احتلال العراق وغيرها
وهى تعجز عن أدنى دور لها وهو جمع العرب على رأى واحد فى أى قضية من القضايا
فكيف ستجمعهم على سياسة واحدة ؟!
فضلا على أن تجمعهم على نشاط خارجى موحد أو سوق عربية مشتركة ؟!

## السؤال الستون :مصر ومياه النيل بعد الثورة

*سعي مصر للحفاظ على نصيبها من النيل بعد الانفصال المؤسف لجنوب السودان*
*هل حقا نضمن حق مصر في هذه المياه بالتداولات التي يجريها رئيس الوزراء الآن عصام شرف مع أعضاء الحكومة السودانية*

## الجواب :

سياسة مبارك المتواطئة هى السبب فى هذا الموقف
ولكن الأمر بعد مباحثات عصام شرف موقف مبشر للغاية بعد أعلنت دول الحوض استعدادها للتراجع عن الإتفاقية الإطارية وتدويل المياه فى بنك للمياه باتفاق الأعضاء يحافظ على حصة مصر
وستسير الأمور سيرا حسنا بإذن الله

*تعقيب*
*وهل تملك السودان إعطاء تعهدات وتضامنات لمصر بحفظ حقها في المياه ؟*
*هل الامر بالنسبة للسودان شأن داخلي يمكنها إدارته بمطلق الحرية*
*دون إملاءات أجنبية أو ضغوطات أجنبية ومن وقف إلى جانبهم للمطالبة بحقهم في الانفصال*

## الجواب :

لا تملك السودان من أمرها شيئا ولا حتى بقية الدول الإفريقية
وأزمة المياه أصلا تمت بتحريض أمريكى إسرائيلي ,
ولهذا فالحل ليس عند إفريقيا بالأساس ولو أن الإهتمام بالمشروعات الإقتصادية فى افريقيا سيمكننا من استعادة نفوذنا على تلك البلاد
وباستعادة النفوذ يمكننا مقاومة الضغط الإسرائيلي شيئا فشيئا
والمجلس العسكري يتعامل ببراعة مطلقة فى القضية حيث يهدد بتغيير سياسته تجاه إسرائيل لو استمرت ألاعيب إسرائيل فى مياه النيل
ولعل هذا يكون أحد أسباب عودة وزير الدفاع الأمريكى غاضبا من مصر مؤخرا ,
وهو الأمر الذى لم يتحقق منذ أربعين عاما تقريبا

وأخيرا ..
*هذه بعض أسئلة وحوار جرى حول مصدر الثورات الجارية فى الوطن العربي ،وهل هى خالصة من شعوبها أم لا ؟!*

وكان الرد:

تحية أولا من القلب ودعينا نبحر فى غمار أسئلتك لنستشف جوابها بالمنطق كما تعودنا ,
ولكن دعينى ألتمس منك العذر أولا لو لمحت فى حديثي حدة غير مقصودة ، فقد آثرت أن أستغل موضوعك لمعالجة وجهات نظر أخرى ليست لك ، ولكنها تتقاطع مع كلامك وينبغي الرد عليها ومعالجتها

وقبل الجواب أحب أن أرسخ لديك ولدى المشاركين الأفاضل من القراء حقيقة مؤلمة ، ينبغي لنا الوقوف عليها قبل الإبحار فى النقاش ، لا سيما وأن الأقوال تتكرر ، والإشاعات تنتشر ، بسبب السطحية التى خلفها الإستعمار الفكرى عبر عشرات السنين
هذه الحقيقة هى أن الغرب إن كان قد نجح فى شيئ فى حربه معنا ، فقد نجح بالفعل فى ترسيخ ثقافة الإنهزام لدى الشعوب حتى بات اليأس هو الصفة الطبيعية التى تحكم الشباب بالذات ، بينما التفاؤل أو القدرة على التغيير أصبحت شيئا مستغربا , نعتبرها أسطورة لابد أن نبحث لها عن أسباب خارجية لاقتناع البعض منا أن التغيير من المستحيل أن يأتى من شعوبنا اليائسة البائسة!!

وأبدأ بقولك:
*ولا أحد منا يستطيع أن ينكر أو يتجاهل هذا الغليان المفاجئ في دول وطننا العربي*
*أليس في هذه الثورات شيئاً غريباً يستحق أن نقف حياله ونتساءل ؟! ومن ثم نجيب ؟*

ألم أقل أن اليأس من الجماهير هو القاعدة فى عقول مثقفينا ,
سؤالك إن كان يشي بشيئ فإنه يشي بأن الثورة على الظلم أصبحت مستغربة من الشعوب العربية والإستبداد عبر السنوات أصبح لا يكفي وحده سببا للإنفجار فى أى لحظة
أريدك أن تتأملى سؤالك بشيئ من التركيز ـ وكلامى هنا ليس موجها لك تحديدا ولكنى استغل اسئلتك لعلاج وجهات نظر أخرى ـ
لو تألمت سؤالك سنجده سؤالا إستنكاريا يعتبر الثورة على مقاليد الحكم والإستبداد شيئا غريبا يستحق أن نقف حياله!!!
حسب تعبيرك السابق ,
وهو تعبير يجزم بطبيعة الحال أن الخنوع العربي أصبح قاعدة ، والإستبداد أمرا طبيعيا على شعوبها يستغرب منه الناس وينبغي لهم أن يقفوا له على سبب منطقي باعتبار أن الظلم واستمراره لا يعتبر مبررا لقيام هذه الثورات!
كارثة بالطبع!

فبدلا من أن يكون سؤالنا كيف صمتت الشعوب أصبح سؤالنا كيف تحركت ,
وقد جاء سؤالك الثانى يبرر السؤال الأول
حيث قلت:
*هذه الثورة المنظمة التي خاضها الشعب المصري والتي تدل على وعي الشعب المصري*
*أتساءل : أين كان هذا الشعب الواعي المدرك لخطورة هذا الاستعباد منذ ثلاثين عاماً ورئيسهم يتقلب على جمر الدولارات الأمريكية والملايين من الشعب المصري يتضورون جوعاً ويعانون الأمرين (الفقر والبطالة)*

وربما يبدو اعتراضك منطقيا حيث يتساءل كيف صبر الشعب المصري ثلاثين عاما وتحرك الآن فقط ,
ورغم منطقية السؤال الظاهرة إلا أنه سؤال غير منطقي بالمرة ,
فالحركة الجمعية للشعوب فى ثورات عامة على الظلم ، تمثل رد فعل بطئ يتناسب وعوامل التاريخ ، وأمامك التاريخ كله ستجدين أن كافة الثورات الشعبية فى تاريخ العالم منذ فجر التاريخ استغرق نموها وانفجارها عشرات السنوات ، وبعضها استغرق مئات السنين ,
من أول التاريخ القديم المكتوب ، إلى تاريخنا المعاصر ,
فالرصاصة مثلا تحتاج وقتا قبل انطلاقها من المسدس يتمثل هذا الوقت فى وجود اليد التى تضرب الزناد فتشعل البارود اللادخانى فيندفع الدخان المحبوس للرصاصة فيدفعها للاشتعال ثم الإنطلاق ثم إصابة الهدف
فإذا كان الرصاصة تحتاج ثانتين تقريبا لهذا ، فما بالك بثورة تشعل شعبا بأكمله ؟!!

راجعى معى تاريخنا المعاصر واسألى كم استغرق الإحتلال الفرنسي للجزائر ، ألم يستغرق مائة وستين عاما ؟!
هل نضجت الثورة الجمعية لشعب الجزائر فى أول أعوام الإحتلال أو حتى فى أول عشرين عاما ، أم أنها احتاجت مائة وستين عاما كى تنضج وتنطلق هادرة بجماهير اجتمعت على كراهية الإستعباد وردعت الخوف
بعد أن خرجت منها الزمرة تلو الزمرة ترفض الخوف وبقية الشعب يرقب ولا يشارك ، حتى بلغ السيل الزبي فنزل الشعب فشارك كله فكان النجاح المحقق ,
وبالمثل الشعب المصري مع الإنجليز والليبي مع الإيطاليين وغيرهم

فالظلم الواقع على الشعوب من الطبيعى أن يكون المتصدون له فى بداية استبداده أعدادا محدودة تواجهها القوة الغاشمة فتردها ، ويظل هذا الأمر متكررا كحركة البندول ,
جموع محدودة تقاوم ثم يتم قمعها حتى يطرح الشعب كله عنه عقدة الخوف مع زيادة الإستبداد للحد الأقصي فينفجر مفعول الثورة

ولأننا لا نتوقف فنتدارس , فغالبا ما تؤثر فينا الثورات المضادة ، وأعنى بذلك ذهاب البعض بحسن نية إلى اعتبار أن قيام الثورات هو بفعل فاعل مع تكرارها ناسين أن حقائق التاريخ تقول بوضوح أن ثورات الشعوب للحرية ـ بالذات الشعوب المتفقة فى المصير والخلفية الحضارية ـ تتفق فى عدة عوامل هامة ,

أولها : أنها تحتاج مشعلا يأتى فى وقت غير معلوم وغير محدد ، ويختلف من شعب إلى آخر وعندما تأتى لحظة الإنفجار يكون الإنفجار شعبيا بكل ما فى الكلمة من معنى

ثانيها : أن تكرار الحدث ليس تكرارا للثورة أو تقليدا ـ كما قلت فى تعقيبك ـ بل هو أمر تسلسلي طبيعى لأن الشعوب متفقة الهدف والهوية والمعاناة لا تحتاج أكثر من شرارة ، وهذه الشرارة من الممكن أن تكون حادثا معينا ـ كما فى حالة بوعزيزي فى تونس ـ ومن الممكن أن تكون استلهاما من ثورة أخرى متطابقة كما حدث فى مصر عندما تكاثرت فيها فى الأعوام الأخيرة الإضرابات والإعتصامات المحدودة المتناثرة ثم جاءت ثورة تونس لتمثل الإلهام لا سيما بعد اكتشاف الشعب المصري أن النظام القمعى ليس بالدرجة التى يتصورونها من القوة ولهذا طالبوا برحيله وهم واثقون من أن الصمود سيأتى بنتيجة

ثالثها : فى اشتعال الثورات التحريرية بالذات ، غالبا ما يكون لكل منطقة من العالم شعب أو دولة قائدة تمثل الخطوة الأولى الجبارة التى تحفز بقية الشعوب المستضعفة فتتابع الثورات على نفس الشكل الحادث

مثال ذلك عندما قامت ثورة 1952 م بمصر عن طريق الإنقلاب العسكري المؤيد شعبيا ، تتابعت الثورا العربية والإفريقية بنفس النمط والشكل وهو الإنقلاب العسكري المؤيد من الشعوب ، حيث مثل الشعب المصري قيادة تلك المرحلة

بالمثل عندما ثارت كوبا بقيادة فيدل كاسترو وجيفارا تتابعت خلفها شعوب أمريكا اللاتينية ، وهكذا ..

فكل منطقة من العالم يكون فيها شعب من الشعوب يمثل القيادة التاريخية ويمتلك السلطة الروحية على بقية شعوب المنطقة

بالمثل..

الثورة فى مصر كانت فعليا ناضجة منذ سنوات ، وأعداد المتظاهرين فى الشوارع فى السنوات الأخيرة جاوز مئات الآلاف ، لكن لم يكن هناك حراك جمعى ، وإن كان هناك غضب جماعى

استفز كافة أطياف المجتمع

وهنا جاءت ثورة تونس كمشعل أشعل التجربة بأكملها فتحرك الشباب وتبعهم الشعب المصري بأكمله ، وقد مثلت مصر التجربة الرائدة بنقاط تفردها واعتبار قوتها التقليدية فى المنطقة , حيث تعتبر أعداد المتظاهرين الذين جابوا الشوارع طيلة ثلاثة أسابيع هو الأكبر من نوعه فى كافة ثورات العالم ، حتى بالنسبة لعدد السكان ، فقد تجاوز الرقم عشرين مليونا وهو رقم قياسي إلى الآن

ولأن تجربة مصر جاءت أشمل وأعم ، ولأن ثورة تونس جاءت كمشعل ، فقد تكررت التجربة

التى تمت فى الخمسينيات عندما قام أول إنقلاب عسكري فى سوريا ، ومثل المشعل الذى أدى لحركة الجيش المصري فى ٥٢ م ، ومن النموذج المصري تتابعت الثورات فى العراق واليمن والسودان وتونس وليبيا والجزائر وغيرها
ولكن الفارق هنا ضخم للغاية ,
فالتجربة هنا شعبية بامتياز نجحت فى تجاوز عيوب الثورات العسكرية ولهذا فهى تمضي فى طريقها بخطى ثابتة لأن الشعب نفسه هو الحارس على منجزات ثورته ، حيث أنه هو الفاعل الحقيقي على الساحة وتتبعه القوى السياسية كما يتبعه الجيش

أما الحديث عن توقعات التدخل الأجنبي واعتبار الثورات قامت بهذا السبب فهو تخريف حقيقي لم يصدر إلا عن الثورات المضادة التى تنفذها الأنظمة المستبدة فى محاولة للنجاة من مصيرها المحتوم , وهو أمر لا يحتاج تفنيدا بالطبع ,
فمن ناحية فإن حكام المنطقة جميعا كما هو معروف ومعلوم حتى لصبية الكتاتيب هم أخنع فئة للغرب وأكبر منفذين للسياسة الأمريكية والإسرائيلية ، وقد باعوا أوطانهم وشعوبهم وجعلوا إمكانيات بلادهم كلها فى خدمة الطاغوت الأمريكى بحربه على الإسلام وحربه فى حماية واحتلال مواقع النفط ,
فكيف يمكن تصور أن يقف الغرب خلف إسقاط عملائه ؟!
وقد كشفت الثورات الأخيرة عن فظائع وأسرار عندما صرح القذافي وعلى عبد الله صالح ومبارك وغيرهم بأنهم يستغربون موقف الغرب ويعاتبون قياداته بعد طول خدمتهم فى محاربة الإرهاب ! ( والإرهاب المعنى هو الإسلام طبعا )
ولهذا نستغرب بالطبع أن يبلغ التبجح بهؤلاء الحكام حد ادعاء المؤامرة الغربية عليهم وهم أطوع للغرب من قياداته نفسها!

ومن ناحية أخرى فالأمر يبدو مثيرا للسخرية ,
لأنه لو فرضنا أنه توجد قوة فى العالم ، أى قوة كانت ، تستطيع تحريك شعوب بأكملها على هذا النحو المدهش وتدفعها دفعا لمواجهة الموت راضية ومختارة فى سبيل إسقاط حكوماتها المستبدة ,

لكان من حق تلك القوة أن تملك العالم!!
وكيف يمكن أن نتصور أنه بإمكان الغرب أو أى دولة فيه أن تقنع الملايين من أبناء أى دولة بالخروج للتظاهر فى مواجهة أعتى أنواع القمع بلا مقابل ؟!
ولو كانت أمريكا أو إسرائيل تملك ذلك فمتى استخدموه عبر التاريخ ؟!
لماذا لم يستخدموه ولو لمرة واحدة وهو سلاح فتاك كما تعلمون ؟!
والأهم من ذلك
أسباب الثورات الشعبية معروفة وهى الإستبداد والقمع والنهب والظلم ، فهل يا ترى هذه

العوامل موجودة على أرض الواقع أم أنها مخترعة من المتظاهرين ؟!
شيئ عجيب ، هذه العوامل كلها موجودة بلا شك ، وكمية الإستبداد والفساد الموجودة بأوطاننا تستطيع تحريك الأموات من قبورهم ، فما بالنا بشعوب فقدت حتى الأمل فى الحياة
كيف يمكن أن نتصور عدم خروجها وفورانها فى مواجهة الظلم ، والواجب أن نشعر بالدهشة لعدم خروجها وليس العكس

السبب واضح أيها السادة من وراء هذه الإشاعات وهو حماية العروش وتلويث الثورات وتصوير حكامنا المستبدين بصورة الفرسان الذين يتصدون لمؤامرات الغرب بينما هم باعترافهم وأفعالهم أثبتوا للغرب أنهم أطوع بنان لهم فى تنفيذ سياساتهم

## أما قولك

*نجحت الثورة في بلد دون الآخر فلماذا ؟*
*هل لأن رئيس تلك الدولة أقل حنكة من غيره .. أم أن معاناة الشعب كانت كافية لأن يغلي القدر ويرمي ما فيه أم أن شعبها أكثر وعياً من غيره ؟*

من قال إن هناك ثورات نجحت وأخرى فشلت ؟!
هناك ثورتان نجحتا فى مصر وتونس وباقي الثورات ناجحة بإذن الله لا محالة ، واختلاف الفترة إنما هو اختلاف بين طبيعة المواجهة من بلد إلى آخر
إنما حتما النتيجة فى صالح الشعوب وإن طالت المدة إلى سنوات ,
ولو عدنا للتاريخ سنجد أن الثورة الفرنسية استمرت خمس سنوات كاملة حتى تحقق لها النجاح على الملكية الفرنسية ,
وبريطانيا لكى تصل إلى الديمقراطية استغرقت ثورتها السلمية التى قادها النبلاء نفس الفترة تقريبا ,
ومشكلتنا أننا نتعامل مع وقائع التاريخ وعوامل المجتمعات على اعتبار أنها فيلم سينمائي يجب أن ينتهى بمضي ساعة ونصف ، ناسين أن التغيرات الجذرية فى الشعوب ليست سيناريوهات سينمائية ، وحتما تستغرق وقتا طويلا يعتبر قصيرا بالنسبة لما تحدثه من تغييرات عميقة.,

## أما قولك

*حتى نحن كشعب فلسطيني أصابتنا عدوى الثورة( إن اعتبرناها كذلك فقلنا لأنفسنا تعالوا أيها الشعب نتحرك ليحاكي الشارع الفلسطيني ثورات جيراننا في الوطن العربي*
*فسألنا أنفسنا : على أي احتلال نثور ؟!!*
*هل نثور ( على الاحتلال الاسرائيلي ؟ ) .. بالتأكيد .. لا فهذه حكاية قديمة ملّ العالم من الاستماع إليها وترديدها.. أم نثور على ( السلطة ) .. بالتأكيد .. لا*

## الجواب :

الواقع أننى قلبت كفا بكف من كلامك هذا واعذرينى ,
لقد كتبت هنا فى منابر وغيرها منذ حوالى خمس سنوات تقريبا أعالج موقف الفلسطينية تاريخيا بالوثائق , واستغربت أن هناك فلسطينيا أو عربيا يمكن أن يسأل عن السلطة الفلسطينية أو يظن بها خيرا!!!

وكان مما قلته أن حل فلسطين ليس فى قيام حرب عاجلة ، بل يلزم أن يقوم الشعب المصري أولا ثم بقية الشعوب العربية فتتغير كافة الأنظمة التى مالأت على مقدرات الأقصي , وأولها السلطة المسماة بالوطنية والتى فرخها عرفات ومن بعده أبو مازن ,
وثورة فلسطين على إسرائيل , لا ينبغي لها أن تبدأ أبدا قبل أن يثور الشعب على وكلاء

الإحتلال الذين يمثلهم أبو مازن وعريقات وعبد ربه وغيرهم من تجار السياسة ,
ولعلك تعلمين كما يعلم أهل فلسطين أن هؤلاء يهود بالوكالة حسب تعبير شيمون بيريز نفسه فى مذكراته التى صدرت قبل عامين ,
فهؤلاء يتعيشون على مسألة المفاوضات ، وهم آخر الناس بحثا عن حل للمشكلة الفلسطينية لأنها تمثل لهم مصدر التجارة والربح الوفير والمعيشة المرفهة بين سيارات وقصور وخدم وحشم بل وشركات تجارية مع إسرائيل لتوريد العمالة الفلسطينية الرخيصة لإقامة المستوطنات التى يأتون فى المفاوضات بادعاء رفضها!!!
فهل هؤلاء من ينبغي للشعب أن يتصالح أن معهم ؟!
هؤلاء أتباع طائعون مثلهم مثل بقية الأنظمة العربية يا آنستى ، وملفاتهم تحتاج إلى مجلدات لشرح فضائحهم التى لا ينبغي حتى أن نسأل عنها ,
يكفي فقط أن نتأمل حياتهم وكيف يعيشون ويتعايشون مع اليهود بالقبلات والأحضان والشراكة ، ويظهرون بأفخر الهيئات فى نفس الوقت الذي يتهمون فيه المقاومة الشرعية بالإرهاب ويحفزون إسرائيل لإنهاء الإرهاب فى غزة ,
فهؤلاء حقا أكثر يهودية من اليهود أنفسهم
والحديث ذو شجون..

تم بحمد الله وتوفيقه ..

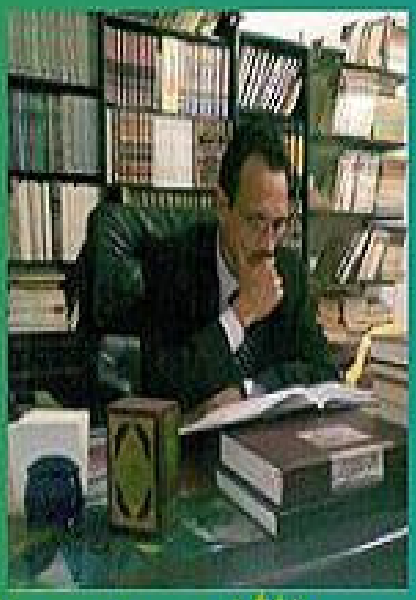

# ستون سؤالا بستين قضية

حين يمن الله على الإنسان بنعمة التفكير ...

فتسمح بخلق أسئلة تفتح ألآف من القضايا ...

قد تمر على الكثيرين بالرغم من وجودها بوضوح الشمس ...

فنجد في هذا الكتاب العديد من الأسئلة التي فتحت العديد من القضايا ...

رسالة المعز للدعوة والإعلان